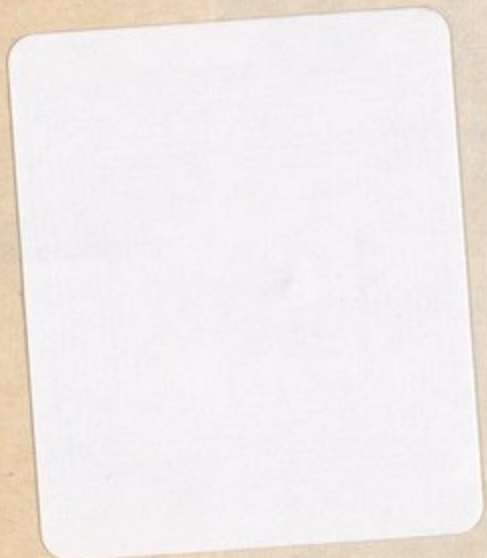



AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY

3 8534 00993 1183

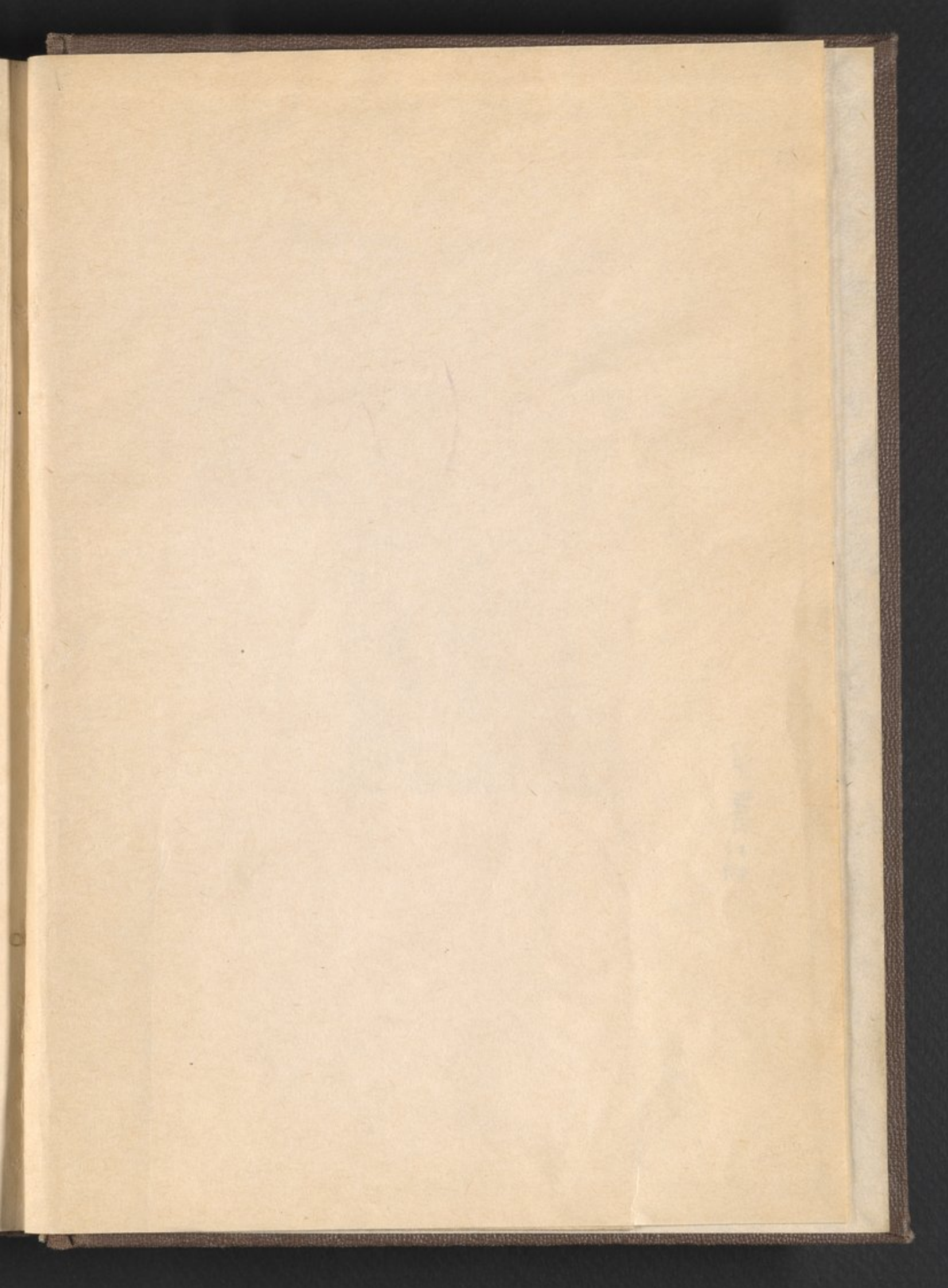
EQAC99-B2721 part

10/6



 MAR 1973

BP
189
B4x
1953



مصرع النصوص

أو

al-Biqāri

Masra'at al-taqawun

تنبيه النبي إلى تكفير ابن عربي

وتحذير العباد من أهل العناد

BP

189

B4X

1953

تأليف

العلامة برهان الدين البيهقي

٧١٠٢٧ هـ

٨٠٩ - ٨٨٥ هـ

تحقيق وتعليق

عبد الرحمن الوكيل

الطبعة الأولى

١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م

مكتبة القضاة

١٨٩

٢٠٠٠

مكتبة القضاة

القاهرة

مطبعة السنة المحمدية

شارع غيط النوبى - القاهرة

تليفون ٧٩٠١٧

٥٨٨٠ - ٥٠٨٠

رقم القيد

٧٩٢٢٧

٧٩٢٢٧

رقم القيد

٧٧٦١٠ - ٧٥٢١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ،
والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين ،
وبعد : فإنه كانت لي بالتصوف صلة ، هي صلة العبرة بالمأساة ، فهناك -
حيث كان يدرج بي الصبا في مدارجه السحرية ، وتستقبل النفس كل صروف
الأقدار بالفرحة الطروب ، وتستنشئ الروح ريبا الجمال والحب من كل معاني
الحياة - هنالك تحت شُفوف الأسحار الوردية من ليالى القرية الوادعة الحاملة ،
وفي هيكل عبق بغيوم البخور ، جثم على صدره صنم صغير يعبده كثير من شيوخ
القرية ، هنالك في مطاف هذه الذكريات الوالهي : كان يجلس الصبي بين شيوخ
تغصنت منهم الجباه ، وتهدلت الجفون ، ومشى الهرم في أيديهم خفقات حزيننة
راعشة ، وفي أجسادهم المضيئة نحولا ذابلا ، يتراءون تحت وصوصة السراج
الخافت أو هام رجاء ضيغته الخيبة ، وبقايا آمال عصف بها اليأس .
وتهدج ترانيم الشيوخ تحت السحر - نواحا بينها صوت الصبي - بالتراتيل
الوثنية ، وما زال الصبي يذكر أن صلوات ابن بشيش ، ومنظومة الدردير كانتا
أحب التراتيل إلى أولئك الشيوخ ، وما زال يذكر أن أصوات الشيوخ كانت
تشرق بالدموع ، وتئن فيها الآهات حين كانوا ينطقون من الأولى : « اللهم
انشئني من أحوال التوحيد ! ! » ومن الثانية : « وجدلي بجمع الجمع منك
تفضلا » يا للصبي الغرير التعس المسكين ! ! فما كان يدرى أنه بهذه الصلوات
الجوسية يطلب أن يكون هو الله هوية وماهية وذاتا وصفة ! ! ما كان يدرى
ما التوحيد الذي يضرع إلى الله أن ينشله من أحواله ! ! ولا ما جمع الجمع الذي
يبتهل إلى الله أن يمن به عليه ! ! .

ويشب الصبي ، فيذهب إلى طنطا ليتعلم ، وليتفقه في الدين . وثمت يسمع
الكبار من شيوخه يقسمون له ، واصحابه : أن « البدوي » قطب الأقطاب ،
يصرّف من شئون الكون ، ويدبر من أقداره وغيوبه الخفية !! ويجرؤ
الشاب مرة فيسأل خائفا مرتعدا : وماذا يفعل الله ؟ ! ويهدر الشيخ غضبا ،
ويزجر حنقا ، فيلوذ الشاب بالرعب الصامت ، وقد استشعر من سؤاله ،
وغضب الشيخ ، أنه لطح لسانه بجريمة لم تكتب لها مغفرة !! ولم لا ؟ والشيخ
هذا كبير جليل الشأن والخطر ، وما كان يستطيع الشاب أبدا أن يفهم أن مثل
هذا الخبير الأشيب - الذي يسأل عنه الموت - يرضى بالكفر ، أو يتهوّك مع
الضلال والكذب . فصدق الشاب شيخه ، وكذب ما كان يتلو قبل من آيات الله
(١٠: ٣) ثم استوى على العرش ، يدبر الأمر ، مامن شفيع إلا من بعد إذنه) !!
ثم يقرأ الشاب في الكتب التي يدرسها : أن الصوفي فلانا غسلته الملائكة ،
وأن فلانا كان يصلي كل أوقاته في الكعبة ، في حين كان يسكن جبل قاف ،
أو جزائر واق الواق !! ! وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مديده من القبر وسلم
على الرفاعي !! وأن فلانا عذبت الملائكة ؛ لأنه حفظ القرآن والسنة وعمل
بما فيها ، ولكنه لم يحفظ كتاب الجوهرة في التوحيد !! ! وأن مذهبنا في الفقه
هو الحق وحده ، لأنه أحاديث حذفت أسانيدھا !! ! ويصدق الشاب بكل
هذا ، ويؤمن ، وما كان يمكن إلا أن يفعل هذا .
إذ قال في نفسه : لو لم تكن هذه الكتب حقا ، ما درست في الأزهر ،
ولا درستها هؤلاء الهرمون من الأخبار ، ولا أخرجتها المطبعة !! وهل كان يمكن
أن يسأل نفسه مثلا مثل هذا السؤال : أين من الحق البين من كتاب الله ، هذا
الباطل العرييد في هذه الكتب ؟ ! لا فلقد جرى به إلى طنطا ليتفقه في الدين
على هؤلاء الشيوخ ، وها هو فقه الدين يسمعه من الشيوخ ، ويقرؤه في الكتب ،
وحسبه هذا !! !

وتتوَجُّ طنظًا بالوفود ، وتتعج بالآمين بيت الطاغوت الأكبر من كل حدب ،
ويجلس الشاب في حلقة يذكر فيها الصوفية اسم الله بِمَخَنَاتِ الأنوف ، ورجات
الأرداف ، ووثنية الدفوف ، وثُمَّتَ يسمع منشد القوم يصيح راقصا : « ولي صنم
في الدير أعبد ذاته » فتعالى أصوات الدراويش طرودة الصيحات : « إِبْوَةٌ كِدَهُ
اكْفَرُ ، اكْفَرَ يامرَبِّي » ويرى الشاب على وجوه القوم فرحا وثنيا راقص
الإثم بما سمعوا من المنشد الكافر ، فيسأل شيخا ممن وفدوا من أهل قريته :
ياسيدي الشيخ ، ماذا الصنم المعبود ؟ ! فيزم الشيخ شفتيه ، ثم يجود على
الشاب الواله الحيرة بقوله : « إِنْتَهُ لِسَّهُ صُغَيْرٌ » ! ! ويسكت الشاب قليلا ،
ولكن الكفر يضح في النعيق ، فيسمع المنشد يقيء : « سلكت طريق الدير
في الأبدية » « وما السكب والخنزير إلا إلهنا » ويطوى الشاب نفسه على
فزع وعجب يسائل الدهول : ما السكب ؟ ما الخنزير ؟ ما الدير ؟ ! وأنى للدهول
بأن يجيب ؟ ! ولقد خشى أن يسأل أحد الشيوخ مادام قد قيل له : « إِنْتَهُ لِسَهُ
صُغَيْرٌ » ثم إنه رأى بعض شيوخه الكبار يطوفون بهذه الحُمَاتِ يشربون
« القرفة » ويهنتون الأبدال والأنجاب والأوتاد بمولد القطب الثوث
سيدهم السيد البدوي ! ! !

وتُكفَّن دورات الفلك من عمر الشاب سنوات ، فيصبح طالبا في كلية
أصول الدين ، فيدرس أوسع كتب التوحيد - هكذا تُسمَّى - ، فيعى منها كل
شئ إلا حقيقة التوحيد ، بل مازادته دراستها إلا قلقا حزينا ، وحيرة مسكينة .
ويجلس الشاب ذات يوم هو وصديق من أصدقائه مع شيخ صوفي أمي . فيسألها
عن معاني بعض تهاويل ابن عطاء الله السكندري « إرادتك التجريد مع إقامة الله
إياك في الأسباب من الشهوة الخفية ، وإرادتك الأسباب ، مع إقامة الله إياك في
التجريد ، انحطاط عن الهمة العلية » . ويحار الطالبان ، ولا يدريان بم يجيبان
هذا الأمي عن هذه الحكم المزعومة - وقد عرفا بعد أنها تهدف إلى تقرير أسطورة

رفع التكليف - فتمتلىء نفسها بالنغم المهموم ؛ إذ رسبا في امتحان عقده لها
أحى صوفي؟! .

ويدور الزمن فيصبح الشاب طالبا في شعبة التوحيد والفلسفة . ويدرس
فيها التصوف ، ويقرأ في كتاب صنفه أستاذ من أساتذته ، رأى ابن تيمية في
ابن عربي . فتسكن نفس الشاب قليلا إلى ابن تيمية ، وكان قبل يراه ضالا مُضلا .
فهذا البهتان الأثيم نعتة الدردير!! .

وكانت عنده لابن تيمية كتب ، بيد أنه كان يهرب مطالعتها ، خشية أن
يرتاب في الأولياء ، كما قال له بعض شيوخه من قبل !! وخشية أن يضل ضلال
ابن تيمية ويقرأ الشاب ، ويستغرق في القراءة ، ثم ينعم القدر على الشاب
بصبح مشرق يهتك عنه حجب هذا الليل ، فيقر به سره المظني عند جماعة
أنصار السنة المحمدية ، فكأنما لقي بها الواحة الفدية السلسيل بعد دَوِّ ملتهب
الهجير . لقد دعت الجماعة على لسان منشئها فضيلة والدنا الروحي الشيخ محمد حامد
الفقهي إلى تدبر الحق والهدى من الكتاب والسنة ، فيقرأ الشاب ويتدبر ما يقرأ ،
وتمتَ رُوَيْدًا رُوَيْدًا ترتفع الغشاوة عن عينيه ، فيبهره النور السماوي ، وعلى أشعته
المادية يرى الحقائق ، ويبصر القيم . يرى النور نورا ، والإيمان إيمانا ، والحق حقا ،
والضلال ضلالا ، وكان قبل - بسحر التصوف - يرى في الشيء عين نقيضه .
فيؤمن بالشرك توحيدا ، وبالكفر إيمانا ، وبالمادية الصماء من الوثنية : روحانية
عليا ، ويدرك الشاب - وهو لا يكاد يصدق - أن التصوف دين الوثنية والمجوسية ،
دين ينسب الربوبية والإلهية إلى كل زنديق ، وكل مجرم ، وكل جريمة !!
دين يرى في إبليس ، وفرعون ، وعجل السامري ، وأوثان الجاهلية ، يرى في كل
هؤلاء الذين لعنتهم كتب الله ، بل لعنتهم حتى العقول ، يرى فيهم أربابا وآلهة
تهيمن على القدر في أزله وأبده ، دين يرى في كل شيء إلهًا يجب أن يُعبد ، وربا
يخلق ما يشاء ويختار ، دين يقرر أن حقيقة التوحيد الأسمى : هي في الإيمان بأن الله

— سبحانه — عين كل شيء . دين لا نجد فيه فيصلاً بين القيم ، ولا بين حقائق الأشياء ، ولا بين الضد وضده ، ولا بين النقيض ونقيضه . دين يقول عن الجيف — يقاذى منها النتن ، وعن الميكروبات تفتك سمومها بالبشرية — إنها هي الإله ، وسبحان ربنا !! دين يقول عن القاتل ، عن السارق ، عن الباغى ، عن كل وغد تَسْقَلُ في دناءته ، عن كل طاغية بنى في تجره . يقول عن كل هؤلاء : إنهم تَعَيَّنَاتُ الذات الإلهية !! فأى إله هذا الذى يقتل ، ويبغى ، ويفسد في الأرض ؟ أى إله هذا الذى يدب تحت جناح الليل تتَلَطَّى في عينيه ، وعلى يديه الإثم والجريمة الضارية ؟ أى إله هذا الذى يلحق دم الضحايا يُبَرِّدُ به غُلَّتَه ، ويخضب بدماء الأعراض التى سفحها يديه الظالمين ؟ أى إله هذا الذى مشى في أيام التاريخ ولياليه بطشا وظلماً وجبروتاً يدمر ، ويخرب ، ويصنع القصة الأولى لكل جريمة خاتلة ؟! ومن يكون إلا إله الصوفية الذى ابتدع أسطوره سلف ابن عربى ، وابن الفارض وغيرهما !! ؟ .

أيتها البشرية التى تهاب القانون ، أو ترهب السماء !! ها هو دين التصوف يناديك مُلِحاً ملهوف النداء : أن تنحدرى معه إلى حيث تترعين من كل خمرة مخمورة ، وتتلطخين بكل فسق ، وتتمرغين في أوحال الإثم !! وأنتم أيها العاكفون في المساجد : لا حاجة بكم إلى الصلاة والصوم والحج والزكاة ، بل لا حاجة بكم إلى رب تحبونه وتحافونه ، وترجونه ، ولا إلى إله تعبدونه .

لم هذا الكدح والجهاد والنصب والعبودية ؟ لم هذا وكل فرد منكم فى حقيقته هو الرب ، وهو الإله كما يزعم الصوفية !!؟ ألا فاطلقوا غرائزكم الحبيسة ، ودعوها تعيش فى الغاب والدغل وحوشاً ضارية ، وأفاعى فتاكة ! وأنتم يا بنى الشرق ! دعوا المستعمر الغاصب يسومكم الخسف والهوان ، ويُبَلِّغْ شرفكم بالضعمة ، وعزتكم بالذل المهين ، ويهيمن على مصائركم بما يهوى بطشه الباغى ، وبغية الظلوم . دعوه يهتك ما تحمون من أعراض ، ويدمر ما تشيرون من معال ،

وينسف كل ما أسستم من أعجاب ، ثم انقوا ضارعين خناجره وهي تمزق منكم الحشاشات ، واهتفوا لسياطه ، وهي تشوي منكم - أذلاء - الجلود . فما ذلك المستعمر عند الصوفية سوى ربهم ، تعين في صورة مستعمر .

دعوا المواخير مُفْتَحَةَ الأبواب ، ممهدة الفجاج . ومبأيات البغاء تفتح ذراعها الملهوفتين لكل شريد من ذئاب البشر ، وحانات الخمر تطفئ على قدسية المساجد ، وأقيموا ذهبي الهياكل للأصنام ، وارفعوا فوق الذرى مُنْتَبِئَ الجيف ، ثم خروا ساجدين لها ، مسبحين باسم ابن عربي وأسلافه وأخلافه . فقد أباح لكم أن تعبدوا الجيفة ، وأن تتوسلوا إلى عبادتها بالجريمة !!

ذاك هو دين التصوف في وسائله وغاياته ، وتلك هي روحانيته العليا !!
ألا فاسمعوها غير هيابة ولا وجلة ، واصغوا إلى هتاف الحق يهدر بالحق من أعماق الروح : إن التصوف أدنا وألأم كيد ابتدعه الشيطان لِيُسَخَّرَ معه عباد الله في حربته لله ، ولرسله . إنه قناع المجوسى يتراءى بأنه ربانى ، بل قناع كل عدو صوفى العداوة للدين الحق . فتنس فيه تجمد برهمية ، وبوذية ، وزرادشتية ، ومانوية وديسانية . تجمد أفلوطينية ، وغنوصية ، تجمد فيه يهودية ونصرانية . ووثنية جاهلية ، تجمد فيه كل ما ابتدعه الشيطان من كفر ، منذ وقف في جرأة صوفية يتحدى الله ، ويقسم بعزته أنه الذى سيضل غير المخلصين من عباده . تجمد فيه كل هذا الكفر الشيطانى ، وقد جعل منه الشيطان كفراً جديداً مكحول الإيم متبرج الغواية ، مُتَقَتِّلُ الفتون ، ثم سماه للمسلمين : « تصوف » وزعم لهم - وأيده في زعمه القدامى والمحدثون من الأحرار والرهبان - أنه يمثل أقدس المظاهر الروحية العليا في الإسلام !! أقولها عن بينة من كتاب الله ، وسنة خير المرسلين صلوات الله وسلامه عليه ، وبعون من الله ، سأظل أقولها ، لعل أعين الفريسة التعسة على أن تنجو من أنياب هذا الوحش الملتئم بوشاح الدعة الحانية العطوف ولكن سلوا الصوفية سوداً وبيضاً ، خضراً وحمر ، سلوهم : مارذكم على هذا الصوت الهادر من أعماق الحق ؟ سيقولون ما قالت وثنية عاد « إن براك

إلا اعتراك بعض آهتنا بسوء» وآهتهم هي قباب أضرحة الموتى وأعتابها !!
دمغناهم بالحق ، فراحوا يعوون عواء اللص الخذر ، وقع فجأة في قبضة الحارس ،
وجأروا بالشكوى الدليلة إلى النيابة ، فلم تر النيابة فيمن يمسك بالبريء إلا مجرمًا ،
وشكوا إلى رئيس حكومة سابق ، وختموا الشكاية بهذه الضراعة الدليلة : « والله
نسأل لمقامكم الرفيع الخير والسؤدد في ظل حامى الدين حضرة صاحب الجلالة
الملك المعظم صان الله عرشه ، وأيد حكومته الرشيدة ، وألمها التوفيق » (١) ،
فلم ير الرئيس السابق فيمن يثرم أنياب الرقطاء مجرمًا . وطاح الحق ببغى إلههم
وملاذم حامى دينهم ، كما كانوا يلقبونه .

وما زلنا - بعون من الله نستلهمه - بكتاب الله نتحدثهم ، وبسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم نحاججهم ، والله على كل شيء شهيد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .
سيقول الناعمون - من ذوى الألسنة التى استمرأت كلمات الذل والعبودية ،
وليونة النفاق ، و يمن يتملقون الجماهير على حساب الحق ، ويزعمون أنهم لا يحبون
إثارة شقاق ، أو جدال ، ولا الطعن على أحد - سيقول هؤلاء : ما هكذا يكون
النقد ، ولا هكذا يكون البحث العلمى !! لا . أيها المدللون الخانعون للأساطير ،
فإننا لسنا أمام جماعة مسلمة ، فنخشى إثارة الشقاق بينهم ، ولو خشى الرسول مثل
هذا لما أقر بشأ على حساب الحق ، ولكنه صلى الله عليه وسلم أطاع أمر ربه
(١٥ : ٩٤ فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين) ووعى قلبه - المشرق
المؤمن الطهور التقي - موعظة ربه فيما قال له العلى الكبير (٦٨ : ٩) ودُّوا لو تذهن
فيدهنون) وفيما قال له (١٧ : ٧٣ - ٧٥) وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا
إليك ؛ لتفترى علينا غيره ، وإذا لا تأخذوك خليلا ، ولولا أن ثبتناك لقد كدت
تركن إليهم شيئاً قليلا ، إذا لأذقنا لا ضعف الحياة ، وضعف الممات ، ثم لا تجد لك
علينا نصيرا) فكان سيد ما يستغفر به الرسول الكريم الأمين ربه : « اللهم
أنت ربى ، لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك

(١) قدموا هذه الشكوى بتاريخ ٤ أغسطس سنة ١٩٥١

ما استطعت « فكيف بنا نحن الذين أمرنا أن نجعل الرسول وحده لنا الأسوة؟! ولسنا كذلك أمام فئة تحترم العقل ، بل تزدرية وتحقره ، ثم تهب في قحّة طاغية الجراءة لتشتّم الله ، وتذود عن إبليس وفرعون وعباد العجل والوثن ، داعية المسلمين إلى اتخاذ هؤلاء أرباباً وآلهة ، وسيرد على القارى عشرات النصوص من فصوص ابن عربي وتائية ابن الفارض شهيدة عليهم بما ذكرت ، وابن عربي وابن الفارض قطبا التصوف ، وإماما الصوفية المعاصرة . فكيف يعاب علينا أننا ندافع عن دين الله ، وأنا نقول للشيطان : إنك أنت الشيطان؟! ماذا نقول عن رجل - وهو ابن عربي - يفترى أدناً البهتان على الله ، فيصوره في صورة رجل وامرأة يتترفان الإنم ، مؤكداً لأتباعه أن الجسدین الآثمين هما في الحقيقة ذات الله ، سبحانه؟! وسبحان رب العزة عما يصف الآثم .

فهل نلام إذا هتكنا القناع عن وجه هذا الرجل ، ليبصره المخدوعون به ، ليبصروه مستخاً ثانياً للشيطان؟ إننا في ميدان مستححر الأتون، يقاتلنا فيه عدو دنيء يتراءى أنه الأخ الشفيق الحنوّ ، الندى الرحمة ، فلا أقل من أن نحاربه بما يدفع ضره وشره ، ويحول بينه وبين القضاء على الرمق الذابل من عقائد المسلمين ، وبين تشتيت الحشاشة الباقية من الجماعة الإسلامية .

هذا الكتاب : هو في الحقيقة كتابان صنفهما علم من أعلام القرن التاسع الهجري ، هو برهان الدين البقاعي ، سمي أولهما « تنبيه الغبي ، إلى تكفير ابن عربي » وسمى الآخر « تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد^(١) » نقد فيهما ابن عربي وابن الفارض بخاصة ، والتصوف المشاكل لدينها بعامة . ومنهاج البقاعي في النقد يقوم على أصليين .

أولاً : نقل نصوص كثيرة عن « فصوص الحكم » لابن عربي ، وعن

(١) لما كان الكتاب ينقد التصوف نقداً قاتلاً ، فقد سميها « مصرع التصوف » وأعتذر عن مخالفة الأصل في التسمية لطول عنواني الكتابين ، ولما في أحدهما من تعريض بالقارىء .

« التائية الكبرى » لابن الفارض ، وقليلاً ما يعلق البقاعى على هذه النصوص ، أو يكشف عما فيها من مجافاة لروح التوحيد القرآنى . معتمداً على فطنة القارى ومعرفته بدينه ، فهما كفيلاّن بإدراك ما فى هذه النصوص من كفر ومجوسية ، يدركهما القارى حتى باللمحة الفكرية الهافية .

الآخر : ذكر فتاوى كثيرة عن أعلام شيوخ القرون : السابع والثامن والتاسع الهجرية ، ومما لاحظته : أن المؤلف لم ينقل عن ابن تيمية سوى النزر اليسير جداً ، بيد أن هذا مما يجعل للكتاب خطره الكبير فى نظر المتصوفة على معتقدهم ، إذ ما يستطيعون اتهام أحد من ذكرهم البقاعى بالخصومة ، كما كانوا يفعلون - مفترين - بالنسبة إلى الشيخ الإمام ابن تيمية . فهؤلاء الذين أفتوا بكفر ابن عربى وابن الفارض : إما فريق قد ناهض ابن تيمية وخاصمه ، ولكنه أدلى معه بدلوه فى فضح الصوفية ، وإما فريق لم يعرف عنه لا موالاته جلية ولا خصومة صريحة لابن تيمية - وإن كانوا فيما يذهبون إليه فى مسألة العقيدة يخالفون ابن تيمية - فجلهم من أئمة الأشاعرة ، وإما فريق كان له جاه ومقام كبيران فى التصوف ، كعلاء الدين البخارى ، وهو أقسى هؤلاء جميعاً حملة على ابن عربى وابن الفارض ، ومن دان بدينهما .

عملى فى الكتاب : أولاً تحقيق نص الكتاب ، وهو إما نقول عن فصوص ابن عربى وتائية ابن الفارض ، أو عن كتب علماء تقدوا التصوف . وإما من إنشاء المؤلف . أما ما نقله عن الفصوص : فراجعته على مطبوعة الحابى بتحقيق الدكتور عفيفى ، وجعلتها العمدة فى تحقيق نصوص الفصوص ، وقد أيقنت من هذه المراجعة أن المؤلف أمين جداً فيما نقل . بيد أنه كان يترك أحياناً ماله رحم ماسة بالكشف عن حقيقة معتقد ابن عربى ، أو ما لا بد منه للربط بين نصوص الفصوص ، وأحياناً كان يسقط منه - أو من الناسخ - بعض ألفاظ ، وكل هذا أثبتته عن الفصوص ، وجعلته بين قوسين هكذا [] ، وقد أشرت فى الهامش إلى هذا وإلى أرقام الصفحات التى وردت فيها هذه النصوص حسب ترقيم صفحات

فصوص الحكم طبع الحلبي ، حتى يسهل على القارىء مراجعة كل ما نقله المؤلف عن الفصوص في مصدره الأصيل ، أما أبيات تائية ابن الفارض ، فراجعتها على مرجعين ، أحدهما ديوان ابن الفارض طبع بيروت ، والآخر شرح تائية ابن الفارض للكاشاني المطبوع على هامش شرح ديوان ابن الفارض المطبوع سنة ١٣١٠ هـ في المطبعة الخيرية . أما ما نقله عن العلماء فقد بذلت كل الجهد في سبيل تحقيق نقوله بمراجعتها في كتب أولئك العلماء ، وأشارت إلى أرقام الصفحات التي وردت فيها تلك النقول في مصادرهما الأصلية ، مثل ما فعلت بما نقل المؤلف عن الشفاء لعياض ، والواقف للإيجي ، والملل للشهرستاني وغيرها حتى يسهل أيضاً على القارىء مراجعة آراء هؤلاء العلماء في كتبهم هم . وقد يسر الله سبحانه ، فوجدت بعض ما نقله البقاعي من فتاوى عن العلماء في عصره وقبل عصره مذكوراً في كتاب « العلم الشامخ » للعلامة المقبلي بتحقيق وتعليق العلامة الشيخ رشيد رضا ، فراجعت بعض نقول البقاعي عن العلماء الذين لم أعر على كتبهم في العلم الشامخ ، وأثبت زيادة العلم ، وجعلتها بين قوسين هكذا [] ، ويشهد الله أني لقيت في سبيل ذلك نصبا كبيراً ، كان من نتائجه أن أصبحت أمانة البقاعي في النقل فوق كل مظنة ، وسيكون من آثاره اطمئنان القارىء إلى كل ما نقله البقاعي عن الفصوص والتائية ، وكتب العلماء ، وما نقل عنهم من فتاوى .

أما ما كان من أسلوب المؤلف : فتركته على حاله ، فاصوبت فيه إلا ما تجزم قواعد العربية بخطئه مشيراً إلى ذلك في الهامش .

ثانياً : ترجمت لمعظم من ذكروا في الكتاب ترجمة مختصرة ، ولقيت في سبيل هذا مشقة وجهداً ، سببهما : أن المؤلف كان يذكرهم إما بألقابهم أو كنانهم ، في حين تذكرهم كتب التراجم بأسمائهم أولاً .

ثالثاً : ترجمت لكل فرقة أو نخلة جاء ذكرها في الكتاب ترجمة ذكرت فيها أهم الأصول لتلك الفرقة ، أو هذه النخلة ، معتمداً على أصدق المراجع .

رابعاً : حققت كل ماورد في الكتاب من أحاديث ، وخرجتها تخريجاً صحيحاً ، إذ كان يخطئ المؤلف أحياناً في نسبتها إلى روايتها .

خامساً : ولما كانت بعض نصوص الفصوص غامضة تخفى معانيها ومرامها على بعض القراء ، وكذلك بعض أبيات تأئية ابن الفارض ، لما كان ذلك كذلك : فقد شرحت في الهامش تلك النصوص وهذه الأبيات ، ويشهد الله الله ما فهمت في الألفاظ غير معانيها ، التي لها في عرف الصوفية ، ولا فسرته إلا بما هو مقرر عند شرح الفصوص والتأئية من الصوفية .

سادساً : برهنت في كثير من المواضع على مخالفة ما ذهب إليه الصوفية للنقل وللعقل ، إذ كان المؤلف يكتبني بإيراد النصوص تاركاً للقارئ الحكم عليها ، وهو حكم يجزم به كل من له أدنى فهم لحقيقة التوحيد .

سابعاً : في الكتابين كثير من مصطلحات الصوفية ، كالفناء والجمع ، وجمع الجمع ، والقطب ، وقاب قوسين ، وغيرها ، وقد فسرت في هامش الكتاب هذه المصطلحات الصوفية معتمداً على كتبهم هم ، حتى يخلص الكتاب للحق والإنصاف ، والصدق .

ثامناً : عنونت لمواضيع الكتابين ، إذ خلا كلاهما إلا من عناوين قليلة وضعها الناسخ ، أو المؤلف على هامش الكتابين ، ومعظمها ليست دلالة على ماوضع له .

تاسعاً : رقت ماورد في الكتاب من الآيات القرآنية ، والرقم الأول يدل على السورة ، والثاني على الآية .

ملحوظة . تشير الأرقام الواردة في صلب متن الكتاب إلى صفحات النسخة المصورة التي اعتمدت عليها في نشر هذا الكتاب .

الأصل المطبوع عنه : يملك النسخة التي عنها نشرنا الكتاب سرى جودة الجليل ، الشيخ محمد نصيف . وقد تفضل - كدأبه دائماً في العمل على نشر العلم -

فأعطاها إلى فضيلة أستاذنا الكبير الشيخ محمد حامد الفقي ليعمل على نشرها ،
فتفضل أستاذنا ، ووكل إلى أمر تحقيقها والتعليق عليها .

وصف النسخة : وقد عثر على النسخة الخطية الأصيلة لكتابي البقاعي ،

العلامة شيخ العروبة في وقته أحمد زكي ، عثر عليها في خزائن القسطنطينية ، فنقلها
بالتصوير الشمسي في مجلد واحد . ثم نقل عن نسخته المصورة نسخة أخرى
بالتصوير الشمسي أيضا في مجلد واحد وأهداه إلى العالم الجليل الشيخ محمد نصيف .
وقد ورد في الصفحة الأولى من الأصل الذي نشرنا عنه هذا الكتاب ما يأتي :

« نقلت باسم الله هذا الكتاب بالتصوير الشمسي من خزائن القسطنطينية
وأضفته إلى مجموعة كتبتي التي أودعتها قبة الغوري بالقاهرة باسم الخزانة الزكية
وجعلتها وقفا على العلماء وطلبة العلم ، نفع الله بها » ثم يلي ذلك إمضاء « وكتبه
أحمد زكي » وورد أيضا في الصفحة الأولى ما يأتي : « وهذه النسخة المنقولة عنها
هدية إلى خادم العلم الإسلامي والعمرائي بالحرمين الشريفين الشيخ محمد نصيف ،
فخر جدة أعانه الله » ثم يلي ذلك إمضاء « أحمد زكي » وتاريخ الإهداء ٥ محرم
الحرام سنة ١٣٥٢ الموافق ٣٠ أبريل سنة ١٩٣٣ ، وقد صورت النسخة المهداة
سنة ١٩٣٣ م بمطبعة دار الكتب قسم التصوير .

والنسخة مكتوبة بخط فارسي جميل ، وناسخها سليمان بن عبد الرحيم . وقد
انتهى من نسخها - كما ذكر هو في آخر الكتاب - سنة ٥٩٤٧ هـ وتقع النسخة في
٨٤ صفحة ، وقد كتبت ورقاتها من وجه واحد ومسطرتها تبلغ ٢١ سطرا ، ويقع
الكتاب الأول منها ، وهو « تنبيه الغبي » في ٥٩ صفحة ، والثاني وهو « تحذير
العباد » في ٢٣ صفحة .

وقد كتب الشيخ الجليل محمد نصيف على نسخته ما يأتي : « أقول أنا محمد
نصيف بن حسين بن عمر نصيفي : سألت السائح التركي ولي هاشم عند عودته من
الحج في محرم سنة ١٣٥٥ عن سبب عدم وجود ما صنفه العلماء في الرد على

ابن عربي ، وأهل نحلته الحلولية والاتحادية من المتصوفة . فقال قد سعى الأمير السيد عبدالقادر الجزائري بجمعها كلها بالشراء والهبة وطالعها كلها ، ثم أحرقها بالنار ، وقد ألف الأمير عبد القادر كتاباً في التصوف على طيقة ابن عربي . صرح فيه بما كان يلوح به ابن عربي ، خوفاً من سيف الشرع الذي صرع قبله « أبو الحسين الخلاج » وقد طبع كتابه بمصر في ثلاثة مجلدات ، وسماه المواقف في الوعظ والإرشاد ، وطبع وفقاً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله »

شبهة : يقول بعض من لا يستبطنون خبيثة التصوف ، ويرسلون النظرة الكاشفة إلى أعماقه : وهل تدين الصوفية المعاصرة بما دان به ابن عربي ، وابن الفارض ، حتى تحكموا عليهم بما حكيم به علي ابن عربي وابن الفارض ، أو حتى يصلح هذا الكتاب رداً عليهم ؟ ! وأقول لهذا السائل : نعم ، تدين الصوفية المعاصرة بوحدة الوجود ، وبوحدة الأديان ، فإنما هو أمر مُبَيَّنٌ للدين الحق يتوارثه الصوفية خلفاً عن سلف ، ليكيدوا به لهذا الدين الحق . وفي أوراذهم دليل ما نقول . وفي تقديسهم لابن عربي وكتابه الفصوص ، ولابن الفارض . وتائيته حجة على أنهم يدينون بدينهما ، فالأول عندهم « الشيخ الأكبر » . والثاني : « سلطان العاشقين » وياطالما قلنا للصوفية المعاصرة : أن تغنم رضا الله مرة . فتبرأ إليه من ابن عربي ، وابن الفارض . بل حتى من كتبهما وأشعارهما قلنا لها ذلك ، فكان أن برئت إلى أصنامها ممن يقدم لها النصيح ابتغاء وجه الله . واستغاثت بالأحياء ، وبالأموات من الطواغيت ، حتى لا ينزع الناصح تاج القداسة الزائف عن الشيطان المرید !! .

وقد يقول قائل : وما بالكم تخصون الصوفية بهذا كله ؟ ! .
وأقول : بل هو جهادنا الأول . ونقتدى في هذا برسولنا وأسوتنا عبد الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ بدأ دعوته بالدعوة إلى الله وحده ، وإلى النهي عن اتخاذ شركاء أو شفعاء من دون الله رب العالمين ، بدأ بوحي من الله

بدعوة الناس إلى التوحيد الخالص ، وإذا ما تمكنت عقيدة التوحيد الخالص من قلب المسلم ، جعلته إنساناً مثالياً في دينه وخلقه وروحانيته ، ودفعت به إلى الحياة بطلاً يعمل باسم الله لتحقيق المثل العليا للجماعة المسلمة ، بل للإنسانية عامة ، وجعلت منه ولياً كريماً للحق والعدل والخير والصدق والسمو والكرامة ، وذلك لأنه يحمل قلباً مؤمناً لا يحب إلا الله ، ولا يرهب غير الله ، ولا يتقى غير الله ، ولا يرجو إلا ثواب الله ، ولا يطيع غير الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما الصوفية سواء كانت نظرية أم عملية ، فقد قامت لتصرف الناس عن عبادة الخالق ، إلى عبادة المخلوق . إنساناً كان أم حيواناً ، ملكاً أم شيطاناً ، حياً أم ميتاً . لتجعل من المسلمين عباد هوى وشهوة وأوثان .

ناج القلب الصادق الإيمان باسم الله يَتَجَاوَبُ معك ، أبن له عن أمر الله ، تجده يتلمس كل سبيل إلى طاعة أمر ربه سبحانه ، ناشده باسم الله ما يحب الله تجده طيباً ذلولاً في عزة ونبل وكرم وإيثار . ثم سل القلب الصوفي بعض ما سألت قلب المؤمن ، فلن يسمع لك إلا إذا ناجيته باسم طواغيته ابن عربي وابن الفارض والشعراني وأمثالهم ، أو باسم أوثانه وأصنامهم ، من قباب آلهته الموتى . فنحن إذن نعمل أيكون لله وحده الدين خالصاً ، ولتكون قلوب عباده إيماناً به وحده ، وحباً له وحده ، ورجاء فيه وحده ، وتقوى له وحده ، ولتتوحد الجماعة الإسلامية بهذا الإيمان ، وهذا الحب ، وهذا الرجاء ، وهذه التقوى .

وإلى العلى القدير أضرع أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعل من المسلمين أمة واحدة تعمل بقول الله سبحانه : (وأن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون) .

عبد الرحمن الوكيل

عضو جماعة أنصار السنة المحمدية
 القاهرة : الجمعة ١٢ من صفر سنة ١٣٧٢
 ٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٢

البقاعي في سطور

ملخصة عن شذرات الذهب ، والضوء اللامع

هو الإمام إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي بن أبي بكر أبو الحسن
برهان الدين البقاعي الشافعي المحدث المفسر العلامة المؤرخ .

ولد سنة ٨٠٩ هـ ، بقرية خربة روحاً من عمل البقاع ، ونشأ بها ، ثم دخل
دمشق وفيها جود القرآن وجدد حفظه وأفرد القراءات ، واشتغل بالنحو والفقه
وغيرها من العلوم .

أخذ عن أساطين عصره ، كابن ناصر الدين وابن حجر ، وبرع ، وتميز ،
وناظر وانتقد حتى على شيوخه .

وصنف تصانيف عديدة . من أجلها المناسبات القرآنية ، وعنوان الزمان
بتراجم الشيوخ والأقران ، وتنبية الغبي بتكفير عمر بن الفارض وابن عربي ، دخل
بيت المقدس ، ثم القاهرة .

وتوفي بدمشق في رجب سنة ٨٨٥ عن ست وسبعين سنة .

١ - ديوانه في بيت خربة روح - قبة بن الوليد كما روى عنه طبعه في نسخة (١)

٢ - ديوانه في بيت خربة روح - قبة بن الوليد كما روى عنه طبعه في نسخة (٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

« خطبة الكتاب »

الحمد لله المصلِّ المهاد ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تضمن الإسعاد ، يوم يقوم الأشهاد . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى سبيل الرشاد . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين قموا أهل العناد ، وحكموا سيوفهم في رقاب أهل الفساد ، فلم يجسر أحد في زمانهم على إلحاد ، بتمثيل ، أو تعطيل ، أو حلول ، أو اتحاد . أبعدها الله من ذلك أيما إبعاد ، وحمانا منه على مر الدهور والآباد .

وبعد : فإني لما رأيت الناس مضطربين في ابن عربي ^(١) المنسوب إلى التصوف ، الموسوم عند أهل الحق : بالوحدة ، ولم أر من شفى القلب في ترجمته ^(٢) وكان كفره في كتابه الفصوص أظهر منه في غيره ، أحببت أن أذكر منه ما كان ظاهراً ، حتى يعلم حاله ، فيهجر مقاله ، ويعتقد انحلاله ، وكفره وضلاله ، وأنه إلى الهاوية مآبه ومآله ، امثالاً لما رواه مسلم عن أبي سعيد [الخدرى] رضى الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن

(١) هو أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائفي الأندلسي ، ولد بمرسية سنة ٥٦٠ ونشأ بها وانتقل إلى أشبيلية ثم ارتحل وطاف البلدان فطرق بلاد الشام والروم والمشرق ، ودخل بغداد ، وارتحل إلى مكة ، وكانت وفاته سنة

٦٣٨ هـ

(٢) غمط بقوله هذا حق الإمام ابن تيمية - وهو شيخ شيوخ البقاعي ، وإليه تنتهى الإمامة في نقد التصوف ، والبرهنة العقلية والنقلية على منابذته للحق من الكتاب والسنة ، وللبدهيات من العقل .

لم يستطع ، فبلسانه ، فإن [لم] يستطع ، فقبله ، وذلك أضعف الإيمان ^(١) »
وفي رواية [عن عبد الله بن مسعود] : « وليس وراء ذلك من الإيمان منقال حبة
من خردل » ، وما أحضر إلى النسخة التي نقلت ماتراه منها إلا شخص من كبار
معتقديه ، وأتباعه ومحبيه .

عقيدة ابن عربي وكيدته للإسلام

وينبغي أن يعلم أولاً أن كلامه دائر على الوحدة المطلقة ، وهي : أنه لا شيء
سوى هذا العالم ، وأن الإله أمر كلي لا وجود له إلا في ضمن جزئياته . ثم إنه
يسمى في إبطال الدين من أصله ، بما يحل به عقائد أهله ؛ بأن كل أحد على
صراط مستقيم ، وأن الوعيد لا يقع منه شيء ، وعلى تقدير وقوعه ، فالعذاب
المتوعد به إنما هو نعيم وعذوبة ، ونحو ذلك !! . وإن حصل لأهله ألم ، فهو لا ينافي
السعادة والرضى ، كما لم ينافها ما يحصل من الآلام في الدنيا ، وهذا يحط عند من
له وعى على اعتقاد : أنه لا إله أصلاً ، وأنه ماثم ^(٢) إلا أرحام تدفع ، وأرض
تبلع ، وما وراء ذلك شيء .

منهاج الصوفية في السكيد بدعوتهم

وكل ما في كلامه من غير هذا المميع ^(٣) فهو تستر وتلبيس على من ينتقد عليه ،
ولا يلقي زمام انقياده إليه ، فإنه علم أنه إن صرح بالتعطيل ابتداءً بعد كل سامع
من قبوله فأظهر لأهل الدين أنه منهم ، ووقف لهم في أودية اعتقادهم ، ثم استدرجهم
عند المضائق ، واستغواهم في أماكن الاشتباه ، وهو أصنع الناس في التلبيس ،

(١) مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه .

(٢) في الأصل : ماثم .

(٣) الطريق الواضح .

فإنه يذكر أحاديث صحاحا ، ويحرفها على أوجه غريبة ، ومناح عجيبة ، فإذا تدرج معه من أراد الله - والعياذ به - ضلاله ، وصل - ولا بد - إلى مراده من الانحلال من كل شرعة ، والمباعدة لسكل ملة . وخواص أهل هذه النحلة يتسترون [٣] بإظهار شعائر الإسلام ، وإقامة الصلاة والصيام ، وتمويه الإلحاد بزى التنسك والتعشف ، وتزويق الزندقة بتسميتها : بعلم التصوف ، فهو ممن أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « يحقر أحدكم صلاته مع صلاته ، وصيامه مع صيامه ، يقرءون القرآن ، لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ^(١) » .

وقد أصَّل لهم غويهم هذا كما صرح به في النص النوحى : أن الدعوة إلى الله مكر !! ونسب ذلك إلى الأنبياء عليهم السلام ، فقال : ادعوا إلى الله . فهذا عين المكر . . . إلى آخر كلامه .

وهذا هو السر في تنسكهم . على أنهم قد استغنوا في هذا الزمان عن التنسك ؛ لانقياد أهله بغير ذلك ، وقد يستدرجهم الله وأمثالهم - ممن يريد ضلاله - بإظهار شيء من الخوارق على أيديهم ، كما يظهره الله على يد الدجال ، وأيدي بعض الرهبان ، ليقبين الموقن من المراتب .

مثالهم في زندقته

وقد ضربوا - لتصحيح زندقته - مثالا مكروا فيه بمن لم ترسخ قدمه في الإسلام ، ولا خالط أنفاس النبوة ، حتى صار يدفع الشبه . حاصل ذلك المثال : أنهم يصلون إلى الله بغير واسطة المبعوث بالشرع ^(٢) ، فتم لهم المكر ،

(١) من حديث رواه البخارى - واللفظ له - ومسلم وأبو داود والنسائي .

(٢) قال ابن عربى : « علماء الرسوم يأخذون خلفا عن سلف إلى يوم القيامة ،

فيعد النسب . والأولياء يأخذون عن الله ألقاه في صدورهم » المناوى ص ٢٤٦

وتبعهم في ذلك أكثر الرعاع ، ولم يبألوا بخرق الإجماع ، وذلك المثال : أن ملكاً أقام على بابه سيافاً ، وقال له : من دخل بغير إذنك فاقتله ، وقال لغيره : أذنت لك في الدخول متى شئت ، فإذا دخل الغير ، فقد أصاب ، وإن قتله السياف فقد أصاب . وعنوا بالسياف : الشارع . فما أفادهم مثالمهم مع زندقتهم به شيئاً . فإنهم اعترفوا فيه بإباحة دماءهم ، وهو قصد أهل الشريعة ، ومن يعتقد أن لأحد من الخلق طريقاً إلى الله من غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو كافر من أولياء الشيطان بالإجماع ، فإن رسالته صلى الله عليه وسلم عامة ودعوته شاملة .

احتجاج الصوفية بقصة الخضر

ولا حجة لهم في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام ، للفرق بخصوص تلك الرسالة ، مع أن الخبر بعلم الخضر جاء من الله تعالى ^(١) إلى موسى عليه

(١) يقول ابن تيمية « ولا حجة فيها - أي في قصة الخضر - لوجهين . أحدهما : أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ، ولا كان يجب على الخضر اتباع موسى ، فإن موسى كان مبعوثاً إلى بني إسرائيل ، ولهذا قال الخضر لموسى : إنك على علم من علم الله علمك الله إياه ، وأنا على علم من الله علمنيه لا تعلمه أنت . ومحمد رسول الله إلى جميع الثقلين فليس لأحد الخروج عن مبياعته ظاهراً وباطناً ، ولا عن متابعة ما جاء به من الكتاب والسنة في دقيق ولا جليل ، لا في العلوم ، ولا في الأعمال . وليس لأحد أن يقول له كما قال الخضر لموسى . وأما موسى فلم يكن مبعوثاً إلى الخضر .

الثاني : إن قصة الخضر ليس فيها مخالفة للشريعة . بل الأمور التي فعلها تباح في الشريعة ، إذا علم العبد أسبابها كما علمها الخضر ، ولهذا لما بين أسبابها لموسى واقفه على ذلك ، ولو كان فيها مخالفة للشريعة لم يواقفه بحال . فإن خرق السفينة مضمونه : أن المسال المعصوم يجوز للإنسان أن يحفظه لصاحبه بإتلاف بعضه ، فإن ذلك خير من ذهابه بالكلية ، كما جاز للراعي على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أن يذبح الشاة التي خاف عليها الموت . وقصة الغلام مضمونها : جواز قتل الصبي الصائل =

السلام ، فأين هي من دعاويهم^(١)؟! ولا شبهة عليها ، فضلا عن دليل ، بل هي مصادمة للقواطع ، ومن صادم القواطع ، انقطعت عنقه ، ولو بلغ في الزهد والعبادة أقصى الغايات (٨٨ : ٢ - ٤ وجوه يومئذ خاشعة . عاملة ناصبة . تصلى نارا حامية) الآيات . ولو وقعت منهم الخوارق ، فإنها شيطانية . قال الله تعالى : (٤٣ : ٣٦) ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاننا ، فهو له قرين (٦ : ١٢١) وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ؛ ليجادلوكم ، وإن أطمعوهم ، إنكم لمشركون .

القول في صرف الكلام عن ظاهره

وسميت هذه الأوراق : تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي ، وإن شئت فسمها : النصوص من كفر [٤] الفصوص ، لأنني لم أستشهد على كفره ، وقبيح أمره إلا بما لا ينفع معه التأويل من كلامه ، فإنه ليس كل كلام يقبل تأويله ، وصرفه عن ظاهره . وذلك يرجع إلى قاعدة الإقرار بشيء ، وتعقيبه بما يرفع شيئا ما من معناه ، ولا خلاف عند الشافعية في أنه إن كان مفصولا لا يقبل ، وأما إذا كان موصولا ، ففيه خلاف . ومن صورة ما لا ينفع فيه الصرف عن الظاهر ،

= ولهذا قال ابن عباس : وأما الغلمان فإن كنت تعلم منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم وإلا فلا . وأما إقامة الجدار ففيها فعل المعروف بلا أجره مع الحاجة ، إذا كان لذرية قوم صالحين « باختصار عن مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٦٧ . وأقول : على فرض أن في القصة مخالفة الباطن للظاهر . فهذا بالنسبة إلى شريعتين ، شريعة الخضر وشريعة موسى . أما الأمر بالنسبة إلى الخضر ، فكان ما فعله هو الظاهر في شريعته ، فلم يخالف ظاهر ما فعل باطن ما به أمر . فليس إذن ثم باطن خالف ظاهراً ، أما دعوى الصوفية فتفترى جواز مخالفة الباطن للظاهر في الشريعة الواحدة .

(١) في الأصل : دعا .

كما لو أقر ببيع ، أو هبة ، ثم قال : كان ذلك فاعدا ، فأقررت بظني الصحة ، فإنه لا يصدّق في ذلك .

حكم من ينطق بكلمة ردة

ونقل الشيخ سراج الدين بن الملتن في العمدة على المنهاج ، والزرکشي في التذكرة عن إمام الحرمين ، أنه قال في أوائل الإيمان : « قال الأصوليون : لو نطق بكلمة الردة ، وزعم أنه أضمر تورية كفر ظاهرا وباطنا » قال الإمام الغزالي^(١) في البسيط بعد حكايته أيضا عن الأصوليين : « لحصول التهاون منه ، وهذا المعنى - يعني التهاون - لا يتحقق في الطلاق ، فاحتمل قبول التأويل بإطلاقه . وسيأتي ما يشهد لذلك من نقل شيخ الإسلام الشيخ زين الدين العراقي عن العلامة علاء الدين القونوي مُحَسَّنًا له ، على أن بعض العلماء غلب جانب الحرمة لله ولرسوله فمنع التأويل مطلقا . قال القاضي أبو الفضل عياض^(٢) للمالكي في كتابه :

(١) لقب الغزالي في التاريخ الذي صنعه الأهواء بالإمام ، وغولى فيه حتى لقب بحجة الإسلام . أما هو في التاريخ الذي يستمد من الحق قصصه وعبره . ويشهد بصدقه كتبه . فليس من هذه الألقاب السحرية في شيء . بما خلفه في كتبه من تراث هو أرجاس من الباطنية ، والصوفية ، والفلاسفة ، وفيه ما يناقض أصول الدين الذي لقب هو بأنه حجته وإمامه . يقول ابن تيمية عنه - وقوله عن بيئته « ولهذا صنف الكتب المضمون بها على غير أهلها . وهي فلسفة محضة سلك فيها مسلك ابن سينا » ثم يقول عن كتابه المضمون به على غير أهلها « وهو فلسفة محضة . قول المشركين من العرب خير منه ، دع قول اليهود والنصارى » النبوات لابن تيمية ص ٨٢ - ٨١ وقال عنه أخص أصحابه أبو بكر بن العربي الفقيه المالكي « شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلاسفة ، ثم أراد أن يخرج منها فما قدر » والغزالي نفسه يقر في كتابه التأويل : بأنه رجل ردىء البضاعة في الحديث !!

(٢) ولد بمدينة سبته سنة ٤٧٦ هـ وتوفي بمراكش سنة ٥٤٤ هـ .

الشفاء ، وهو الذي تلقته الأمة بالقبول ، وتدارسوه في الارتحال والحلول^(١) -
في القسم الرابع منه : « فصل : الوجه الرابع : أن يأتي من الكلام بمجمل ،
ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم ، أو غيره ، أو
يتردد في المراد به من سلامته من المسكروه ، أو شره ، فهنا متردد النظر ، وحيرة
العبر ، ومظنة اختلاف المجتهدين ، ووقفه استبراء^(٢) المقلدين ؛ (٨ : ٤٣) ليهلك
من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن بينة) فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله
عليه وسلم ، وحى حى عرضه ، فحس على القتل ، ومنهم من عظم حرمة الدم^(٣) »
بيان ماهو من المقالات كفر

وقال في فصل بيان ماهو من المقالات كفر : « كل مقالة صرحت بنفى
الربوبية ، أو الوجدانية ، أو عبادة أحد غير الله ، أو مع الله ، فهي كفر ،
كقالة الدهرية^(٤) ، وسائر فرق [أصحاب^(٥)] الإثنين [من الديبانية^(٦)]
(١) ليس للشفاء هذه القيمة التي مجده بها البقاعى . قال الحافظ الذهبي عنه :
إنه محشو بالأحاديث الموضوعة ، والتأويلات الواهية الدالة على قلة تفقده بما لا يحتاج
إليه قدر النبوة .

(٢) في الأصل : استبر . والتصويب من الشفاء .

(٣) ص ٢٥٥ ج ٢ الشفاء ط الأستانة سنة ١٢٩٠ هـ

(٤) يقول عنهم الحميرى في كتابه الحور العين ص ١٤٣ : « إنهم القائلون بقدوم
العالم و قدوم الدهر ، وتدبيره للعالم وتأثيره فيه ، وأنه ما أبلى الدهر من شئ أحدث
شيئاً آخر » ويتحدث الشهرستاني عنهم في الملل ، فيقول عنهم : « أنكروا الخلق
والبعث والإعادة ، وقالوا بالطبع المحي ، والدهر المقتنى ، وهم الذين أخبر عنهم القرآن
المجيد (٤٥ : ٢٤) وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا ، نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر)
إشارة إلى الطبائع المحسوسة في العالم السفلى ، وقصر الحياة والموت على تركيبها
وتحللها ، فالجامع هو الطبع ، والمهلك هو الدهر » ص ٢٥٩ ج ٢ ط توفيق .

(٥) ما بين هذين [] ساقط من الأصل . وأثبتته نقلا عن الشفاء .

(٦) هم أصحاب ديسان القائلون بأصلين : النور والظلام ، فالأول يصنع الخير =

والمنازية^(١) ، وأشباههم من الصابئين^(٢) والنصارى والمجوس^(٣)] والذين أشركوا

== قصداً واختياراً ، والثاني يفعل الشر طبعاً واضطراراً ، ويزعمون أن سمع النور وبصره وسائر حواسه شيء واحد . فسمعه هو بصره ، وبصره هو حواسه » انظر ج ٢ ص ٨٩ من الملل والنحل .

(١) أصحاب ماني بن قاتك الذي ظهر في عهد سابور بن أردشير . وضع ديناً بين المجوسية والنصرانية ، وزعم أن العالم مركب من أصلين قديمين نور وظلمة . الأول مصدر الخير ، والثاني مصدر الشر . ويدين ماني بأن الظلام امتزج بالنور امتزاجاً كلياً في هذا الوجود ، ولا يمكن أن يفصل النور عن الظلام إلا بعد أن يفنى هذا العالم ، ولهذا حرم الزواج على أتباعه حتى يبئد النوع الإنساني ، فيستطيع النور الخلاص من الظلام ، ولهذا قتله الملك . ودعوة ماني ذات نزعة تشاؤمية سوداء ، شديدة الغلو في الحث على الزهد والحرمان .

(٢) اختلف في شأن الصابئة . فالمسعودي يرى أنهم عبدة الكواكب ، فيقول في المروج — وهو بصدد الحديث عن أحد ملوك الفرس : « وظهر في سنة من ملكه رجل يقال له : بوداسف أحدث مذهب الصابئة ، وقال : إن مجالى الشرف الكامل ، والصالح الشامل . ومعدن الحياة في هذا السقف المرفوع «يعنى السماء» وأن الكواكب هي المدبرات والواردات والصادرات» مروج الذهب ج ١ ص ٢٢٢ ويقول عنهم الحميري في الحور العين ص ١٤١ « وقال الصابئون : شيثان قديمان : نور وظلام ، فالنور عالم ، والظلام جاهل . وقيل : إن الصابئين قوم يعبدون الملائكة . وقيل : إن الصابئين قوم يخرجون من دين إلى دين » .

ويقول الرازي في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٩٠ : « إنهم قوم يقولون : إن مدبر هذا العالم وخاتمه هذه الكواكب السبعة والنجوم ، فهم عبدة الكواكب » ويقول الشهرستاني في الملل والنحل « ذكرنا أن الصبوة في مقابل الخفية . وفي اللغة : صبا الرجل إذا مال وزاغ ، فبحكم ميل هؤلاء «يعنى الصابئة» عن سنن الحق ، وزيفهم عن نهج الأنبياء ، قيل لهم : الصابئة ، وإنما مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين » .

ويقول في موضع آخر « ومنهم — أي من الناس — من يقول بالمحسوس والمعقول والحدود والأحكام ، ولا يقول بالشرعية والإسلام ، وهم الصابئة » وانظر القرطبي ج ١ ص ٣٨٠ ، وابن خلدون ج ١ ص ١١٦ .

(٣) هم الثنويون من الفرس الذين يثبتون أصلين مدبرين قديمين يقسمان الخير ==

بعبادة الأوثان ، أو الملائكة ، أو الشياطين ، أو الشمس ، أو النجوم ، أو النار ،
أو أحد غير الله^(١) . ثم قال : « وكذلك من أقر بالوحدانية ، وصحة النبوة ،
ونبوة نبينا عليه السلام ، ولسكن جوز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به . ادعى
في ذلك المصلحة بزعمه ، أو لم يدعها - فهو كافر بإجماع ، كالمفلسين ، وبعض
الباطنية^(٢) والروافض^(٣) ، وغلاة المتصوفة ، وأصحاب الإباحة^(٤) ؛ فإن هؤلاء

= والشر . انظر الملل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٥٩ ط صبيح ، والحوار العين
للحميري ص ١٤٢ ، واعتقادات فرق المسلمين والمشرىين للرازي ص ٨٦ .
(١) ص ٢٦٨ ج ٢ الشفاء .

(٢) بل كل الباطنية ، فما من باطنى إلا وهو يبطن البغضاء لله ورسوله ، وأولى
الناس بهذا اللقب هم الصوفية .

(٣) يقول الأشعري في كتابه المقالات « وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر
وعمر ، وهم مجمعون على أن النبي صلى الله عليه وسلم ، نص على استخلاف علي بن
أبي طالب باسمه وأظهر ذلك وأعلنه ، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به
بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم » ص ٨٧ . ويقول ابن تيمية « فهذا اللفظ - يعني
الرافضة - أول ما ظهر في الإسلام ، لما خرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة
الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك ، واتبعه الشيعة ، فسئل عن أبي بكر وعمر ،
فتولاهما وترحم عليهما ، فرفضه قوم ، فقال : رفضتموني ، رفضتموني ، فسموا :
الرافضة » ص ٢٥ ط مجموعة الرسائل الكبرى . وانظر ص ١٨٤ من الحوار العين
ففيه تفصيل مادار بين الرافضة وبين زيد من محاجة في شأن أبي بكر وعمر .

(٤) هم صنفان . صنف كانوا قبل قبل دولة الإسلام كالمزديكية ، وصنف ظهروا
في الإسلام . وهم كذلك صنفان . بابكية ، ومازيرية . والأول أتباع الحرّمي الذي
ظهر في الجبال بناحية أذربيجان ، وكثروا واستباحوا المحرمات وقتلوا الكثير من
المسلمين . وأما المازيرية فهم أتباع مازيار . وكانت لهم ليلة يجتمعون فيها على الخمر
والزمر . رجالهم ونساؤهم ، فإذا طقت السرج افتض الرجال النساء . انتهى مختصراً
عن مختصر الفرق بين الفرق ص ١٦٢ ، وانظر ص ٧٤ من الاعتقادات للرازي
وص ٣١ من كشف أسرار الباطنية للحمادي . ولعله لقب عام يصدق على كل طائفة =

زعموا أن ظواهر الشريعة [٥] وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار، ليس منها شيء على مقتضى لفظها، ومفهوم خطابها، وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة، إذ لم يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم^(١)؛ فمُصَّنَّ^(٢) مقالاتهم بإبطال الشرائع، وتعطيل الأوامر والنواهي، وتكذيب الرسل والارتياح فيما أتوا به. . . وكذلك تكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في أن [في]^(٣) كل جنس من الحيوان نذيراً ونبياً من الفردة والخنزير والدواب والدود [ويحتج بقوله تعالى: (٣٥: ٢٤) وإن من أمة إلا خلا فيها نذير^(٤)] إذ ذلك يؤدي إلى أن توصف أنبياء هذه الأجناس

تستبيح لنفسها ما حرمه الله سبحانه، ولعل القراء على ذكر مما نشرته الصحف عن إحدى الطرق الصوفية التي استباح شيخها لنفسه أعراض أتباعه رجالاً ونساء، مما يؤكدهم أن كل طريقة صوفية: إنما هي امتداد لفرقة سابقة ناهضت الإسلام، ونايذت شرعته.

(١) يقول ابن سينا «أما أمر الشرع فينبغي أن يعلم فيه قانون واحد، وهو أن الشرع والمثل الآتية على لسان نبي من الأنبياء، يرام بها خطاب الجمهور كافة. ثم من المعلوم الواضح، أن التحقيق الذي ينبغي أن يرجع إليه في صحة التوحيد من الإقرار بالصانع موحداً مقدساً — تمتنع إلتساؤه إلى الجمهور. ثم لم يرد في القرآن من الإشارة إلى هذا الأمر الأهم شيء، ولا أتى بصريح ما يحتاج إليه من التوحيد بيان مفصل، وإذا كان الأمر في التوحيد هكذا، فكيف فيما هو بعده من الأمور الاعتقادية» باختصار عن رسالة الأضحوية لابن سينا من ص ٤٤.

وهكذا يدين الفلاسفة ومخانيثهم الصوفية بأن ليس في القرآن ما يهتدى النفس إلى التوحيد أو يبين للفكر ما يجب اعتقاده في الله، وغير هذا من الأمور التي هي قوام الدين وملاكه. يدينون بهذا الإلحاد، ويقررونه في كتبهم في جرأة بالغة السفه والقحة والجحود بآيات الله التي تقرر في جلاء وإشراق ما يجحد به الفلاسفة.

(٢) في الأصل: فمضمون، وهي كما أثبتتها في الشفاء.

(٣) ساقطة من الأصل. وأثبتتها عن الشفاء.

(٤) القائلون بهذا هم الحائطية أتباع أحمد بن حنبل، أحد أصحاب النظام

بصفتهم المذمومة ، وفيه من الإزراء على هذا المنصب المنيف ما فيه ، مع إجماع المسلمين على خلافه ، وتكذيب قائله ^(١) » انتهى

قلت : فكيف يمن يدعى أن الإله عين كل شيء من ذلك ^(٢) ! ؟
« وكذلك وقع الإجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب ، أو خص ^(٣)
حديثاً مجعاً على نقله ، مقطوعاً به ، مجعاً على حمله على ظاهره ، كتكفير الخوارج
بإبطال الرجم ؛ ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل ، أو توقف فيهم
أوشك ، أو صحح مذهبهم ، وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده ، واعتقد إبطال
كل مذهب سواه ، فهو كافر بإظهاره ^(٤) ما أظهر من خلاف ^(٥) ذلك » . انتهى

قلت : فكيف بمن يقول : إن جميع الخلق من أهل الملل وغيرها على
صراط مستقيم ^(٦) ، وأن فرعون مات طاهراً مطهراً ^(٧) بعد النص القطعي على أنه

= أنظر ص ٢٠ من كتاب الفرق الإسلامية للأستاذ محمود الشبيشي . وما بين
هذين [] أثبتته عن الشفاء .

- (١) ص ٢٩٦ ، ٢٧٠ ج ٢ من الشفاء .
(٢) أي من القردة والحنازير والدواب والدود التي كفر القاضي عياض من
يزعم النبوة لشيء منها . واقتراء أن الإله عين كل شيء من هذه وغيرها ، هو دين
ابن عربي وأحلاس زندقته . لإيمانه بوحدة الوجود .
(٣) كذا بالأصل . وبصلب الشفاء أيضاً ، ولكن على هامش الشفاء ط الآستانة
تصويب هو « أو نص حديث مجمع على نقله مقطوع به ، مجمع على حمله على ظاهره » .
وهو هكذا في الشفاء . ط المطبعة الأزهرية بشرح القاري . وهذا هو الصواب .
بدليل ما كفر به الخوارج ، وهو إبطالهم للرجم ، والرجم إنما نصت عليه السنة
لا القرآن فتكون العلة في تكفير القاضي لهم هي مخالفتهم لنص حديث .
(٤) في الأصل : وما . والتصويب من الشفاء .
(٥) ص ٥١٠ ج ٤ ط المطبعة الأزهرية بشرح القاري .
(٦) هذا دين ابن عربي لإيمانه بوحدة الأديان .
(٧) سيأتي النص بلفظه .

من أهل النار؛ بقوله تعالى: (١٠ : ٨٣ وإن فرعون لعالٍ في الأرض ، وإنه لمن المسرفين) وقوله تعالى: (٤ : ٤٣ وأن المسرفين هم أصحاب النار) !!
وقال: ^(١) إن كل عابد شيئاً فهو عابد لله ، وحرّف ما أخبر به عن عذاب قوم نوح وهود ، ونحوهم بما سيأتي من أن ما حلّ بهم أعقبهم راحة وعدوبة ، وأن الله تعالى كان ناصرهم على أنبيائه ، فإن العداوة ما كانت إلا بينهم وبينهم ؟ !
قال ^(٢) : « وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب ، وأنكر قاعدة من قواعد الشرع ^(٣) » ثم قال : « وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية ، وقاضي قضاتها أبو عمرو المالكي على قتل الحلاج ^(٤) وصلبه لدعواه الإلهية ، والقول بالحلول ، وقوله : أنا الحق ، مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ، ولم يقبلوا توبته ، وكذلك حكموا في ابن أبي الغرايد ^(٥) »

(١) أي ابن عربي .

(٢) أي القاضي عياض .

(٣) ص ٢٧٢ ج ٢ الشفاء ط الآستانة .

(٤) هو الحسين بن منصور ولد سنة ٢٤٤ هـ وهلك مصلوباً سنة ٣٠٩ . وفي

عصره تم انتقال التصوف من جانبه العملي إلى جانبه النظري . فبدأ الصوفية يتحدثون

عن ماهية الإله ، وعن حقيقة العلاقة التي تربط الإنسان بالله : وقد آمن الحلاج بثنائية

الطبيعة الإلهية باللاهوت والناسوت ، وآمن بحلول اللاهوت في الناسوت . والحلاج

في هذا متأثر بالمسيحيين السريان الذين استعملوا اللاهوت والناسوت للدلالة على

طبيعتي المسيح . يقول في الطواسين ص ١٣٤ :

أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني ، أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

ويقول في ص ٥١ « أنا الحق ، وصاحبي وأستاذي إبليس وفرعون » .

(٥) هو محمد بن علي أبو جعفر الشلمغاني . كان يعتقد أنه إله الآلهة ، وأن الله

مبجسانه يحل في كل شيء على قدر ما يحتمل ، وأنه قد حل في آدم ، وفي إبليس ،

وأن الله تعالى إذا حل في جسد أظهر من القدرة والمعجزة ما يدل على أنه هو الله =

- وكان علي [نحو] ^(١) مذهب الحلاج - بعد هذا أيام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ أبو الحسين بن أبي عمر المالكي ^(٢) « انتهى .
قلت : فكيف بمن يقول صريحاً : إن الخلق هو الحق ^(٣) ، والحق هو الخلق . والحق هو الإنسان الكبير ، وهو حقيقة العالم وهويته !؟
وقال شيخ الإسلام الشيخ محي الدين النووي الشافعي في كتاب الردة الروضة ^(٤) مختصر الرافي . قال المتولي : « من اعتقد قدم العالم ، أو حدوث [٦] الصانع - إلى أن قال - أو أثبت له الانفصال ، أو الاتصال ، كان كافراً ^(٥) » انتهى .

له كتاب اسمه الحاسة السادسة ، صرح فيه برفض الشريعة وإباحة اللواط . وزعم أنه إيلاج نور الفاضل في المفضول ، ولذا أباح أتباعه نساءهم له ، طمعاً في إيلاج نوره فيهن . وكان يسمى محمداً وموسى بالخائنين ، زعماً منه أن هرون أرسل موسى ، وأن علياً أرسل محمداً فخاناها . صلب في خلافة الراضي سنة ٣٢٢ انظر السكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٢٤١ ، والشذرات ج ٢ ص ٢٩٣ ، ومختصر الفرق ص ١٦٠

- (١) ساقطة من الأصل . وأثبتها عن الشفاء .
- (٢) ص ٢٨٢ ج ٢ الشفاء .
- (٣) يعني الصوفية بالحق : الله تبارك وتعالى .
- (٤) لعله سقط حرف «من» قبل لفظ الروضة .
- (٥) في التصريح بنفي الاتصال والانفصال معاً في آن واحد ، وعن ذات واحدة خلل منطقي . فحما يتقابلان تقابل السلب والإيجاب ، فيلزم من انتفاء أحدهما ثبوت الآخر . وفيهما أيضاً إجمال واشتباه ، فقد يعني بالانفصال أنه سبحانه بائن من خلقه مستو على عرشه ، ليس كمثل شيء . وهذا حق يؤمن به من أسلم قلبه لله ، ووحدته توحيداً صادقاً في ربوبيته وآمن بأسمائه وصفاته كما هي في القرآن والسنة . وقد يعني بالانفصال أنه سبحانه لا يتصل بالعالم صلة خالق أو تدير ، أو علم منه سبحانه ، أعني نفي كونه خالقاً علماً يدبر الأمر ، أو أنه سبحانه ليس لإرادته ، أو قدرته أثر في مقادير الوجود ، وغير ذلك مما يدين به الفلاسفة ، ومرادهم منه =

قلت فكيف بمن يصرح بأنه^(١) عين كل شيء ؟! قال : « والرضى بالكفر كفر » . قلت : فكيف بمن يُصَوِّب كل كفر ، وينسب ذلك التصويب إلى نقل الله تعالى له عن نبيه هود عليه السلام ؟
ويقول : إن الضلال أهدى من الهدى ؛ لأن الضال حائر ، والحائر دائر

= نفى الخالق القادر المرید المختار . وهذا كفر يمجّد بالربوبية والإلهية .
وكذلك الاتصال : فقد يراد به أنه سبحانه يدبر الكون ، ويصرف الليل والنهار ، ويسخر الشمس والقمر ، ويحيط علمه بكل شيء كلياً كان أو جزئياً ، وتشمل قدرته كل شيء ، وغير هذا مما يشهد بكمال الربوبية . وهذا حق لا يتم الإيمان إلا به . وقد يعنى به مفهومه الصوفي ، أى أنه سبحانه حال فى كل شيء ، أو متحد بكل شيء ، أو أنه عين كل شيء ، أو أنه هو الوجود السارى فى كل موجود ، ومن يدين بهذا فهو زنديق ، أو مجوسى ، أو بتعبير أدق : صوفى . فالصوفية مرادفة لكل ما يناقض الإيمان الحق ، والتوحيد الحق . لذا يجب على كل من ينجر عن الله أو صفاته أو أسمائه أن يلتزم حدود ما أخبر الله به عن نفسه ، وأخبر الرسول به عن ربه ، وإلا ترندق ، أو تمجس كالصوفية ، وألحد كالفلأسفة ، وضل كالمسكمين ألم تر إلينا نحن البشر كيف نعيب فلاناً بأنه لم يكن دقيق التعبير عن المذهب الفلسفى أو الأخلاقى ، أو الفنى لفلان ، أو لم يكن مهذباً فيما تحدث به عن فلان ، أو خاطب به فلاناً ، بل قد نذهب فى مذمته كل مذهب ، حتى تهمة بالعى والفهاهة والسفه ، فكيف - والله المثل الأعلى - نطلق للقلم العنان فيما يكتب عن الله ، مما يصوره له الأفن والوهم عن ذات الله وصفاته ؟ وكيف نستبيح - سادرين - الإخبار عن الله سبحانه بما لا يجب ، وما لا يرضى ، وما لم ينجر به عن نفسه . ونصف هذه الجرأة الكافرة بأنها حرية فكرية أو تجاوب مع العقل ، أو استيحاء من الذوق ! ولقد كان من نتائج هذه الحرية الزعومة - والحق أنها عبودية للوهم وللشيطان - أن آمن بعض الناس برب لا يوصف إلا بالسلب ، أى بالعدم نعتوه ربا . أو برب هو عين العبد ، أو بإله يجب أن يعبد فى كل شيء ، لأنه عين كل شيء . ! . فلتمجّد العبودية ربوبية الله ، بما يجب سبحانه وحده أن تمجد به .
(١) أى الله سبحانه .

[حول القطب^(١) والمهتدي سالك في طريق مستطيل ، فهو بعيد عن القطب ؟ !

وسترى ذلك كله في عباراته^(٢) صريحا .

ثم نقل الشيخ محي الدين النووي عن الحنفية - مرتضيا له - قائلا : « إن إطلاق أصحابنا يقتضى الموافقة عليه . أنه إذا سخر بوعده الله تعالى ، أو بوعده كَفَرَ . ولو قال : لا أخاف القيامة - كَفَرَ » انتهى .

قلت : فكيف بمن يقول : إنه ليس لوعيد الله عينٌ تُعَيَّن ، وأن الآخرة موضع السعادة لكل أحد ، والمعذب مُنعمٌ بعذابه ؟ !

ثم نقل الشيخ عن القاضي عياض - مرتضيا له - : « أن من لم يكفر من دان بغير الإسلام ، كالنصارى ، أو شك في تكفيرهم ، أو صحح^(٣) مذهبهم ، فهو كافر ، وإن أظهر مع ذلك الإسلام ، واعتقده - قال : وكذا تقطع بتكفير كل قائل قولا يتوصل به إلى تضليل الأمة ، أو تكفير الصحابة^(٤) » .

ثم قال^(٥) في الباب الثاني في أحكام الردة : « إن حكمها إهدار دم المرتد ، فيجب قتله إن لم يتب ، سواء كان الكفر الذي ارتد إليه كفراً ظاهراً ، أو غيره ككفر الباطنية » انتهى .

(١) القطب عند الصوفية عبارة عن « الواحد الذي هو موضع نظر الله في الأرض في كل زمان ، أعطاه الطلسم الأعظم من لونه ، وهو يسرى في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد ، ويفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل » . وستعرف مما سنذكره عن خصائص القطب أن ابن عربي يريد بالقطب هنا الله سبحانه وهو في زعمه متعين في صورة الحقيقة الحمديدية

(٢) أي عبارة ابن عربي . فكل ما يذكره المؤلف دائماً بعد قوله : قلت فكيف بمن يقول . . . هو من دين ابن عربي .

(٣) في الأصل : صح .

(٤) انظر ص ٢٧١ ج ٢ من الشفاء .

(٥) أي النووي .

وقال الإمام شرف الدين إسماعيل بن المقرئ في مختصر الروضة: « فمن اعتقد قدم العالم - إلى أن قال - أو شك في تكفير اليهود والنصارى ، وطائفة ابن عربي - كَفَرَ ، لا إن جعل لقب إسلامه أو بعده عن المسلمين »^(١) . انتهى

الباطنية^(٢)

قال الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في كتاب الملل والنحل :
« وإنما لزمهم - يعنى الباطنية - هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ،
ولكل تنزيل تأويلا ، ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه على لسان قوم [قوم]^(٣)
فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة^(٤) والمزدكية ، وبخراسان : التعاليمية والملحدة ،
وهم يقولون : نحن إسماعيلية^(٥) ، لأننا نميز عن فرق الشيعة بهذا الاسم ، وهذا

(١) كذا بالأصل . وفي الكلام اضطراب ، فليحزر

(٢) يقول أبو المظفر الاسفراينى في التبصير ص ٨٤ : « إن الدين وضعوا دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس ، وكان ميلهم إلى دين أسلافهم ، ولكنهم لم يقدروا على إظهاره مخافة سيوف المسلمين »

(٣) ساقطة من الأصل ، وأثبتها عن الملل والنحل
(٤) طائفة سياسية دينية اتخذت الدعوة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وسيلة إلى تحقيق أغراضها السياسية والدينية ، هي قلب الدولة الإسلامية ، وبعث المجوسية الفارسية ، وقد عرفت بهذا نسبة إلى حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط ، وكان في أول أمره أكارا من أكرة سواد الكوفة ، وقد ظهر بدعوته للمعونة أيام المأمون ، وقد نجحت هذه الفرقة في إقامة دولة لها في بلاد البحرين ، وجعلت الأحساء عاصمة لدولة القرامطة

(٥) فرقة من الشيعة الإمامية ، تزعم أن الإمامة انتقلت من جعفر الصادق - وهو الإمام السادس للشيعة - إلى ولده إسماعيل . ومنهم الفاطميون . وهم الآن فريقان : البهرة السلمانية أتباع أغا خان وهم في الهند وبنجبار والشام ، يرون في زعيمهم إلها مقدسا يصير كل مامسه مقدسا . ومبازل هذا الإله وتهتكاته مشهورة

الشخص - يعني إسماعيل بن جعفر - ثم إن الباطنية القديمة خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة ، وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج ، فقالوا في البارئ تعالى : إنا لا نقول : هو موجود ، ولا : لا موجود ، ولا عالم ، ولا جاهل ، ولا قادر ، ولا عاجز وكذلك في جميع الصفات ، فإن الإثبات الحقيقي يقتضى شركة بينه وبين سائر الموجودات في الجهة التي أطلقناها عليه ، وذلك تشبيهه ، فلم يمكن الحكم بالإثبات المطلق ، والنفي المطلق ، بل هو إله المتقابلين ، وخالق الخصمين ، والحاكم بين المتضادين^(١) ، ونقلوا في هذا نصا عن محمد بن علي الباقر [٧] أنه قال : لما وهب العلم للعالمين قيل : هو عالم ، ولما وهب القدرة للقادرين قيل : هو قادر ؛ فهو عالم قادر ؛ بمعنى أنه وهب العلم والقدرة ، لا بمعنى أنه قائم به العلم والقدرة ، أو وُصِفَ بالعلم والقدرة ، فقيل [فيهم]^(٢) إنهم نفاة الصفات حقيقة ، معطلة الذات عن

معروفة لرواد مواخير فرنسا ، وغيرها ، وأندية القمار . وأثاوتة المفروضة على أتباعه تجعل منه قارون العصر الحديث . والفريق الثاني : هم البهرة الداودية . وهم أتباع طاهر سيف الدين ، وينتشرون في بومباي وكراشي وجبل حراز باليمن ، وبعض جهات زنجبار . ولطاهر عليهم الكلمة النافذة التي لا ترد ولا تناقش ، وكيف ، وهو الإمام المعصوم ؟ ! هذا وقد نشط دعاة الإسماعيلية في السنين الأخيرة نشاطا عجيبا غربيا في مصر ، من مظاهره اتصال زعمائهم بشيوخ الأزهر ، ونشر بعض أساتذة الجامعة بعض مخطوطاتهم التي كانوا أشد ما يكونون حرصا على إخفائها ، ولا يخالطنا شك في أن غاية الناشر هي خدمة الحقيقة ، ونحن نرحب بهذا النشر حتى يكون المسلمون على بينة من أمر هذه الطوائف التي تعمل جاهدة في سبيل أن تكون المجوسية دينا ودولة .

(١) قال الحميري في الحور ص ١٤٨ : «وقالت الإسماعيلية : إن الله لا شيء ، ولا : لا شيء لأن من قال إنه شيء فقد شبهه ، ومن قال إنه لا شيء فقد نفاه . فقالوا فيه بالنفي والإثبات جميعا » اقرأ كتاب راحة العقل للكرمانى ففيه تفصيل مذهبهم

(٢) أثبتنا نقلا عن الملل والنحل

جميع الصفات . قالوا : وكذلك نقول في القدم : إنه ليس بقديم ، ولا محدث ، بل القديم أمره و كلمته ، والمحدث خلقه وفطرته ^(١) « انتهى .
وقول ابن عربي في الجمع بين التشبيه والتنزيه أشنع من هذا ، وأبشع ، وأقبح وأفظع .

من هو الزنديق ؟

قال الشيخ محي الدين النووي : « وسواء كان ظاهر الكفر ، أو زنديقا يظهر الإسلام ويبطن الكفر » كذا فسر الزنديق في باب الردة في كتاب الفرائض وضعفه الأئمة . قال ابن الملقن في العمدة ، وقال في كتاب اللعان في الكلام على التغليظ : « إنه الذي لا ينتحل ديناً - قال : وهذا أقرب ؛ لأن الأول هو ^(٢) المنافق ، وقد غيروا بينه وبين الزنديق . قال : وقال الغزالي في الأصول : الزنديق ضربان . زنديق مطلق . وهو الذي ينكر أصل المعاد حساً وعقلاً ، وينكر الصانع . وزنديق مقيد ، وهو الذي يثبت المعاد بنوع عقل ، مع نفي الآلام واللذات الحسية الجسمية ، وإثبات الصانع مع نفي علمه ، فهذه زندقة مقيدة بنوع اعتراف بتصديق الأنبياء » . انتهى .

وسياتي في آخر هذا الكتاب عن العلامة علاء الدين البخاري ^(٣) تحقيق معنى الزنديق ، وغيره من أسماء الكفرة .

(١) ص ٣٦٦ ج ١ الملل والنحل ط توفيق

(٢) أي من قال عنه النووي قبل أنه الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد بن علاء الدين البخاري العجمي الحنفي ولد سنة ٧٧٩ هـ ، ونشأ ببخارى . ثم استقر به النوى في مصر ، وفيها علا قدره ، وعظم عند أهلها جاهه ، وقدمات بالشام سنة ٨٤١ . والبخاري صوفي كبير كانت له الكلمة النافذة في عصره ، وإن كان هو ممن كفر ابن الفارض وابن عربي ، وتلك ظاهرة تقف بالنظر عندها ليستبطنها ، ويستخرج من أعماقها العبر ، فكبار =

على أن قتل المعتقد لمثل هذا لا بد منه ، ولو توقفنا في تسميته . قال القاضي عياض : « وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية : يستتابون ، فإن تابوا ، وإلا قتلوا^(١) » وقال عيسى عن أبي القسم في أهل الأهواء من الأباضية^(٢) والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من أهل البدع والتحريف لتأويل كتاب الله تعالى : يستتابون ، أظهروا ذلك أو أسروه ، فإن تابوا وإلا قتلوا ، وميراثهم لورثتهم . وقال مثله ابن القسم في كتاب محمد في أهل القدر .. وقد انتهى بنا المقال الدال على كفر من اعتقد ما قاله من الضلال ، وهذا حين الشروع في سوق كلامه الموضح لفساد طويته ، وقبح مرامه .

= الصوفية من المشرق والمغرب كانوا يفدون إلى مصر ، فتكسوم الأوهام طيالس الدهاقين ، وتصنع لهم التهاويل صور القديسين ، كالبخاري والشاذلي والبدوي وغيرهم فلم كانوا يفدون إلى مصر بالذات ، ولم كانوا يجدون حتى يستدلوا القلوب بهوهم ؟ والملاحظ أن أكثر هؤلاء الصوفية وفدوا إلى مصر بعد طرد الفاطميين منها . والمشاهد الذي يلمسه اليقين بالحقيقة أن عقائد كثير من المسلمين في مصر تأثرت بدعوة هؤلاء الصوفية ، حتى صارت ذات رحم ماسة بالمجوسية الفاطمية . قد تستطيع الإجابة عن تلك الأسئلة إذا ربطت بين المقدمات والتأنيج ، وإذا كنت على بينة من أن التصوف العملي يدين بعبادة مشاهد آل البيت ، سواء أ كانت صحيحة النسبة إليهم أم زائفها ، وإذا كنت على بينة أيضا من أن التصوف النظري يشابه عقيدة الفاطميين ، ويشاكلها في التلبيس والتأويل ، والمصدر والوسيلة والغاية . بل أقول : إنه هي في الظاهر والباطن والأهداف . تستطيع الإجابة عن تلك الأسئلة إذا تبينت كل هذا ، بل ستدرك الجواب الصحيح ، وبخاصة إذا قارنت بين ما ترتب من نتائج دينية وسياسية واجتماعية على الدعوة الفاطمية ، وبين ما ترتب — وما زال — على الصوفية . قارن وتأمل وتجرد ، تجرد النتائج واحدة ، تجرد الجواب يدفعك دفعا إلى إدراكه ، وهو أن الصوفية دعاة الفاطمية وجواسيسها

(١) ص ٢٦١ ج ٢ الشفاء

(٢) إحدى فرق الخوارج أتباع عبد الله بن أباض ، افرقوا فرقا كثيرة مجمعها القول بكفر مخالفيهم من هذه الأمة ولا يزال منهم بقايا في عصرنا بطرابلس وزنجبار انظر ص ٦١ من الفرق بين الفرق للبغدادي

إفك وبهتان

وأعظم الأمر أنه نسب كفره إلى إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الماحي لجميع الإشراك ، المخلص لمتبعيه من حبائل سائر الأشرار ، فقال في الخطبة^(١) :
« أما بعد فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مُبَشِّرَةٍ [أريتها في العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرين وستائة بمحروسة دمشق^(٢)] وبيده كتاب ، فقال لي : هذا كتاب فصوص الحكم . خذه ، واخرج به إلى الناس [ينتفعون به] ، فقلت : السمع والطاعة لله ورسوله ، وأولى الأمر منا [كما أمرنا] فحقت الأمانة ، وأخلصت النية ، وجردت القصد والهمة إلى إبراز^(٣) هذا الكتاب كما حده لي رسول الله صلى الله عليه وسلم [٨] من غير زيادة ولا نقصان^(٤) .
فمن الله ، فاسمعوا ... وإلى الله^(٥) فارجعوا ... انتهى

دفع ما افتراه على الرسول

ولا شك أن النوم والرؤيا في حد ذاتهما في حيز الممكن ، لكن ما أصله من مذهبه الباطل ألزمه أن يكون ذلك محالا ، وذلك أن عنده أن وجود الكائنات هو الله ، فإذا الكل هو الله ، لا غير ، فلا نبي ولا رسول ، ولا مرسل ، ولا مرسل إليه ، فلا خفاء في امتناع النوم على الواجب ، وفي امتناع افتقار الواجب إلى أن يأمره النبي بشيء في المنام ، فمن هنا يعلم أنه لا يتحاشى من التناقض لهدم الدين بنوع مما ألّفه أهله . نبه على ذلك الإمام علاء الدين البخاري في كتابه « فاضحة الملحدين ، وناصحة الموحدين » .

- (١) أي خطبة كتاب الفصوص لابن عربي
- (٢) ما بين هذين [] ساقط من الأصل أو مختصر وأثبتته عن فصوص الحكم
- (٣) في الأصل : إيراد . وهي كما أثبتتها في الفصوص
- (٤) اختصر المؤلف بعدها مقدار سبعة أسطر من مطبوعة الحلبي ، ولو كان فيها ما يدفع عن الصوفية شبهة لأثبتها ، حتى لا يتهم المؤلف بغير الأمانة في النقل
- (٥) في الأصل : وإليه . والتصويب من الفصوص

إيمانه بأن الله إنسان كبير

ثم قال ابن عربي في فص حكمة إلهية في كلمة آدمية : « لما شاء الحق سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى [التي لا يبلغها لإحصاء] أن يرى ^(١) أعيانها ، وإن شئت قلت : أن يرى عينه في كون جامع يحصر الأمر [كله] ، لكونه متصفا بالوجود ، ويظهر به سره إليه ، فإن رؤية الشيء [بنفسه] بنفسه ما هي مثل رؤية نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة ^(٢) » .

ثم قال : « فكان آدم عين جلاء تلك المرآة ، وروح تلك الصورة ، وكانت الملائكة من بعض قوى تلك الصورة التي هي صورة العالم المعبر عنه في اصطلاح القوم : بالإنسان الكبير ^(٣) » .

ثم قال : « فسمى هذا المذكور : إنسانا وخليفة . فأما إنسانيته ؛ فلعوم

(١) في الأصل : ترى . وابن عربي يجعل العلة الغائية من الوجود هي تعيين الله سبحانه — في صورة آدم . والله يقول : (٥١ : ٥٦) وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) . والصوفية يدينون برب كان وجودا مطلقا ، بل وجودا منزها حتى عن الإطلاق . لا يوصف بوصف ، ولا يسمى باسم ، ولا يعرف بحد ولا برسم . ويطلقون عليه في هذه المرتبة « العماء » ويسمون هذه المرتبة : الأحدية ، ويريدون بالعماء أنه سبحانه في مرتبته هذه كان لا يعرف نفسه ، ولا يراها ، ولا يدري هو من هو . ولا يعرفه أحد ، إذ ما ثم غير حتى يعرف ويرى ، ثم اشتاق أن يعرف نفسه وأن يرى ذاته ، فتعين في صورة الحقيقة المحمدية ، ثم راحت الذات تنتقل من مرتبة إلى مرتبة ، حتى صار المطلق مقيدا ، أو معينا ، وصارت الوحدة كثرة . بيد أنها كثرة وهمية ، فما من شيء إلا وهو عين الذات هوية وماهية وصفة ، أو ما من شيء إلا وهو اسم إلهي تعين في مادة . والحق عند الصوفية لا يرى مجردا عن المواد أبدا ولهذا يقولون : الخلق معقول ، والحق محسوس !!!

(٢) ص ٤٨ فصوص

(٣) ص ٤٩ فصوص

نشأته ، وحصره الحقائق كلها ، وهو للحق بمنزلة إنسان العين من العين الذي به يكون النظر ، وهو المعبر عنه بالبصر ؛ فلهذا سمي إنسانا ، فإنه به ينظر ^(١) الحق إلى خلقه ، فيرحمهم ^(٢) ، فهو الإنسان الحادث الأزلي ، والنشء الدائم الأبدى ^(٣) .

ثم قال : « ولا شك أن المحدث قد ثبت حدوثه ، ولما كان استناده إلى من ظهر عنه لذاته اقتضى أن يكون على صورته فيما ينسب إليه من كل شيء من اسم وصفه ، ماعدا الوجوب ^(٤) الذاتي ، فإن ذلك لا يصح في الحادث ، وإن كان واجب الوجود ، ولكن وجوبه بغيره ، لا بنفسه ^(٥) » . ثم قال : « فوصف نفسه لنا بنا ، فإذا شهدناه شهدنا نفوسنا ، وإذا شهدنا شهد نفسه ، ولا نشك أنا كثيرون بالشخص والنوع ، وأنا وإن كنا على حقيقة واحدة تجمعنا - فنعلم قطعاً أن ثم فارقا به تميزت الأشخاص بعضها عن بعض ، ولولا ذلك ما كانت الكثرة في الواحد ^(٦) » .

آدم عند الصوفية

ثم قال : فما جمع الله لآدم بين يديه إلا تشريفا ، ولهذا قال لإبليس :

(١ ، ٢) في الأصل : نظر - رحمهم

(٣) ص ٤٨ - ٤٩ فصوص . وفي هذا النص يذكر ابن عربي رأيه في الإنسان ، فيقرر أنه لاهوت وناسوت ، أو هو الله سبحانه تعين في مادة . ولذا يجمع الإنسان بين صفات الأضداد - تماما كالذات الإلهية عندهم - فهو حق أزلي أبدي ، قديم سرمدى باعتبار لاهوتيته . وهو خلق حادث فان متجدد الصور ، يتحول ، ويجرى في تيار الصيرورة باعتبار ناسوتيته . أي باعتباره مادة ، أو باعتبار صورته البدنية العنصرية . ولذا فالإنسان عندهم : حق خلق

(٤) في الأصل : الوجود . والتصويب من الفصوص .

(٥) ص ٥٣ فصوص .

(٦) ص ٥٣ فصوص .

(٣٨ : ٣٥ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ) وما هو إلا عين جمعه^(١) بين [الصورتين] صورة العالم وصورة الحق [وهما يدا الحق^(٢)] « : فخلق الله
ثم قال : فما صحت الخلافة إلا للإنسان الكامل ، فأنشأ صورته الظاهرة
من حقائق العالم وصوره ، وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى ؛ ولذلك قال
فيه : كنت سمعه وبصره . ما قال كنت عينه وأذنه^(٣)

زعمه أن الحق مفتقر إلى الخلق

ثم قال : « ولولا^(٤) سريان الحق في الموجودات بالصورة ما كان [٩] للعالم
وجود ، كما أنه لولا تلك الحقائق المعقولة الكلية ، ما ظهر حكم في الموجودات
العينية ، ومن هذه الحقيقة كان الافتقار من العالم إلى الحق في وجوده -- شعر .
فالكل مفتقر ، ما الكل مستغنى
هذا هو الحق قد قلناه ، لا نكفني^(٥)

(١) في الأصل : جمعت . والتصويب من الفصوص .

(٢) ص ٥ فصوص ، وكل ما بين هذين [] ساقط من الأصل ، وأثبتته عن الفصوص

(٣) ص ٥٥ فصوص ، وسيأتي الرد على ما اقتراه ابن عربي مستدلاً في زعمه

بهذا الحديث .

(٤) في الأصل : ولو . والتصويب من الفصوص .

(٥) ص ٥٨-٥٩ فصوص : وابن عربي يعنى « بالكل » الله والعالم ، وكلاهما

عنده مفتقر إلى الآخر إذ يدين بأنهما وجهان لحقيقة واحدة . ويفسر افتقار الخلق

إلى الحق باحتياج الخلق إلى سريان الحق فيه ، لينتقل من الثبوت -- وكل شيء

عند الزنديق ثابت قبل وجوده -- إلى الوجود ..

ثم إن الخلق عند ابن عربي ليس إلا أسماء الحق تعينت في صور بدئية عنصرية .

ولذا لا يضاف الوجود إلى الخلق حقيقة . بل مجازاً ، فوجوده حقيقة عين وجود

الحق . فإذا تحدث الصوفي عن عجل السامري مثلاً قال عنه : إنه اسم من أسماء الله

سبحانه تعين في صورة العجل . أو هو الحق تبارك وتعالى مسمى عجلاً !! =

التنزيه والتشبيه^(١)

ثم قال في فص حكته سُبُوْحِيَّة في كلمة نُوحِيَّة : « اعلم أن التنزيه عند أهل الحقائق في الجناب الإلهي عين التحديد والتقييد ، فالْمُنَزَّه إما جاهل ، وإما صاحب سوء أدب ، ولكن إذا أطلقاه^(٢) ، وقالوا به . فالقائل بالشرائع المؤمن إذا نزه ووقف عند التنزيه ، ولم ير غير ذلك ، فقد أساء الأدب ، وأكذب الحق والرسول وهو لا يشعر ، ويتخيل أنه في الحاصل ، وهو في الفأنت ، وهو كمن آمن ببعض وكفر ببعض ، ولا سيما وقد علم أن السِّنَّةَ الشرائع الإلهية ، إذا نطقت في الحق تعالى بما نطقت به ، إنما جاءت به في العموم على المفهوم الأول ، وعلى الخصوص على كل مفهوم يفهم من وجوه ذلك اللفظ بأي لسان كان في وضع ذلك اللسان .

= وهذا تفسير آخر لافتقار الخلق إلى الحق عند الصوفية . أما افتقار الحق إلى الخلق ، فيفسره ابن عربي بأنه احتياجه إلى تعين أسمائه وصفاته ، بل ماهيته في صور خلقية . فلولا المادة عند ابن عربي ما ظهر للحق وجود ، ولا تعينت له ذات ، ولذا وضع الصوفية الحديث المفترى : « كنت كنزاً مخفياً ، فخلقت الخلق في عرفوني » وما زلت أذكر ذلك الشيخ الذي راح يشرح لنا هذا الحديث وأنا بمعهد طنطا ، فكان مما قاله أن المراد بـ « في » محمد !! وكان دليله على خرافته أن العدد الناتج من حروف « في » يساوي العدد الناتج من حروف « محمد » فكلاهما على طريقة حساب الجمل : أبجد هوز الح = ٩٢ !!

وكم صفقنا وانتشينا . ويذهب الطالب الصغير إلى قرينه ويحدث الناس بهذا ، فيطربون للصبي الصغير إذ جاءهم بعلم لدني راني !!

(١) يريد ابن عربي بالتنزيه الإطلاق ، وبالتشبيه التقييد ، فإنه الصوفية مشبه إذا نظرت إليه من حيث تعيناته في صور خلقية . وهو منزّه إذا نظرت إليه من حيث كونه وجوداً مطلقاً . والعارف الحق عندهم من يؤمن برب كان مطلقاً ، ثم تعين فصار مقيداً ، أي خلقاً . أما من يؤمن بأن الله غير خلقه ، فهو ضال مشرك ، إذ يؤمن بغير ما من الأغيار .

(٢) في الأصل : أطلقناه .

بم يعرف الله عند الصوفية ؟

فإن للحق في كل خلق ظهوراً ، فهو الظاهر في كل مفهوم ، وهو الباطن عن كل فهم ، إلا عن فهم من قال إن العالم صورته وهويته^(١) ، وهو الإسم الظاهر ، كما أنه بالمعنى روح ما ظهر ، فهو الباطن . فنسبته لما ظهر من صور العالم نسبة الروح المدبر للصورة ، فيؤخذ في حد الإنسان مثلاً باطنه وظاهره ، وكذلك كل محدود . فالحق محدود بكل حد^(٢) ، وصور العالم لا تنضبط ، ولا يحاط^(٣) بها ، ولا تعلم حدود^(٤) كل صورة منها إلا على قدر ما حصل لكل عالم من صورته^(٥) ، فلذلك يُجهل حدُّ الحق ، فإنه لا يعلم حدُّه إلا بعلم حدِّ كل صورة . وهذا محالٌ حصوله ، فحد الحق محال ، وكذلك من شبَّهه ، وما نزَّهه ، فقد قيَّده وحدَّده ، وما عرفه ، ومن جمع في معرفته بين التنزيه والتشبيه ، ووصفه بالوصفين

(١) الهوية عند الصوفية هي كما عرفها الجيلي في الإنسان الكامل ص ٦٧ > « هوية الحق غيبه الذي لا يمكن ظهوره ، لكن باعتبار جملة الأسماء والصفات » . والجرجاني في التعريفات « هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق » . والعالم عند الصوفية ظاهر الله وباطنه ، أو صورته وحقيقته .

(٢) الحد هو أكمل أنواع التعريف ، ولما كان كل شيء هو الله عند الصوفية كان حد كل شيء هو في الحقيقة حداً لله سبحانه ، فإذا أراد الصوفي وضع تعريف لله سبحانه أخذ في حده حد كل موجود ، إذ الكل تعيينات الذات ، ولما كانت هذه التعينات لا تتناهى ، ولا يمكن أن يحاط بها ، امتنع تبعاً لهذا تناهى الحدود التي يمكن حد الله سبحانه بها ، وامتنت الإحاطة بهذه الحدود . وسيأتي بعد زيادة بيان عما يريد الصوفية بهذه الزندقة .

(٣) في الأصل : يحاد . والتصويب من الفصوص .

(٤) في الأصل : يعلم حد .

(٥) في الأصل : صورة .

على الإجمال - لأنه يستحيل ذلك على التفصيل ، لعدم الإحاطة بما في العالم من الصور - فقد عرفه [مُجْمَلًا^(١)] ، لا على التفصيل ، كما عرف نفسه مجملاً ، لا على التفصيل ولذلك ربط النبي صلى الله عليه وسلم معرفة الحق بمعرفة النفس ، فقال : « من عرف نفسه ، فقد عرف ربه^(٢) » وقال الله تعالى (٤١ : ٥٣) سنريهم آياتنا في الآفاق) وهو ما خرج عنك (وفي أنفسهم) وهو عينك (حتى يتبين لهم) ، أى للناظر (أنه الحق^(٣)) أى من حيث أنك صورته ، وهو روحك ، فأنت له كالصورة الجسمية لك ، وهو لك كالروح المُدَبَّر لصورة جسدك ، والحد يشمل الظاهر والباطن منك ، فإن الصورة الباقية إذا زال عنها الروح المُدَبَّر لها ، لم تبق إنساناً ، ولكن يقال فيها : إنها صورة تشبه صورة الإنسان ، فلا فرق بينها وبين صورة من خشب أو حجارة ، ولا ينطلق عليها اسم إنسان إلا بالمجاز ، لا بالحقيقة وصور العالم لا يمكن زوال [١٠] الحق عنها أصلاً ، فحد الألوهية له^(٤) بالحقيقة ،

(١) أثبتها عن الفصوص .

(٢) ليس بحديث . قال النووي : ليس بثابت ، وابن تيمية : موضوع . ويريد الصوفية به أن من عرف نفسه ، عرف أنه هو الله .

(٣) تأمل كيف يفسر آى الله ، ويضع للحق معنى الباطل ، وللإيمان مدلول الكفر . وحق ما يقول جولدزهر « إذا حملت العبارات الدينية المعانى التصوفية ، وفسرت تلك بهذه ، تكون دلالة تلك العبارات على هذه المعانى أشبه بدلالة الرموز على ما جعلت رمزاً له ، وبعبارة أخرى تكون دلالتها عليها على غير العرف العام للغة ، وعلى غير الجارى فى إطلاق ألفاظها على معانيها ، وفهم هذه من تلك ، ولكنهم فى سبيل غايتهم لا يحفلون برعاية هذا العرف العام للغة ، وربما على العكس يتجاوزونه قصداً » انظر ج ٢ من الجانب الإلهى لأستاذنا الدكتور محمد البهى .

(٤) الضمير فى « له » يعود على العالم . والحد كما سبق أتم أنواع التعريف ، ولما كان ابن عربى يدين بأن الحق عين كل شىء ، فإنه يزعم هنا أنه يجب تعريف كل شىء بأنه إله ، أو بما نعرف به الله سبحانه ، فإذا سئل الصوفى عن خنزير أو صنم ما هو ؟ عرفه بأنه هوية الله وظاهره ، ونسب إليه اسماً وصفة من أسماء الله سبحانه وصفاته .

لا بالجواز ، كما هو حد الإنسان إذا كان حياً ، وكما أن ظاهر صورة الإنسان ثنى
بلسانها على روحها ونفسها ، والمدبر لها ، كذلك جعل الله تعالى صورة العالم
تسبح بحمده ، ولكن لا نفقه تسبيحهم ، لأننا لا نحيط بما في العالم من الصور ،
فالكل ألسنة الحق ، ناطقة بالثناء على الحق ، ولذلك قال : الحمد لله رب العالمين
أى إليه ترجع عواقب الثناء ، فهو المثنى والمُثنى عليه شعر .

فإن قلت بالتنزيه ، كنت مُقيّدا

وإن قلت بالتشبيه ، كنت مُحدّدا

وإن قلت بالأمرين ، كنت مُسدّدا

وكنت إماما في المعارف سيّدا

فمن قال بالإشفاق ، كان مُشرّاً^(١)

ومن قال بالإفراد ، كان مُوحّدا

فإياك والتشبيه ، إن كنت ثانيا

وإياك والتنزيه إن كنت مُفردا

فما أنت هو^(٢) ، بل أنت هو^(٣) ، وتراه في

عين^(٤) الأمور مُسرّحا ومُقيّدا

(١) أى من آمن بوجود الحق ، وبوجود الخلق على أنهما وجودان متغايران
أو حقيقتان منفصلتان متباينتان - فهو مشرك . لأنه جعل وجود الخلق ، غير وجود
الحق ، وجعل الحق غير الخلق أى جعل الواحد اثنين ، وغاير بين الإله وبين نفسه
وهذا شرك عند الصوفية . أما الموحّد عندهم فهو من يؤمن بأن الحق عين الخلق ،
وجوداً وماهية .

(٢) باعتبار الإطلاق .

(٣) باعتبار التعيين . ولاحظ التناقض المتوتر بين السلب والإيجاب اللذين يجعلهما
ابن عربى شيئاً واحداً .

(٤) فى الأصل : عيون .

قال الله تعالى : [(٤٢ : ١١) ليس كمثل شيء] فنزّه (وهو السميع البصير)
فَشَبَّهَهُ^(١) [وقال تعالى : (ليس كمثل شيء) فَشَبَّهَهُ وَثَنِي (وهو السميع البصير)
فنزّه وأفرد^(٢)

(١) ما بين هذين [] ساقط من الأصل وأثبتته عن الفصوص .

(٢) يريد ابن عربي بهذا التلبيس في فهم الآية أن يقول : إن اعتبرت الكاف
زائدة في : كمثلها كان معنى الآية : ليس مثله شيء ، وبذا تنتفي المثلية . وهذا
تنزيه . ولكن في قوله « وهو السميع البصير » تشبيه . لأنه أثبت لنفسه - هكذا
يفهم الزنديق - عين ما للخلق من سمع وبصر . وهذا يستلزم كون ذات
الحق عين الخلق ...

وإن اعتبرت الكاف غير زائدة في « كمثلها » كان معنى الآية : ليس مثل مثله
شيء . يعني أنها تثبت المثلية . وهذا تشبيه . ولكن في قوله « وهو » نفي للمثلية
لأن الضمير للمفرد . وهذا تنزيه يفيد أنه هو وحده الذي يسمع ويصير في صورة
كل من يتأتى منه أن يسمع وأن يبصر . أي هو عين كل سميع وبصير !!
هذا ما يفهمه الزنديق في الآية يهدف به إلى إثبات أن لله وجهين . وجه يسمى
الحق ، والآخر يسمى الخلق ، وأنه لا يمكن تسميته حقاً خُصِب ، أو خلقاً خُصِب ،
بل يسمى حقاً خلقاً في آن واحد . وتعقيبه للآية أولاً بقوله : فنزه على اعتبار زيادة
الكاف ، وتعقيبه ثانياً بقوله : فشبهه وثني على اعتبار عدم زيادة الكاف !! وإليك الحق
يهتك باطله : قال صاحب المعنى - وهو يعدد معاني الكاف « التوكيد وهي الزائدة
نحو ليس كمثل شيء . قال الأكترون : التقدير ليس شيء مثله ، إذ لو لم تقدر
زائدة صار المعنى ليس شيء مثل مثله ، فيلزم المحال ، وهو إثبات المثل ، وإنما زيدت
لتوكيد نفي المثل ، لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة » .

وابن عربي قرر هذا بيد أنه لبس في تفسير « وهو السميع البصير » إذ فسرهما
بأنه سبحانه يسمع كما يسمع العبد ، وبنفس الأذن التي يسمع بها ، ليزعم من وراء
هذا الباطل أنه سبحانه عين من يسمعون ، ومن يبصرون ، لأن جوارحهم وحواسهم
هي عين جوارح الإله الصوفي وحواسه ، فتكون ذواتهم عين ذاته . والآية ناطقة
بإبطال هذا الكفر الفاجر . فما فيها سميع كما تسمعون أو بما تسمعون . وإنما هي =

تكفير الصوفية لنوح

لو أن نوحاً جمع لقومه بين الدعوتين لأجابوه : فدعاهم جهاراً ، ثم دعاهم
إسراراً ، ثم قال لهم : (٧١ : ١٠) استغفروا ربكم ، إنه كان غفاراً) وقال :
(٧١ : ٥ ، ٦) إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً ، فلم يزدكم دعائى إلا فراراً) وذكر عن
قومه أنهم تصامموا عن دعوته ، لعلمهم بما يجب عليهم من إجابة دعوته ، فعلم
العلماء بالله ما أشار إليه نوح عليه السلام في حق قومه من الثناء عليهم بلسان
الذم ، وعلم أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان ، والأمر قرآن لا فرقان ،
ومن أقيم في القرآن لا يصغى إلى الفرقان ، وإن كان فيه . فإن القرآن^(١) يتضمن

= لإثبات أن الله سبحانه له صفتا السمع والبصر ، وإنه لإعجاز حكيم أن يجيء الإثبات
بعد النفي ، حتى يستقر اليقين في القلب بأنه سبحانه لا يماثله شيء ، ولا يماثل هو
شيئاً ، فإذا أثبت الله بعد هذا النفي المؤكد لنفسه صفتي السمع والبصر ، فهم فيهما المؤمن
ما يليق بجلال الله وكبريائه وربوبيته ، لاما استقر في الوعي مما يشهده الحس في الخلق
فسبق النفي تصفية للفهم والقلب والفكر ، من زيف المثلية ، وإعداد لتلقى ما يرد
بعده من إثبات تلقى إيمان ويقين لا يمسه وهم من التشبيه ، أو طائف من المثلية .
أما إذا اعتبرت الكاف غير زائدة ، فلا يفيد هذا مطلقاً إثبات المثلية ، لأن
سياق الآية ينفيها ، والضمير «هو» ينفيها كذلك . ثم إن العرب - والقرآن عربي -
كانوا إذا بالغوا في نفي المثلية قالوا : مثلك لا يفعل كذا ، ومرادهم نفي الفعل عنه ،
لا عن مثله ، ولكن إذا نفوه عن من هو على أخص أوصافه ، فقد نفوه عنه بالأولى .
وعلى فرض ، المستحيل فإن تليس ابن عربي يهدم باطله ، لأن المثلية تستلزم
الإثنية ، تثبت وجود اثنين في أحدهما غير مافي الآخر . وهو يدين بالوحدة المطلقة
(١) يريد ابن عربي بالقرآن : الجمع بين الحق والخلق ، أى إدراك أنها وجهان
لحقيقة واحدة سميت حقاً باعتبار باطنها ، وخلقاً باعتبار ظاهرها . هذه الحقيقة : هي
ماهية الله سبحانه ، ويريد بالفرقان : التفرقة بينها . ولذا يهت نوحاً عليه السلام
بأنه جهل حقيقة الدعوة إلى الله سبحانه ، أو بأنه مكر بقومه في دعوته ، إذ دعاهم
إلى الإيمان بالحق مجرداً عن الخلق ، أى بأن الحق غير الخلق ، ففصل نوحاً هكذا =

الفرقان ، والفرقان لا يتضمن القرآن ، ولهذا ما اختص بالقرآن إلا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس ، فـ (ليس كمثله شيء) يجمع الأمرين في أمر واحد ، فلو أن نوحاً أتى بمثل هذه الآية لفظاً أجابوه ، فإنه شبه ونزه في آية واحدة بل [في] نصف آية . ونوح دعا قومه « ليلاً » من حيث عقولهم ، وروحانيتهم ، فإنها غيب ، و « نهراً » دعاهم أيضاً من حيث ظاهر صورهم وحسهم^(١) ، وما جمع في الدعوة مثل : ليس كمثله شيء ، فنفرت بواطنهم لهذا الفرقان [فزادهم] فرارا ، ثم قال عن نفسه : إنه دعاهم ليغفر لهم ، لا ليكشف لهم^(٢) ، وفهموا ذلك منه صلى الله عليه وسلم ، لذلك : « جعلوا أصابعهم في

= يفترى الزنديق - بجعله بين وجهي الحقيقة الواحدة ، أو جعل - بمكره - الحقيقة الواحدة شيئاً آخر غير نفسها ، وفرق بين باطن الذات الإلهية - وهو الحق - وبين ظاهرها وهو الخلق . ولذا لم يستجب قومه لدعوته ، إذ كانوا على بينة من الأمر ، على علم صادق بالحقيقة ، كانوا على يقين - وبقينهم هو الحق عند الصوفية - من أن الله سبحانه حق وخلق ، مطلق ومقيد ، رب وعبد . وأنه عين كل شيء ، فعبدوه في بعض ما تعين فيه ، وهي الأصنام . فدلوا بهذه العبادة على صدق الإيمان ، وكمال التوحيد ، لهذا يقول الزنديق : ما كان ينبغي لنوح ، أن يمكر بقومه في دعوته ، أو أن يضلهم عن السبيل السوي ، فيدعوهم إلى الإيمان بأن الرب غير العبد وأن الحق غير الخلق ، وأن المعبود غير العابد . وإنما كان واجبا على نوح أن يؤيد الحق الذي آمن به قومه ، والهدى الذي كشف لهم عن كنه الحقيقة ، وهي أن هذه الأصنام ما هي إلا ذات الله سبحانه ، وأن عبادتهم لها عبادة حقة لله سبحانه !! فتأمل !! كيف يبهت رسولا من أولى العزم بالمكر أو بالجهل ، وكيف يفضل عليه أوباش الوثنية ، وعبد الشيطان !! ورغم هذا يظل الشيوخ يدينون لابن عربي بالعبودية .

(١) في الأصل : جثهم

(٢) يريد الزنديق أن نوحا دعا قومه إلى مقام الستر المطلق ، لا إلى مقام الكشف والظهور . والستر المطلق هو الحق المنزه عن التجلي في أية صورة خلقية .

آذانهم ، واستغشوا ثيابهم » وهذه كلها صورة الستر التي دعاهم إليها ، فأجابوا
دعوته بالفعل ، لا بَلْبَيْتِكَ فَنِي (ليس كمثلته شيء) إثبات المثل ونفيه ^(١) ، وبهذا
قال عن نفسه صلى الله عليه وسلم : أنه أوتى جوامع الكلم ، فما دعا محمد قومه ليلا
ونهارا ، بل دعاهم ليلا في نهار ، ونهاراً في ليل ^(٢) ، فقال نوح في حكمته لقومه :
(١١ : ٧١ يرسل السماء عليكم مدرارا) وهي المعارف العقلية في المعاني والنظر الاعتباري
(ويمددكم بأموال) أي بما يميل بكم إليه ، فإذا مال بكم إليه ، رأيتم [١١] صورتمكم

ومقام الكشف تجلي الحق في صورة كل موجود ، ويهت نوحا بالخداع والسكر ،
إذ غفر — أي ستر — عن قومه الحق العلوي الذي هم به مؤمنون . وهو أن
أصنامهم بعض مجالي الله وظهوراته ، وتعالى الله عما يافك الصوفية

(١) تقدم الرد على ما يفتره هنا

(٢) يقصد بالليل باطن الذات الإلهية ، وبالنهار ظاهرها . والباطن هو وجه
الذات وغيها المسمى حقا ، والظاهر هو وجهها الآخر المسمى خلقا ، ويذم نوحا
بأنه دعا قومه ليلا ونهارا أي إلى الإيمان بالحق — وهو الليل — وبالخلق ، وهو
النهار ، وبأنها غيران ، ويمجد محمدا الذي يزعمه — وحاشا محمدا رسول الله
صلى الله عليه وسلم — لأنه جمع في دعوته بين الدعوتين ، إذ دعا قومه إلى الإيمان
بأن الحق عين الخلق . وعبر الفاجر الزنديق عن هذا بقوله : ليلا في نهار ، أي
حقا في خلق . وإلى الإيمان بأن الخلق عين الحق ، وهذا ما يعبر عنه الشيطان
بقوله : نهارا في ليل . أي خلقا في حق . أي قال لهم : الواحد عين الكثير ،
والكثير عين الواحد . وبهذا البهتان الأثيم يفضل ابن عربي محمدا المزعوم على نوح
الذي جهل أو مكر ، فغار بين الحق والخلق ! ! فتأمل ! ! تأمل الشيخ الأكبر في
عرف الزنادقة أي الصوفية إلى أي حد تبلغ القحمة في جراءة كفره ، فيصم نوحا
بالشرك والكفر ، ويفترى على محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان مشركا أصم الوثنية .
ولكن كيف تعجب من رجل يجعل من الخنازير والجيف والقيح بما فيه من
ميكروبات فتاكة ، يجعل هذه آلهة له ، وأربابا يفزع إليهم بالرجاء والأمل والحب
والخوف ! ! !

فيه ، فن تخيل منكم أنه رآه فما عرف ، ومن عرف منكم أنه رأى نفسه ، فهو العارف ، فلهذا انقسم الناس إلى غير عالم ، وعالم « وولده »^(١) وهو ما أنتجه لهم نظرم الفكري ، والأمر موقوفٌ علّمه على المشاهدة ، بعيد عن نتائج الفكر « الإخسارا » « فما ربحت تجارتهم » فزال عنهم ما كان في أيديهم مما كانوا يتخيلون أنه ملك لهم ، وهو في الحمددين (٥٧ : ٧) وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) . وفي نوح (٧١ : ٣) أن لا تتخذوا من دوني وكيلا^(٢) فأثبت الملك لهم ، والوكالة لله فيهم ، فهم مستخلفون فيه ، فالملك لله ، وهو وكيلهم ، فالملك لهم ، وذلك ملك الاستخلاف ، وبهذا كان الحق تعالى مالك الملك ، كما قال الترمذي رحمه الله .

الدعوة إلى الله مكر عند الصوفية

(ومكروا مكرًا كبيرًا) لأن الدعوة إلى الله تعالى مكر بالمدعو^(٣) ، لأنه

(١) فسر المدرار بالمعارف العقلية ، والمال بما يميل بالإنسان إلى الله فيرى في الله سبحانه صورته ، وفسر الولد بالنتاج الفكري . وهكذا يضع للغة القرآن ما شاءت زندقته من معان ، ويمثل ما يفترى ابن عربي يعجب بعض من يوصفوا بأنهم من ذوى الفكر . ولو اتخذنا أسلوب ابن عربي قاعدة لنا في البيان ما بقيت لغة ، بل ما بقيت حقيقة واحدة يمكن أن تجتمع عليها العقول

(٢) الآية في بني إسرائيل ، لاني قوم نوح

(٣) يشرح القاشاني هذا بقوله « معناه : أن الدعوة إلى الله دعوة منه إليه ، لأن الله عين الداعي والمدعو ، والبداية والغاية ، لكونه عين كل شيء » ص ٥٨ ط ١٣٠٩ شرح القاشاني للفصوص . وأقول : يدين ابن عربي وعبد الطاغوت الصوفية أن الله سبحانه عين كل شيء ، فإذا ما جاء الرسل ، وأمروا بعبادة الله وحده ، ونهوا عن عبادة غيره ، عن عبادة العجل مثلا ، والأصنام والكواكب وغيرها . فإن الصوفية يرون هذه الدعوة في مظهرها الإيجابي والسلبي مكرا وخداعا ، إذ توحى إلى عباد الأصنام والأوثان وغيرها أنهم يعبدون غير الله ، والرسل يعلمون - هكذا =

٤ - مصرع التصوف

ما عدم من البداية ، فيدعى إلى الغاية (١٢ : ١٠٨ أدعو إلى الله) فهذا عين
المكر^(١) .

قلت : فهذا ، وأشكال من قوله - كما يأتي في الفص اليوسفي - يُدندن به
على تصحيح قول الكفار : إن القرآن سحر . ولا يقدر على التصريح به ، ولقد
أخبرني من أثق به أن بعض أتباعهم قال له : القرآن أساطير الأولين^(٢) !!
ثم قال ابن عربي : [مفسراً قول رب العالمين^(٣)] (١٢ : ١٠٨ على [بصيرة]
ففيه على أن الأمر له كله ، فأجابوه مكرراً كما دعاهم ، فجاء الحمدي ، وعلم أن
الدعوة إلى الله ما هي من حيث هو يته ، وإنما هي من حيث أسماؤه^(٤) ، فقال :
(١٩ : ٨٦ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) فجاء بحرف الغاية ، وقرنها بالإسم
فعرّفنا أن العالم كان تحت حيطه إسم إلهي ، أوجب عليهم^(٥) أن يكونوا متقين ،

يفتري الصوفية - أنه ما ثم غير ، أو سوى ، فكل ما عبد ، أو سجد إنما هو
الله . إذ كل معبود شيء ، والله سبحانه عند الصوفية عين كل شيء .

(١) ص ٧٧٢ - ٦ فصوص الحكم

(٢) بل قال الفاجر التلمساني : « القرآن كله شرك ليس فيه توحيد ، وإنما
التوحيد في كلامنا نحن » ص ٧٧ ج ١ مجموعة الرسائل والمسائل

(٣) وضعت ما بين هذين [:] هنا من عندي حتى لا يظن بآية من القرآن أنها
من كلام ابن عربي

(٤) أي ما يدعو الرسل إلى عبادة الله من حيث كونه حقا ، أو وجودا مطلقا ،
بل من حيث كونه خلقا ، أو وجودا مقيدا تعين في صور بدينية عنصرية . فما من
شيء إلا وهو - عند الصوفية - اسم من أسماء الله تعالى . تعين في صورة ذلك الشيء .
لذا يدعو الرسل الصادقون - هكذا يكفر الصوفية - إلى عبادة الخنازير والقمل
والضفادع ، والبغايا الأوثام ، والأجساد الفواجر ؛ لأن هذه عند الصوفية أسماء الإله
الذي يزعمونه

(٥) في الأصل : فعلنا أن النور كان تحت حيطه اسم إلهي أوجب عليه

فقالوا^(١) في مكرهم (٢٣:٧١ لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سوعاً، ولا يغوثَ
ويعوقَ ونسراً) ، فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء
فإن للحق في كل معبود وجهها يعرفه من عرفه ، ويجهله من جهله . في الحمديين :
(١٧ : ٢٣) وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه (أى حكم^(٢)) ، فالعالم يعلم^(٣) من
عبد ، وفي أى صورة ظهر حتى عبد ، وأن التفريق والكثرة كالأعضاء في
الصورة المحسوسة^(٤) ، وكالتقوى المعنوية في الصورة الروحانية ، فما عبد غير الله

(١) يعنى قوم نوح الوثنيين

(٢) بل أمر ووصى كما ستعرف

(٣) فى الأصل : يعلمه

(٤) يشبه الحق والخلق ، بالجسد وأعضائه فى أن كليهما واحد فى الحقيقة ،
كثير بالاعتبار . فأنت إذا أفردت بالنظر كل عضو من أعضاء الجسم ، فهو كثير ،
إذ ترى رأساً ، ووجهاً ، وبدين ، وقدمين ، وإذا نظرت إليه جملة وجدته واحداً .
وهذه الوحدة حقيقية . أما الكثرة فاعتبارية فحسب . وكذلك هكذا يفترى الزنديق -
الله والعالم . فالعالم فى حقيقته ليس شيئاً سوى الله ، أو هو تعيينات أسمائه برزت فى
صور مادية . كما أن أعضاء الجسم ليست شيئاً آخر غير الجسم ، بل هى هو . ومدلول
جميعها مدلوله . ورغم ما فى المثل من تلبيس وزندقة فإنه لا يصحح لابن عربى مذهبه ،
فاليد مثلاً ليست هى كالجسد ، وإنما هى عضو ، أو جزء منه . وابن عربى لا يقول
عن شىء ما : إنه عضو الإله أو جزؤه ، بل هو عنده عينه وكاه ! ! (٧)

والذى يستلقت نظر المؤمن أن الغزالي سبق ابن عربى إلى استعمال هذا المثل
فى نفس ما استعمله فيه ابن عربى ؛ إذ يقول - وهو بصدد بيان المرتبة الرابعة من
التوحيد : « ألا يرى فى الوجود إلا واحداً ، وهى مشاهدة الصديقين . وتسميه
الصوفية الغناء فى التوحيد » ثم يشرح حال الموحد فى هذه المرتبة ، فيقول :
« والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر فى شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث
أنه كثير ، بل من حيث أنه واحد ، فإن قلت : كيف يتصور ألا يشاهد إلا واحداً
وهو يشاهد السماء والأرض ، وسائر الأجسام المحسوسة وهى كثيرة ؟ ! » يجب
الغزالي عن هذا بمثل يقرب فى زعمه ذلك إلى الدهن ، فيقول : « إن الإنسان =

في كل معبود^(١)»

تكفير العراقي لابن عربي

وقال شيخ شيوخنا الإمام القدوة العارف شيخ الإسلام حافظ عصره الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي في كراسة أجاب فيها سؤال من سأله عن بعض كلام ابن عربي هذا: « وقوله في قوم نوح : لا تذرنا آلهتكم - إلى آخره - كلام ضلال وشرك واتحاد وإلحاد ، فجعل تركهم لعبادة الأوثان التي نهاهم نوح عن عبادتها جهلاً يفوت عليهم من الحق بقدر ما تركوا » انتهى .

قلت : ياليت شعري من قال هذا القول في هذا العدد اليسير من الأصنام ، ماذا يقول فيما روى في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة ، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً^(٢) ، فجعل يطعنها بعود في يده^(٣) ، وجعل يقول : (١٧ : ١٨ جاء الحق وزهق الباطل^(٤))

= كثير إن التفت إلى روحه وجسده وعروقه، وهو باعتبار آخر ، ومشاهدة أخرى واحد ، وكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة ، فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد ، وباعتبارات أخر سواء كثير » انظر باب التوحيد من كتاب الإحياء

(١) ص ٧٢ فصوص

(٢) في البخارى « نصب » . واحدة الأنصاب ، وهو ما ينصب للعبادة من دون الله ، ويراد به أيضا الحجارة التي كانوا يذبحون عليها للأصنام . غير أنها ليست مرادة هنا .

(٣) في مسلم عن أبي هريرة : « يطعن في عينه بسية القوس » وفي حديث ابن عمر عند الفاكهي - وصححه ابن حبان - فيسقط الصنم ولا يمسه ، وللفاكهي والطبراني من حديث ابن عباس « فلم يبق وثن استقبله إلا سقط على قفاه مع أنها كانت ثابتة بالأرض »

(٤) ورد في البخارى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال بعد هذا (جاء الحق وما يبدى الباطل ، وما يعيد)

وفي السير : أنها كانت [١٢] مثبتة في الأرض بالرصاص ، فما أشار بذلك العود إلى صنم منها إلا انقلب . إن أشار إلى قفاه انكسب على وجهه ، وإن أشار إلى وجهه انقلب على قفاه ^(١) ، وكان في جزيرة العرب من الأصنام ما يتعسر حصره ، فما أبقى لشيء منها باقية ، وما استباح قتالهم ، ونهب أموالهم ، وقتل رجالهم ، ومزق أبطالهم ، وركب من دون ذلك الأهوال العظام ، وقاطع الأخوال والأعمام إلا على ذلك ، فتباً لمن أنكره ، أو رأى شيئاً أكمل منه ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . انتهى .

كل شيء عندهم رب وإله

قال ابن عربي : « فالأدنى من تخيل فيه - أي في كل معبود - الألوهية ، فلولا ^(٢) هذا التخيل ، ما عبُد الحجر ولا غيره ، ولهذا قال : (١٣ : ٣٣ [قل] سموهم) ، فلو سموهم لسموهم حجارة ^(٣) وشجراً وكوكبا ، ولو قيل لهم : من عبدتم ؟ لقالوا : إلهنا . ما كانوا يقولون : الله . ولا الإله . والأعلى ما تخيل ، بل قال : هذا مجلّي إلهي ينبغي تعظيمه ، فلا يقتصر ^(٤) ، فالأدنى صاحب التخيل يقول (٣٩ : ٣٠ ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) والأعلى العالم يقول : (٣٢ : ٣٤ فإلهكم ^(٥) إله واحد

(١) انظر سيرة ابن هشام ص ٢٧٦ ج ٢ على هامش الروض الأنف

(٢) في الأصل : ولولا .

(٣) في الأصل : حجراً

(٤) أي لا يقصر عبادته على شيء ما بعينه ، بل يعبد كل شيء ، حتى ما يعصف بنفسه من هوى ، وما يترشح فكره من أوهام . وسيأتيك من كلام ابن عربي ما يدل على أنه يؤمن بأن الهوى أعظم مجالى الإله

(٥) في الأصل : إنما إلهكم . ويفسرهما الزنديق بأن العارف المكمل . هو من يقول لعباد الأوثان ، ولعباد الكواكب ، إن ما تعبدونه هو الإله الواحد ، فالإله المتعين في أوثانكم عين المتعين في كواكبهم ، فلا يقصر أحد منكم عبادته على شيء ما بعينه ، أو يختص بها بعضاً دون بعض ، فإن إلهكم هو عين كل شيء .

فله أسلموا ، و بشر المحبتين) الذين خبت نار طبيعتهم ، فقالوا : إلهما ، ولم يقولوا
طبيعة^(١) .

قلت : وعلى هذا يُحومُّ ابن الفارض^(٢) بقوله ، فالعلماء شهدوا فيه^(٣) أنه
من أهل الاتحاد .

الرأى فى ابن الفارض وتائتته

وقال الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير^(٤) : « إنه نظم التائية على طريقة
المتصوفة المنسوبين إلى الاتحاد - وقال : وقد تكلم فيه غير واحد من مشايخنا
بسبب قصيدته المشار إليها^(٥) » وقال فى سنة سبع وسبعين وستائة فى ترجمة محمد
ابن إسرائيل^(٦) : « وكان أديباً ، ولكن فى كلامه ما يشير إلى الحلول والاتحاد

(١) ص ٧٢ فصوص .

(٢) ورد بهامش الأصل مانصه « ابن الفارض هو حجة أهل الوحدة ، وحامل
لواء الشعراء ، توفى سنة اثنتين وثلاثين وستائة عن ست وخمسين إلا أشهراً . ذكره
الذهبي فى تاريخه » وقد ولد ابن الفارض سنة ٥٧٦ هـ ودفن بمصر .

(٣) ليس الحكم بهذا على ابن الفارض بحاجة إلى شهادة أحد ، فإنه صرح فى
التائية بأنه يدين بهذه الأسطورة الملحدة ، إذ يقول : وجل فى فنون الاتحاد ، وجاء
حديث فى اتحادى ثابت ، وهأنا أبدى فى اتحادى مبدئى . وسيأتىك ما يجعلك تؤمن
بأنه كان من المؤمنين بالوحدة ، لا بالاتحاد فحسب .

(٤) الإمام المحدث البارع كما ينعتة الذهبي . ولد سنة ٧٠٠ وتوفى سنة ٧٧٤ ،
من مصنفاته البداية والنهاية فى التاريخ ، والتفسير ، وجمع المسانيد العشرة ، صحب
ابن تيمية وأخذ عنه ، ولازم المزي ، وتزوج بابنته ، وسمع عليه أكثر تصانيفه .
(٥) ذكر ابن كثير هذا فى البداية والنهاية .

(٦) ولد نجم الدين ابن إسرائيل سنة ٥٦٣ وتوفى سنة ٦٧٧ . ومن قوله :
وما أنت غير الكون بل أنت عينه ويفهم هذا السر من هو زائق
وأيضاً « إن الله ظهر فى الأشياء حقيقة . واحتجب بها مجازاً ، فمن كان =

على طريقة ابن الفارض ، وابن عربي^(١) . وقال الشيخ مدين - وهو كان رأس الصوفية زماننا - « إن التائية هي الفصوص ، لا فرق بينهما » ومن قال إن السراج عمر بن إسحاق الهندي^(٢) عزّر الشهاب أحمد بن يحيى بن أبي حجلة^(٣) لأجل كلامه في ابن الفارض ، وجعل ذلك دليلاً على ولايته - أجيّب بأن شيخنا حافظ العصر أحمد بن حنبل ذكر في ترجمته في أول تاريخه في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة أن السراج الهندي كان يتعصب للصوفية الاتحادية ، وأنه شرح التائية ، فسقط كلامه ، والاعتبار به^(٤) ، وعلى كل تقدير فتعزيره له غير واقع في محله بوجه ، فإنه لا شيء على من كفر مسلماً بتأويل بلا خلاف

== من أهل الحق والجمع شهدها مظاهر وبحالي ، ومن كان من أهل المجاز شهدها ستوراً وحجياً » انظر لسان الميزان ، ومجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص ٦١ .

(١) لا يدين ابن الفارض بالحلل ، ولا ابن عربي به أو بالاتحاد ، وإنما يدين بالوحدة ، إذ الحلل يستلزم الإثنية ، والاتحاد يشعر بأنه كان ثم غيران في وقت ما ، وما يدينان بأنه ما ثم غير ولا سوى . ومما قرأته لابن إسرائيل تحمك بأنه على دين أهل الوحدة ، لا الحلل أو الاتحاد .

(٢) ولد سنة ٧٠٤ ، ومات سنة ٧٧٣ هـ . تولى قضاء الحنفية ، وكان يتعصب تعصباً مقيتاً للصوفية من أهل الوحدة ، ولذا شرح تائية ابن الفارض .

(٣) ولد سنة ٨٢٥ ثم قدم القاهرة ، فولى بها مشيخة الصوفية ، وكان يكثر من الخط على أهل الوحدة ، وبخاصة ابن الفارض ، ولهذا عارض جميع قصائده ، توفي سنة ٧٧٦

(٤) ولهذا يجب دائماً ألا نجعل آراء البشر أدلة على الحق ، أو سيلاً إليه ، بل نرد في كل ما يعرض لنا من أفضية الدين إلى الكتاب والسنة ، وفيما يحسب أن به فضل الخطاب ، والعدل والحق والصواب ، ولو أن السراج الهندي أسلم وجهه لله ، وجرّد قلبه من إثم هواه ، لو إلى الله سبحانه ولم يوال ابن الفارض . وثم يدين بالحق ، وهو ابن الفارض عدو للتحق .

نعلمه بين العلماء . والحجة فيه قصة عمر وحاطب ^(١) رضى الله عنهما ، وغير ذلك مما وقع محضرة النبي صلى الله عليه وسلم في وقائع عدة ، على أن التعزير ^(٢) يحتتمل أموراً عدة ، لا يتعين شيء منها إلا بدليل ، فسقط الاستدلال به .

وقال العلامة علاء الدين البخارى ، وكان عين العلماء والتصوفية قبل الشيخ مدين ^(٣) لشخص حنفى « لا فرق بين التائبة والنفسوس إلا بكونه نثراً ، وكونها نظماً ، كما أنه لا فرق بين منظومة [١٣] النسفى والقدرى إلا بذلك . وقال الشافعى مثل ذلك ، ومثل بالبهجة نظم الحاوى ، وبالحاوى » .

وقال العلامة بدر الدين حسين بن الأهدل - وهو من أعيان صوفية اليمن وفقهائهم - : « واعلم أن ابن الفارض من رؤوس أهل الاتحاد » واستشهد على ^(٤)

(١) هو حاطب بن أبى بلتعة ، اتفقوا على شهوده بدرأ ، وثبت ذلك فى الصحيحين من حديث على فى قصة كتابة حاطب إلى أهل مكة يخبرهم بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، فزلت فيه : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) الآية . فقال عمر : دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه قد شهد بدرأ ، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ؟ » . وقد روى حديث حاطب الجماعة كلهم إلا ابن ماجه . ومكان الحجة هنا : تأول عمر فعل حاطب بالنفاق ، وعدم مؤاخذه الرسول لعمر فى تأوله هذا . ولكن حاطباً رجل أخطأ فندم وتاب فأين من هذا إصرار ابن الفارض ، وتصريحه الجلى بأنه هو الله !؟

(٢) يعنى : تعزير السراج الهندى لابن أبى حجلة . وقد حفل البقاعى بهذا التعزير ، كما سما السراج إله يعزر عاصيا . وماذا ينتظر الناس من السراج !؟ ألا إنما الحق غنى عن تأييد الملايين من أمثال السراج هذا .

(٣) ولد بأشمون جريس سنة ٧٨١ تقريباً . وتوفى سنة ٨٩٢ . يقول عنه السخاوى فى الضوء : « وأما فى تحقيق مذهب القوم فهو حامل رايته . والمخصوص بصريحه وإشارته » .

(٤) لعله سقط من الناسخ بعد على ، كلمة : قوله ، أو هذا .

بشراح التائية من أتباعه مثل سعيد الفرغاني وداود القيصرى ، ومحمود الأبرازى .

شواهد من تائية ابن الفارض

وإياك والإعراضَ عن كل صورة

مُؤَوَّهَةٍ ، أو حالة مستحيلة

فَطَيْفُ خيال الظل يبدى ^(١) إليك فى

كَرَى اللهو، ما عنه الستائرُ شُقَّتْ

ترى صُورَ الأشياءِ تُجلى عليك مِنْ

وراء حجاب اللبس ^(٢) فى كل خلعة

تجمعت الأضداد فيها لحكمة ^(٣)

وأشكالها تبدو على كل هيئة

صَوَامِتُ تَبْدَى النطق وهى سواكن

تتَحَرَّكُ مَهْدَى النور غير ضوئية

ثم ذكر أنواعاً من الأضداد فى نيف وعشرين بيتاً، ثم قال :

وكل الذى شاهدته فعل واحد

بمفرده ، ولكن يحجب الأكنة

إذا ما أزال الستر لم تر غيره

ولم يبق بالأشكال إشكال ريبة

ويجمعنا فى المظهرين تشابه

وليست لحالى حاله ^(٤) بشبيهة

(١) فى الأصل : يهدى

(٢) فى الأصل : النفس . والتصويب من الديوان .

(٣) فى الأصل : بحكمة .

(٤) فى الأصل : حالة .

LIBRARY
AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

فأشكاله كانت مظاهر فعله
بستر تلاشت إذ^(١) تجلى وولت
وكانت له بالفعل نفسى شبيهة
وحسى كالأشكال ، واللَّبْسُ سترتى

تمجيد الصوفية لعبادة الأصنام

وقال فى الفص النوحى أيضاً : (٧١ : ٢٣ وقد أضلوا كثيراً) أى حَيَّرُوهم
فى تعداد الواحد بالوجوه والنسب (ولا تزد الظالمين^(٢)) لأنفسهم « المصطفين »
الذين أورثوا الكتاب ، فهم أول الثلاثة^(٣) ، فقدمه على المقتصد والسابق

(١) فى الأصل : إذا .

(٢) يعنى : من ذكروا فى قوله تعالى (ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً) وقد عرفهم
الزنديق بأنهم : هم المصطفون الأخيار .

(٣) يشير إلى الثلاثة الذين ذكروا فى قوله تعالى (٣٥ : ٣٢ ثم أورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات
بإذن الله) وقد سوى الزنديق بين مفهوم الظلم هنا ، وبين مفهوم الظلم فى قوله
تعالى (ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً) يهدف بهذه التسوية إلى تقرير أن عباد الأصنام
من قوم نوح هم من الذين اصطفاهم الله سبحانه !! ناسياً عن عمد كفور أن الظلم
فى قوله سبحانه (ظالم لنفسه) مقيد ، وأنه هناك مطلق . وأن الظالم لنفسه فى الآية
مذكور فى مقام ثناء ، وأن الظالمين من قوم نوح ذكروا فى مقام الذم .

ولا عجب ، فالمصطفى عند الصوفية هو الظالم ، والظالم عندهم من شاهد الواحد
كثيراً ، فعدد الواحد ، وسار منه إلى الكثير . والمقتصد من يشهد الكثرة فى
الواحد والواحد فى الكثرة . جامعاً فى شهوده بين الحق والحلق . والسابق هو
من يشهد الكثير واحداً ، ويسير من الكثير إلى الواحد . ويرى الصوفية فى الظالم
أفضل الثلاثة إذ لا يرى الواحد إلا كثيراً بالاعتبار فقط . ويلزمهم من هذا أن
يكون ربهم ناقصاً كاملاً . وأن يكون مغايراً لنفسه ، إذ الثلاثة عندهم عين الحق .
فيكون الحق المتعين فى الظالم غير المتعين فى المقتصد . فى حين هم يدينون بأن هوية
كل شىء عين هوية الحق !!

« إلا ضلالاً » إلا حيرة المحمدي « زدني فيك تحيراً^(١) ». (٢ : ٢٠ : كلما أضاء لهم مشوا فيه ، وإذا أظلم عليهم قاموا) فالخائر له الدور ، والحركة الدورية^(٢) حول القطب^(٣) ، فلا يبرج منه . وصاحب الطريق المستطيل مائل خارج عن المقصود ، طالب ما هو فيه . صاحب خيال إليه غايته ، فله « من ، وإلى^(٤) » وما بينهما ، وصاحب الحركة الدورية ، لا بدء له ، فيلزمه « من » ولا غاية له^(٥).

(١) يستشهد ابن عربي بهذا على أنه حديث نبوي كما يأفك الصوفية . ولكن اسمع لابن تيمية يقول عنه : « لم يرو هذا الحديث أحد من أهل العلم بالحديث ، ولا هو في شيء من كتب الحديث ، ولا في شيء من كتب من يعلم الحديث ، بل ولا من يعرف الله ورسوله » ص ٤٥ ج٤ مجموعة الرسائل والمسائل .

(٢) في الأصل : الدور ، والتصويب من الفصوص .
(٣) يريد به هنا : الله سبحانه : وهو متعين في الحقيقة المحمدية !! وسبحانك عما يأفك الزنادقة .

(٤) يقول بالي أفندي في شرحه للفصوص « أي له ابتداء ومسافة ، فابتداءه من نفسه ، وانتهاءه إلى خياله ، ومسافته ما بينهما . فلا يصل إلى مطلوبه بهذا الطريق ، وهو طريق العابدين من أهل الظاهر » انظر ص ٨٤ من الشرح المذكور .

واهاً للصوفية !! حتى بالي أفندي يؤمن بأن من يعبد الله بما شرعه الله ، لا ينعم بالإيمان ولا بحجة الله !!

(٥) يقول بالي ص ٨٤ من شرحه للفصوص « ولا غاية له لمشاهدة مطلوبة في كل مظهر ، ولا نهاية للمظاهر ، فلا غاية لصاحب هذه الحركة » يعني : أن الصوفي الحق ، والموحد الحق ، هو من يدين بأن الحق عين الحق ، وهذا الموحد بدؤه عين غايته ، وأوله نفس آخره ، فهو أشبه بمن يديم الطواف حول دائرة . إنه ينتهي إلى حيث بدأ ، ويبدأ من حيث انتهى . والصوفي يبدأ من عبادة الظاهر أو الحق ، وينتهي إلى عبادة المظاهر أو الخلق ، ولكن : ماتلك المظاهر ؟ إنها عين الظاهر ؟ ومن أولئك الخلق ؟ إنهم عين الحق . فلا يقال عنه إنه بدأ أو انتهى ، فالبداية عين النهاية !! هذا مراد الزنديق من قوله : ولا غاية له .

فتحكم عليه « إلى » فله الوجود الآتم ، وهو المؤتوي جوامع الكلم والحكم
« مما خطيئاتهم ^(١) » فهي التي خطت بهم ، ففرقوا في بحار العلم بالله ، وهو الخيرة
« فأدخلوا ناراً » في عين الماء ^(٢) ، في الحمديين (٨١ : ٦) وإذا البحار سجرت)
سجرت التنور إذا أوقدته . « فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً » فكان الله عين
أنصارهم ^(٣) فهلكوا فيه إلى الأبد ، فلو أخرجهم إلى السيف ، سيف الطبيعة
لنزل بهم عن هذه الدرجة الرفيعة ، وإن كان السكل لله ، وبالله ، . بل هو الله .
« قال نوح : رب » ما قال : إلهي . فإن الرب له الثبوت ، والإله يتنوع ^(٤) بالأسماء ،
فهو كل يوم هو في شأن . فأراد بالرب ثبوت التكوين ؛ إذ لا يصح إلا هو .

(١) يقصد قوله تعالى عن قول نوح (٢٥ : ٧١) مما خطيئاتهم أغرقوا ، فأدخلوا
نارا ، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً) ويمجد الفاجر خطايا الوثنيين من قوم
نوح ، ويزعم أنها خطت بهم إلى قدس أقداس الحقيقة ، فغرقوا أنهم أرباب تعبد
آلهة هي الأصنام ، ويفسر الإغراق بأنه إغراق في بحار العلم بالله !
(٢) يفسر المنار بأنها هي الماء ، فأى عمه بصرى ، وغباء حسي ، وخيال فكري
أخبت من هذا ؟

(٣) في الأصل : ناصرهم . وتأمل رعونة الزندقة ، وجرأة باطلها على الحق
المبين من كتاب الله . إذ يزعم أن الله سبحانه ما نفي وجود الأنصار للوثنيين ، إلا
لأن الله نفسه كان هو عين أنصار أولئك الوثنيين ، فما ثم غيره حتى يمكن نفي
وجوده . ولم لا يفجر الزنديق كل هذا الفجور ، وهو يدين بهذه الأوثان هي الله
سبحانه عما يافك الزنادقة .

(٤) في الأصل : تنوع . وابن عربي يدين بأن كل شيء هو اسم إلهي تعين
في صورة ذلك الشيء . ولذا ، فكل شيء إله يجب أن يعبد ، ولما كان لكل شيء
اسمه الخاص به ، فإن الحق تعددت ، وتنوعت أسماؤه تبعاً لتنوع الأشياء وتعدد
أسمائها ، فالأشياء كلها تعينات أسمائه . فيسمى الإله الصوفي إذن صنما باعتبار تعينه
في شيء سمي : الصنم . ويسمى : عجلاً ، وختزيراً ، وميكروباً ، وقمياً ، وبقياً ،
بنفس ذلك الاعتبار .

« لاتذرعلى الأرض » يدعو عليهم أن يصيروا فى بطنها المحمدى « ولو دلتم
بجبل لهبط على الله^(١) » (له مافى السماوات ، وما فى الأرض^(٢)) وإذا دفنت
فيها [فانت فيها] ، وهى ظرفك (٢٠ : ٥٥) وفيها نعيدكم ، ومنها نخرمك تارة
أخرى ([١٤] لاختلاف الوجوه « من الكافرين^(٣) » الذين « استغشوا
ثيابهم ، وجعلوا أصابعهم فى آذانهم » طلباً للستر ، لأنه دعاهم ليغفر لهم . والغفر
الستر . « دياراً » أحداً ، حتى نعم المنفعة كما عمت الدعوة « إنك إن تذرهم »
أى تدعهم وتتركهم « يضلوا عبادك » إلى الخير ، فيخرجوهم من العبودية إلى
ما فيهم من أسرار الربوبية فينظرون أنفسهم أرباباً بعد ما كانوا عند أنفسهم
عبيداً ، فهم العبید الأرباب (ولا يلدوا) أى ما ينتجون ولا يظهرون (إلا فاجراً)
أى مظهراً ما ستر (كفاراً) أى ستاراً ما ظهر بعد ظهوره ، فيظهرون ما ستر ، ثم
يسترونه بعد ظهوره ، فيحار الناظر ، ولا يعرف قصد الفاجر فى خوره ، ولا الكافر

= فلا تعجب : إذ رأيت الصوفى يعبد درويشة ، أو عاهرة ، فإنهما اسمان لإلهما
تعياناً فى صورتى درويشة وعاهرة !! هذا ما يريد ابن عربى ، الشيخ الأكبر
والكبريت الأحمر من قوله : والإله يتنوع بالأسماء .

(١) هذا حديث منقطع ، لأنه من رواية الحسن عن أبى هريرة ، والحسن لم
يرأبأ هريرة وبالتالي لم يسمع منه . وقد رواه الترمذى ، وقال عنه : إنه غريب .
وأوقن أن هذا الحديث قد دسه إما صوفى ، وإما جهمى تأييداً لأسطورة الحلول ،
أو أسطورة أن الله فى كل مكان بذاته . فهو مصادم للقواطع من كتاب الله ، فمن
قول الله سبحانه (أأنتم من فى السماء أن ينخسف بكم الأرض) فكيف يتوعدهم
بنخسف الأرض وهو فيها ؟؟

(٢) عقب ما ظنه حديثاً بالآية ، استشهاداً بها على صدق أسطورة الوحدة .
والآية ما فيها إلا حق يهدم كفر الباطل . إذ تفيد أن السماء والأرض ملك لله
وحده ، يفيد الأول اللام ، والثانى تقدم الجار والمجرور . يفهم هذا من له أذنى
إمام بالعربية ، ولكن ابن عربى يلبس حتى فى البدهيات .

(٣) يعنى : الذين دعا عليهم نوح عليه السلام .

في كفره ، والشخص واحد (رب اغفر لي^(١)) استرني ، واستر من أجلي ، فيجهل
مقامي وقدرى ، كما جهل قدرك في قولك (٦٧ : ٣٩) وما قدروا الله حق
قدره « ولوالدي » من كنت نتيجة عنهما ، وهما العقل والطبيعة « ولمن دخل
بيتي « أى قلبى « مؤمناً » أى مصداقاً لما يكون فيه من الإخبارات الإلهية ،
وهو ما حدثت به أنفسها^(٢) « وللمؤمنين » من العقول « للمؤمنات » من
النفوس^(٣) « ولا تزد الظالمين » من الظلمات أهل الغيب المكتنفين خلف الحجب
الظلمانية « إلا تبارا » أى هلاكاً ، فلا يعرفون نفوسهم ، لشهودهم وجه الحق
دونهم فى الحمديين (٢٨ : ٨٨ كل شىء هالك إلا وجهه) والتبار الهلاك^(٤) .

الحق عين الخلق عند الصوفية

ثم قال فى فص حكمة قدوسية فى كلمة إدريسية : « ومن أسمائه الحسنى :
العلى . على^(٥) من ؟ وما ثم إلا هو !! فهو العلى لذاته ، أو عن ماذا ؟ وما هو

(١) سيبدأ فى تفسير قوله تعالى : (٢٨ : ٧١ - رب اغفر لي ، ولوالدي ، ولمن دخل
بيتي مؤمناً ، وللمؤمنين والمؤمنات ، ولا تزد الظالمين إلا تبارا) وسترى فى
تفسيره كيف يضع للفظ الكفر معنى الإيمان الحق ، ولللفظ الباطل معنى الحق .

(٢) فى الأصل : أنفسهم ، وصوبتها من الفصوص

(٣) فسر الإضلال بأنه الإخراج من الباطل والشر إلى الحق والخير ، أى من
الظن بأنهم عبيد ، إلى اليقين بأنهم فى حقيقتهم أرباب !! وفسر الوالدين بالعقل
والطبيعة ، والبيت بالقلب ، والمؤمنين والمؤمنات بالعقول والنفوس ، والهلاك بشهود
الحق فى الخلق . وهكذا يعبث الصوفية عبث الجرأة الكافرة بالآفة التى نزل بها
القرآن ، فيضعون للشىء معنى تقيضه ، ويزعمون بهذا أنهم أهل الباطل ،
أى الباطن !! الله يهتكهم !!

(٤) ص ٧٢ - ٧٤ فصوص

(٥) فى الأصل : علا عن من . وهى - كما أثبت - فى الفصوص

إلا هو ! فعلوه لنفسه ، وهو من حيث الوجود عين الموجودات ، فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها ، وليست إلا هو ^(١) . فهو العلي ، لاعلو إضافة ، لأن الأعيان التي لها العدم الثابتة فيه ، ما شمت رأحة من الوجود ، فهي على حالها مع تعداد الصور في الموجودات والعين واحدة من المجموع في المجموع ، فوجود الكثرة في الأسماء ، وهي النسب ، وهي أمور عدمية ، وليس إلا العين الذي هو الذات ، فهو العلي لنفسه ، لا بالإضافة ، فما في العالم من هذه الحيثية علو إضافة ، لكن الوجوه الوجودية متفاضلة ، فعلو الإضافة موجود في العين الواحدة من حيث الوجوه الكثرية ، لذلك نقول فيه : هو ، لا هو . أنت ، لأنك ^(٢) . قال الخراز ^(٣) -

(١) هذا صريح جدا في الدلالة على أن ابن عربي يؤمن بوحدة الوجود المادية والروحية . وقد عبر عن إيمانه هذا بقوله : « فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها » ثم زاد الكفر غلوا وتوكيدا ، فقال : « وليست إلا هو » هكذا بأقوى وأؤكد أسلوب من أساليب القصر . ولعل في هذا ما يكشف لك عن علة مقت الصوفية لكلمة التقوى والتوحيد « لا إله إلا الله » وقولهم بدلا عنها : « ليس إلا الله » أو « لا هو إلا هو » وبهذا دان الغزالي ، وقرره في مشكاة الأنوار ، أو « هو الله » أو « هو هو » مما يهولون به على الخبايل ، ويهدفون به إلى تأييد مذهبهم في الوحدة : شهودية ، أو وجودية

(٢) هو ، وأنت : إيجاب ، ولا هو ، ولا أنت : سلب ، فهما إذن تقيضان ، لا يجتمعان ، ولا يرتفعان . وإذا حكمت بثبوت أحدهما أو نفيه استلزم هذا لزوما قطعيا الحكم بنفي الآخر أو ثبوته . بيد أن الصوفية لا يحفلون في سبيل إثبات وجود العدم بقانون من قوانين اللغة أو الفكر ، بل لديهم الجرأة البالغة على تكذيب ما يشهد به الحس ، وما يقطع بيداوته العقل ، والبين الجلي من كتاب الله . ومعنى قول ابن عربي : إنك تستطيع أن تقول عن كل شيء إنه هو الله باعتبار هويته وماهيته ، وتقول ليس هو الله بالنظر إلى اسمه الخاص به ، وإلى أنه أحد عينات الذات لا كل تعييناتها ، وكذلك أفهم قوله : أنت لا أنت .

(٣) هو أحمد بن عيسى أبو سعيد الخراز من صوفية بغداد توفي سنة ٢٧٧ هـ . وسيدكر ابن عربي صريحا أن الخراز هو الله سبحانه ! !

وهو وجه من وجوه الحق ، ولسان من أسنته ينطق عن نفسه : بأن الله لا يعرف إلا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه بها ، فهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، فهو عين مظهر ، وهو عين ما بطن في حال ظهوره ، وما ثم من يراه غيره ^(١) ، وما ثم من يبطن عنه ، فهو ظاهر لنفسه ، باطن عنه ، وهو المسمى أبا سعيد الخراز ، وغير ذلك من [أسماء] المحدثات ^(٢) .

قلت : وقال ابن الفارض :

أمت إمامي في الحقيقة ، فالورى ورأى وكانت حيث وجهت وجهتى
 يراها إمامي في صلاتي ناظري ويشهد في قلبي إمام أمتي
 ولا غرو أن صلى الأنام إلى ، أن ثوت بفؤادي وهي قبلة قبلي
 لها صلوات بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لى صلت
 كلانا مصل ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة
 وما كان لى صلى سوى ، ولم تكن صلاتي لغيري في أدا كل ركعة
 إلى كم أواخي ^(٣) الستر، هاقد هتكته وحل أواخي ^(٤) الحجب في عقديعتي
 أفاد اتخاذي ^(٥) حبيها لانحادنا نوارد عن عاد المحبين شذت

(١) إذ كل شيء عنده هو الله ، فإذا رأى الصوفي إنسانا قال : الله رأى الله ، وإذا عبد الشرك صنما قال الصوفي : الله عبد الله ، وهكذا استطرد في كل اثنين . حتى العاهر مع العاهرة !! وتعالى الله عما يافك الزنادقة

(٢) ص ٧٦ - ٧٧ فصوص . وهذا صريح جدا في أن ابن عربي يؤمن بأن الله سبحانه عين كل شيء : مادي ، أو روحى !!

(٣) من المواخاة بمعنى الملازمة

(٤) جمع آخية ، وهي ما يبرز - كالحلقة - من الجبل المدفون طرفاه في الأرض وتشد إليها الدابة ، ويراد بها الحرمة والذمة

(٥) في الأصل : اتخاذي ، والتصويب من الديوان

وفي الصحو بعد المحو^(١) لم أك غيرها وذاتي بذاتي إذ تحلت تجلت^(٣)
[فوصفي إذ لم تدع باثنين وصفها وهيئتها - إذ واحد نحن - هيئتي^(٣)]
فإن دعيت كنت المحيب، وإن أكن منادى أجابت من دعائي ولبت
وإن نطقت كنت المناجي^(٤) ، كذلك^(٥) إن

قصصت حديثاً ، إنما هي قصت
فقد رفعت تاء المخاطب بيننا وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي
فجاهد تشاهد فيك منك وراء ما وصفت سكوناً عن وجود سكينه

(١) الصحو عند الصوفية : هو رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته وزوال
إحساسه . والمحو : إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان ، ولا موجود عندهم إلا الحق
سبحانه وحده ، فهو العابد باعتبار تعينه وتقيد بصور العبد التي هي شأن من شئونه
الذاتية ، وهو المعبود باعتبار إطلاقه . انظر التعريفات للجرجاني ، وجامع الأصول
في الأولياء للكمشخاني تحت مادتي الصحو والمحو . . وابن الفارض هنا يغلو في
إثبات الوحدة ، فيزعم أنه هو الله ، لافي حال المحو فحسب ، بل في حال الصحو
أيضاً . وهذا يؤكد لك أنه يعني ما يقول ، ويؤمن بالوحدة صحواً ومحواً ، فما هي
شطحات ، ولكنها عقيدة ينبت عليها قلبه ودينه ، وما هو بهذيان سكران كما يهرف
الصوفية ، ليقولوا : وكلام السكران معفو عنه ، فيطوى ، ولا يروى ! !

(٢) يشرح القاشاني هذا البيت بقوله : « أي ارتفع غيرتي في حال الصحو بعد
المحو ، وحينئذ زينت ذاتي بذاتي إذ تجلت ، ولا ينتج تجليها السكر ، لأنها لا تصادف
غيرها » يعني أنها صارت هي الله « وهذا هو نهاية الاتحاد » انظر شرح القاشاني
- وهو من عباد ابن الفارض - للتائية

(٣) هذا البيت ليس في الأصل ، وقد أثبتته عن ديوان ابن الفارض ،
وسميتي شرحه .

(٤) في الأصل : المحيب . والتصويب من الديوان

(٥) في الأصل : كذلك

فمن بعد ما جاهدت ، شاهدت مشهدي^(١) وهادي^(٢) لي إياي ، بل بي قدوتي
فبي موقفي ، لا ، بل إلي توجهي كذاك صلاتي لي ، ومنى كعبتى

الوحدة المطلقة دين ابن عربي

قال الإمام زين الدين العراقي في جواب السؤال المذكور : « وأما قوله^(٣)
فهو عين ما ظهر ، وعين ما بطن ، فهو كلام مسموم ، ظاهره : القول بالوحدة
المطلقة ، وأن جميع مخلوقاته هي عينه ، ويدل على إرادته لذلك صريحاً قوله بعد
ذلك : « وهو المسمى أبا سعيد الخراز ، وغير ذلك من أسماء المحدثات » وكذا
قوله بعد ذلك : « والمتكلم واحد ، وهو عين السامع » وقائل ذلك والمعتد له كافر
بإجماع العلماء » .

« لا يُعْتَدَرُ عَنِ الصَّوْفِيَّةِ بِالتَّأْوِيلِ »

ثم قال : « ولا يقبل ممن اجترأ على مثل هذه المقالات القبيحة أن يقول :
أردت بكلامي هذا خلاف ظاهره ، ولا نؤول له كلامه ، ولا كرامة بنفسي .
ولقد أحسن بعض من عاصرناه من العلماء العارفين ، وهو الشيخ الإمام
العلامة علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي حيث سئل عن شيء من هذا .
فقال : « إنما نؤول كلام من ثبتت عصمته حتى نجمع بين كلاميه^(٤) ، لعدم

(١) في الأصل : مشهدي

(٢) في الأصل : وهادي

(٣) يعني : ابن عربي

(٤) هذا على دين من يقول بوجوب التأويل لآي القرآن ، أو الأحاديث التي
يرون - وهو - أي ضلالة - أن في حملها على ظاهرها إثباتاً لوجود التعارض بين
العقل والنقل . وما أتى هؤلاء إلا من إيمانهم بأسطورة الفلسفة الملاحدة ، وهي أن
العقل حاكم على النقل ، وأنه القاعدة ، والقياس ، فإذا رأى العقل في كلام الله =

جواز الخطأ عليه ، وأما من لم تثبت عصمته ، فجائز عليه الخطأ والمعصية والكفر ،
فنؤاخذه بظاهر كلامه ، ولا يقبل منه ما أول كلامه عليه مما لا يمتثل له ، أو مما يخالف
الظاهر ، وهذا هو الحق » انتهى .

خطر صرف الكلام عن ظاهره

وكذا قال في عدم التأويل لغير المعصوم الإمام نور الدين علي بن يعقوب
البكرى الشافعي ، وقد حقق هذه المسألة حجة الإسلام^(١) أبو حامد الغزالي في
أول الإحياء في كتاب العلم بما حاصله : أن الكلام إن كان ظاهراً في الكفر
بالاتحاد ، فقتل واحد ممن يقول به أفضل من إحياء عشرة أنفس ، وإن كان
فهمه مشكلاً ، فلا يحل ذكره . وقال : إن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى
ظواهرها بغير اعتصام بنقل عن صاحب الشرع ، وبغير ضرورة تدعو إلى ذلك
من دليل العقل^(٢) اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ . ثم قال : والباطن لا يضبط

= ما لا يوافق مقاييسه وقيمه ، وجب تأويله حتى لا يتعارض معه !! يجعلون الخلق
حاكماً على الخالق ، والعبد محمداً للقيم التي يجب أن يؤمن بها الرب ، ويؤمنون على الله
ألا يتكلم سبحانه إلا بما يتواءم وهوى عبيده ! ! هكذا يفعل المؤولة ، اقتداءً بألهتهم
الفلاسفة ، فما صاروا فلاسفة ، وما قدروا على أن يعودوا مسلمين ! ! والقونوي هو
أبو الحسن نور الدين المصري الشافعي ، ولد سنة ٦٧٣ ، وتوفي سنة ٧٢٤ هـ وهو
من خصوم ابن تيمية ، حتى لقد وثب مرة عليه ، ونال منه

(١) إنما حجة الإسلام كتاب الله وسنة رسوله ، وكيف يعتبر حجة للإسلام رجل
يشهد على نفسه أنه رديء البضاعة في الحديث ، وأنه لم يجد الحق إلا في التصرف؟!
(٢) لو تركنا للعقل الحرية في صرف اللفظ عن ظاهره ، أي عن معناه الذي
هو له لصارت الحقائق كلها نسبية أو اعتبارية ، بل لما بقي حق واحد يؤمن به
الفكر العام ، ولعدنا إلى السفسطة . إذ سيصبح جائزاً لكل إنسان ادعاء أن
هذا اللفظ ، أو ذلك يجب صرفه عن ظاهره ، لأن عقله يحكم بذلك ، ولا يمكن
لامرئ ما معارضته ، ما دمتنا قد وضعنا له من قبل قاعدة وجوب صرف اللفظ =

له ، بل تعارض فيه الخواطر^(١) ، ثم قال : وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة .

وسياتى تأييد ذلك عن الشيخ زين الدين العراقي وولده الحافظ أبي زرعة [١٦] وحكاية ابن خليل السكوني الإجماع على ذلك .

صلة الخلق بالحق عند الصوفية

ثم قال ابن عربي في الفص الإدريسى أيضا : « وما ظهر حكم العدد إلا بالمعدود : منه عدم ، ومنه وجود ، فقد يعدم الشيء من حيث الحس ، وهو موجود من حيث العقل ، فلا بد من عدد ، ومن معدود ، ولا بد من واحد ينشأ ذلك ، فينشأ بسببه ، فإن كل مرتبة^(٢) من العدد حقيقة واحدة كالتسعة مثلا ، والعشرة [إلى أدنى ، وإلى أكثر ، إلى غير نهاية] ماهى مجموع ، ولا ينفك عنها اسم جمع الآحاد^(٣) »

ثم قال : « ومن عرف مقررناه في الأعداد ، وأن نفيها عين إثباتها^(٤) = عن ظاهره إذا تعارض مع العقل !! والفلاسفة أنفسهم لم يجمعوا على حقيقة واحدة ، بل آمن كل بإله ليس هو إله الآخر في ماهيته وصفا ، بل كان الفيلسوف يؤمن أو يكفر بما كفر أو آمن به من قبل ، ونظرة واحدة إلى نتاج الفكر الفلسفي تبين لك عما فيه من تناقض حاد ، وتضاد متوتر ، فأى عقل من هذه العقول يجعله قبا على الحق ، وحكما بين الخطأ والصواب ؟ !

(١) هذا حق لا حرية فيه ، بيد أن من قرره لا يؤمن به إلا حين يخاطب عوام الناس في زعمه ، أما في كتبه المضمون به على غير أهلها فهو باطنى بمجرد اللفظ من معناه فى جرأة بالغة ، وحسبك أن من أساتذة الغزالي إخوان الصفا ، وأن فى كتبه المضمون بها آثارا ظاهرة من باطنيتها الخبيثة ، وعجيب أن يحمل الغزالي على الباطنيين ، وهم أساتذته ، وهو من رواد مشارعهم ؟ !

(٢) فى الأصل : وإن كان كل . وهو موافق لبعض نسخ الفصوص

(٣) ص ٧٧ ج ١ فصوص

(٤) فى الأصل : ثبوتها ، والتصويب من الفصوص

علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه^(١) وإن كان قد تميز الخلق من الخالق ، فالأمر الخالق المخلوق ، والأمر المخلوق الخالق كل ذلك من عين واحدة [لا] ، بل هو

(١) يمثل الزنديق علاقه الحق بالخلق ، بعلاقة الواحد الحسابي بالأعداد ، فيزعم أن جميع الأعداد صور للواحد ، وكذلك الوجودات المتعددة ما هي إلا صور للوجود الواحد ، هو الوجود المطلق . فالتسعة مثلاً هي الواحد مكرراً ، فلك القول بأن الواحد عين التسعة ، ولك القول بأنه غيرها ، بيد أنها غيرية مجازية ، أو إسمية فقط . وكذلك الحق سبحانه - هكذا يَأفك الزنديق - والخلق ، فهذا عين الحق باعتبار الهوية والماهية ، وهو غيره باعتبار خصوصيته ، أي كونه مظهراً للذات الواحدة ، ولكنها غيرية ذهنية لا تحقق لها في الخارج . ألا تراه يزعم : « إن الحق المنزه عين الخلق المشبه » ؟ ! ، وما أظن الكفر تجراً على الله من أحد بمثل هذه الجرأة من ابن عربي ، وما أظنه صرح عن خبيثته بما هو أبين من هذه الصراحة . والرد على تلبس ابن عربي هين . فالأعداد في ذاتها حقائق معقولة ، لا توجد في الذهن ، ولا توصف بالوجود الخارجي إلا بالنسبة للمعدودات ، ثم إن معدود الأربعة مثلاً ليس بلازم أن يكون عين معدود الخمسة ، بل ولا عين معدود أربعة أخرى ، فقد يكون معدود الخمسة أقلاماً ، فيكون الواحد فيها قلماً . وقد يكون معدود الأربعة كتباً ، فيكون الواحد منها كتاباً . فيكون الواحد في الأربعة غير الواحد في الخمسة ، بل غيره في أربعة أخرى ، وهكذا في كل معدود . وهي غيرية حقيقية في الذاتيات والعرضيات . ولكن ابن عربي يوقن بأن الحق المتلبس بصورة الصنم عين الحق المتلبس بصورة الخنزير ، يؤمن بأن الحق المعبود في عجل السامري عين الحق المعبود في البار ، وهبل . أما الأعداد فقد رأيت أن الواحد في الأربعة يغير الواحد في الخمسة مثلاً ، أو في أي عدد آخر مغايرة حقيقية ، نعم معنى الواحد في عدد ما عين معناه في عدد آخر ، لكنها عينية ذهنية ، أو تجريدية فحسب . أما ابن عربي فيؤمن بتحقيق العينية في الوجود الخارجي ، إذ يدين بأن ما في الخارج عين ما في الذهن . وهذا واضح البطلان ، فالمستحيل يوجد في الذهن ، ولكنه لا يوجد في الخارج ، وكذلك المطلق والسكلي بشرط الإطلاق والسكلية يوجدان في الذهن ، ولا يوجدان ألبتة في الخارج

العين الواحدة ، والعيون الكثيرة^(١) »

الطبيعة هي الله عند الصوفية

ثم قال : « وخلق منها زوجها] فما نكح سوى نفسه ، فمنه الصاحبة والولد ، والأمر الواجد في العدد^(٢)] ، فمن الطبيعة ؟ ومن الظاهر منها ؟ وما رأيانها نقصت بما ظهر منها ، ولا زادت بعدم مظهر !! وما الذي ظهر غيرها ؟ وما هي عين مظهر ، لاختلاف الصور بالحكم عليها . فهذا بارد يابس ، وهذا حار يابس ، فجمع باليبس ، وأبان بغير ذلك ، والجامع الطبيعة [لا] ، بل العين الطبيعة ، فعالم الطبيعة صور في مرآة واحدة ، لا . بل صورة واحدة في [مرآيا] مختلفة^(٣) ، فما ثم إلا حيرة ، لتفرق النظر ، ومن عرف ما قلناه لم يحره ، وإن كان في مزيد علم ، فليس إلا من حكم المحل ، والمحل عين العين الثابتة ، فيها يتنوع الحق في

(١) ص ٧٨ ج ١ فصوص

(٢) كل ما بين هذين [] ساقط من الأصل ، وأثبتته عن النصوص . وأظنك قد لاحظت عرام الغريزة الدنيئة كيف وضع لابن عربي دينه في قوله : « فما نكح سوى نفسه » !! ولاحظت التثليث الذي يصوره ابن عربي بصورة أدنا من تثليث المسيحية المفلسفة . إذ يزعم أن الذات الإلهية ثلاثة أقانيم . أقنوم هو الزوج ، وثان هو الزوجة ، والأخير هو الولد » هذه الأقانيم الثلاثة هي الإله الواحد عند ابن عربي !! أفيستطيع الصوفية افتراء أنهم مسلمون ؟ !

(٣) يزعم ابن عربي أن مظاهر الطبيعة هي عين الذات الإلهية ، والمظاهر الطبيعية مختلفة الأحكام ، فمنها ما يحكم عليه بأنه حيوان أو جماد : رطب أو يابس ، حار أو بارد . لذا وجب أن يحكم على الذات الإلهية بكل ما يحكم به على مظاهرها وهي العالم الطبيعي . فيقال عن الذات الإلهية : إنها حيوان جماد رطب يابس حار بارد ، وغير هذا . ويزعم ابن عربي أن الله نفسه هو الذي يحكم على نفسه بهذه الأحكام ، أي يحكم على نفسه سبحانه بكل ما يحكم به على كل مظاهر الطبيعة !! وحسب الصوفية إيغالا في الزندقة إيمانهم برب هو جماد بارد !!

المجلى ، فتنوع الأحكام عليه ، فيقبل كل حكم ، وما يحكم عليه إلا عين ما تجلى فيه ، وما ثم^(١) إلا هذا - شعر :

فالحق خلق بهذا الوجه ، فاعتبروا وليس خلقا بذاك الوجه فاذا كروا
من يدر ما قال ، لم تخذل بصيرته وليس يدريه إلا من له بصر
جمع^(٢) ، وفرق ، فإن العين واحدة وهي الكثيرة ، لاتبقى ولا تندر^(٣)

دين ابن الفارض

قلت : وهذا مراد ابن الفارض بقوله :

وجل في فنون الاتحاد ، ولا نجد^(٤) إلى فئة في غيره العمر أفنت
فواحدة الجم الغفير ومن عدا ه شرذمة في غيره العمر أفنت
فت بمعناه ، وعش فيه ، أو فتت معناه ، واتبع أمة فيه أمت
فأنت بهذا الحمد أجدر من أخى اج تهاد مجد عن رجاء وخيفة
فألغ الكنى عنى^(٥) ، ولا تلغ الكنا بها ، فهي من آثار صيغة صنعتى

(١) في الأصل : ما

(٢) في الأصل : وجمع

(٣) ص ٧٨ - ٧٩ ج ١ فصوص

(٤) في الأصل : تجد

(٥) لما كانت الكنى اصطلاحات وضعها الإنسان الذى هو من صنع الإله الذى تجسد فى هيكل ابن الفارض فإن هذا الإله الفارض يأمر خلقه بإلغاء الكنى عنه ، إذ لا يصح للمصنوع تعريف صانعه بكنية ما . وهدف ابن الفارض من هذا أن يؤمن الناس بما آمن به هو من الكفر الفاجر ، وهو اعتقاد الوحدة التامة بين الحق والخلق ، وأن يدينوا بأن ابن الفارض هو المجلى الأعظم ، والمظهر الكامل للذات الإلهية ، فليضيفوا إليه صفات الربوبية والإلهية !!! ولما كان ابن الفارض يعلم أن كفره هذا يناهذ الشرع . فإنه ألح فى البيت الذى قبل هذا فى تحذير أتباعه من الإصغاء إلى الشرع ، أو من الميل إلى الأئمة المجدين المجتهدين الذى يعبدون الله =

وأى بلاد الله حلت بها ، فما أراها ، وفي عيني حلت غير مكة
وأى مكان ضمها حرم ، كذا أرى كل دار أوطنت^(١) دار هجرة
وما سكنته ، فهو بيت مقدس بقرة عيني ، فيه أحشاي قرت
ومسجدي الأقصى مساحب بردها وطبي ترى أرض عليها تمشت
وشكري لي ، والبر مني واصل إلى ، ونفسي باتحادى استبدت
وتم أمور تم لي كشف سترها بصحو مفيق عن سواى تغطت
بها لم يبيح من لم يبيح دمه ، وفي الإشارة معنى ما العبارة حدثت
وقلبى بيت فيه أسكن . دونه ظهور صفاتى عنه من حجبتى
ومنها يمينى فى ركن مقبلٌ ومن قبلتى للحكم فى فى قبلتى
وحولى بالمعنى طوافى حقيقة

[١٧] وسعى لوجهى من صفاتى لمروتى^(٢)

وفى حرم من باطنى أمن ظاهرى ومن حوله يخشى تخطف جيرتى^(٣)

= وحده ، وتمتلىء قلوبهم خوفا من الله وحده ، ورجاء فيه وحده .. وهكذا كل
شيطان صوفى يحذر أتباعه من الشرع وأتباعه ، ويأمرهم أن يكونوا بين يديه هو
كجثة الميت بين يدي الغاسل ، ويظل يقتل فيهم الشعور ، ويميت منهم الكرامة ،
ويستعبد منهم الفكر ، ويبيد فيهم كل إحساس بالذاتية ، حتى يصبحوا لهواه عبيدا
صاغرين ، فينتهك حرمة الله ظانين أنه ثم مع الله ، ويلعق دم الجريمة ، وهم
يحسبون أنه بذلك يقضى دين حب الله ، ويترع حميم الحمر ، ويقسمون أنها شراب
من يد الله ! !

(١) فى الأصل : ووطنت

(٢) يقصد : الصفا والمروة . يريد أن يقول : إنه إذا طاف فإنما يطوف حول

نفسه ، وإذا سعى بين الصفا والمروة ، فإنما يسعى لوجهه . ذلك لإيمانه بأن العابد
والمعبود عين واحدة . ولقد أقسم لى صوفى : أنه ليس بمن يطوفون حول الكعبة ،

بل هو بمن تطوف حولهم الكعبة ! !

(٣) يريد أن يقول : إنه هو الحرم . ويشير إلى قوله تعالى (٢٩ : ٦٧) أو لم =

وشفع وجودى فى شهودى ظل فى اتحادى وترافى تيقظ غفوتى (١)
ولم أله باللاهوت عن حكم مظهرى ولم أنس بالناسوت مظهر حكمتى
وقد جاءنى منى رسول . عليه ما عنى ، عزيزى ، حريص لرأفة (٢)
ومن عهد عهدى قبل عصر عناصرى إلى دار بعث قبيل إنذار بعثة
إلى رسولا كنت منى مرسلا (٣) وذاتى بأبائى على استقلت

يروا أنا جعلنا حرما آمنا ، ويتخطف الناس من حوله ، أقبال باطل يؤمنون ، وبنعمة
الله يكفرون) يالزنديق يزعم أن باطنه الخبيث هو هذا القدس الطهور

(١) الشفع عند الصوفية وجود الرب شفع بوجود العبد ، والوتر عندهم وجود
الرب فردا باقيا بعد فناء وجود العبد . ولما يستلزمه الشفع من الإثنية راح
ابن الفارض ينفيه هنا نفيا باتا ، ثم يؤكد أنه تجلى له عن شهود جلى ، ويقظة شاعرة
تمام الشعور أن الوجود - وجود الرب ، ووجود العبد - واحد فى أزليته وأبديته
وأنه ما ثم إلا عين واحدة سميت باعتبار الباطن حقا ، أو ربا ، وباعتبار الظاهر خلقا
أو عبدا . تلك هى الذات الإلهية ، ويؤكد الزنديق كذلك أن ما كان يضيفه من
سمات الوجود وصفاته لنفسه ، ويحسبه غير الوجود الإلهي ، كان وهما من الأوهام
استبد بخياله الغافل المغرور . هذا لأنه أدرك تمام الإدراك أنه ما ثم غير ، ولا سوى ،
بل وحدة مطلقة تشمل كل مظاهر الوجود . هذا وغيره يجعلنا نوقن أن ابن الفارض
ممن يؤمنون بالوحدة ، لا بالاتحاد . لأن الاتحاد افتعال يستلزم ثبوت وجودين
أخذ أحدهما بالآخر . فى حين أنه هنا وفى مواضع كثيرة يقرر وحدة الوجود فى
أزل وأبد وسرمد وآن ، وأنه ما كان فى حال ما ولا آن ما ثنائيا أبدا ، بل كان
دائما هو الوجود الواحد

(٢) فى الأصل : برأفة

(٣) قال القاشانى فى شرحه : « فالذات الإلهية باعتبار التجرد والابتداء تكون
مرسلا ، وباعتبار تلبسها بلباس النفس تكون مرسلا إليها » وهكذا يشد كل صوفى
وتر الثالث ، فابن الفارض يزعم هنا أنه منذ القدم كان الله ، ثم تلبس بصورة
النفس ، فأرسل بصفته وجودا متجردا ، رسولا إلى نفسه بصفته وجودا مقيدا
بالتعين ، فهو المرسل ، والرسول ، والمرسل إليه !! كان كذلك حتى وهو فى
غيابة الأزل

العبد عين الرب عند الصوفية

ثم قال في فص حكمة عليّة في كلمة إسماعيلية : « والعبد^(١) من كان عند ربه مرضيا ، وما ثم إلا من هو مرضى عند ربه ، لأنه الذي يبقى عليه ربوبيته ، فهو عنده مرضى ، فهو سعيد » ثم قال - شعر :

فأنت عبد ، وأنت ربُّ لمن له فيه أنت عبد

وأنت رب ، وأنت عبد لمن له في الخطاب عهد

فكل عقد عليه شخص يحله من سواه عقد^(٢)

فرضى الله عن عبده ، فهم مرضيون ، ورضوا عنه ، فهو مرضى ، فتقابلت الحضرتان^(٣) تقابل الأمثال ، والأمثال أصداد ، لأن المثلين حقيقة لا يجتمعان ، إذ لا يتميزان ، وما ثم إلا متميز ، فما ثم مثل^(٤) ، فما في الوجود مثل ، فما في الوجود ضد ، فإن الوجود حقيقة واحدة ، والشئ لا يصاد نفسه .

(١) في الأصل : والسعيد

(٢) البيتان الأخيران ساقطان من الأصل ، وأثبتهما عن الفصوص . يقرر ابن عربي : أن الإنسان رب من حيث هويته التي هي عين هوية الحق ، وهو عبد باعتبار ما أطلقه عليه الشرع . ويعنى بالعهد : المفهوم من قوله سبحانه : (ألسنتكم ربكم ؟) مبتغيا من وراء ذلك إثبات أن ما سمى في عرف الشرع عبدا ما هو في الحقيقة إلا رب حق يدين ربوبيته العارفون ، ويشهد بحقها السالكون على بصيرة (٣) هما حضرة الربوبية ، وحضرة العبودية ، ويقرر ابن عربي : أن من يغير بينهما محجوب أعمى البصيرة ، جاهل بحقيقة الله سبحانه

(٤) في الأصل : إلا مثل . وابن عربي ينفي المثلية لأنه يدين بأن الوجود حقيقة واحدة ، أما المثلية ، فتستلزم الإثنية والغيرية بوجه ما . وما ثم عنده إلا حقيقة واحدة ، أو وجود واحد لا كثرة فيه ، ولا تعدد ، ولا تباين ، فالشئ الواحد لا يقال أنه يغير نفسه ، أو يضادها ، أو يماثلها . هذا ما يريد بنفي المثلية ، وقد بناه على ما يدين به من وحدة الوجود . ويغلوا ابن عربي في جرأة الزندقة ، فيزعم أن معتقده هذا دل عليه برهان العيان ، أي شهود الحق متعددا في مظاهر خلقية

فلم يبق إلا الحق ، لم يبق كائن فما ثمّ موصول ، وما ثم بان
بذا جاء برهان العيان ، فما أرى بعيني إلا عينه إذ أعين^(١)

النار عين الجنة عند الصوفية

ثم قال . « الثناء بصدق الوعد ، لا بصدق الوعيد [والحضرة الإلهية تطلب
الثناء المحمود بالذات ، فيثنى عليها بصدق الوعد ، لا بصدق الوعيد ، بل بالتجاوز]
(١٤ : ٤٧) فلا تحسبن الله يخلف وعده رسله (لم يقل : ووعيده^(٢) ، بل قال :
(وتجاوز عن سيئاتهم^(٣)) مع أنه توعد على ذلك ، فأثنى على إسماعيل عليه
الصلاة والسلام بأنه كان صادق الوعد

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده وما لوعيد الحق غيره تعان
وإن دخلوا دار الشقاء ، فإنهم على لذة فيها نعيم مبين
نعيم جنان الخلد^(٤) فالأمر واحد وبينها^(٥) عند التجلي تباين
يسمى عذاباً من عذوبة لفظه وذلك كالتشر ، والتشر صائين^(٦)

(١) ص ٩٢ - ٩٣ فصوص

(٢) في الأصل : وعيده بدون واو العطف

(٣) يعنى قوله تعالى : (٤٦ : ١٦) أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ،
وتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة ، وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) ويحملها
على الكفرة والمشركين ، ليخلص من ذلك إلى إثبات ما يقرره وهو أن لا عذاب
يوم القيامة ، لأن الله وعد في هذه الآية بالتجاوز عن السيئات . فتأمل !

(٤) الجنة عند الصوفية : هي عرفان المرء بنفسه ، ليدرك بهذه المعرفة أنه هو الله
وهذا ما يفسرون به الحديث الموضوع : « من عرف نفسه فقد عرف ربه »
والجحيم عندهم : هو ما يغم على النفس من أوهام الكثرة ، فتخدعها عن الحقيقة ،
فتظن المغامرة بين الخلق والحق . وهذا الظن هو الجحيم !

(٥) في الأصل : وما بينهما

(٦) ص ٩٣ - ٩٤ فصوص

« مثل من تفسير ابن عربي للقرآن »

ثم قال في نص حكمة نورية في كلمة يوسفية - بعد أن قرر أن الشيء قد يرى على خلاف ما هو عليه لبعده ، أو ظلام ونحوه - : « فما يعلم من العالم إلا قدر ما يعلم من الظلال ، ويجهل من الحق على قدر ما يجهل من الشخص الذي كان عنه ذلك الظل ، فما حيث هو ظل له يُعلم ، ومن حيث ما يُجهل ما في ذات ذلك الظل من صورة شخص من امتد عنه يجهل من الحق ، فلذلك نقول : إن [الحق] معلوم لنا من وجه ، مجهول لنا من وجه (٢٥ : ٤٥ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ، ولو شاء لجعله ساكناً) أى يكون فيه بالقوة . يقول : ما كان الحق ليتجلى للممكنات التي ماظهر لها عين في الوجود (٢٥ : ٤٥ ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً) وهو إسمه النور [الذي قلنا ، ويشهد له الحس ، فإن الظلال لا يكون لها عين بعدم النور] (٢٥ : ٤٦ ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً) . وإنما قبضه إليه ، لأنه ظله ، فمنه ظهر ، وإليه يرجع الأمر كله ، فهو هو لا غيره (١) .

« وجود الحق عين وجود الخلق عند الصوفية »

فكل ماتدركه فهو وجود الحق في أعيان الممكنات ، فمن حيث هوية الحق

(١) يشبه الله سبحانه والعالم بالشيء وظله ، غير أن هذا التشبيه - على ما فيه - لا يصحح للزنديق دينه ، بل يدفعه بالتلبيس والتضليل . فما من شك في أن الشيء وظله شيان متمايزان ، والزعم بأيهما حقيقة واحدة مكابرة ووجود بشهود الحس اليقيني . نعم يحتاج الظل في وجوده إلى من أو ما هو ظل له . بيد أن هذا الاحتياج شيء ، والزعم بأيهما حقيقة واحدة شيء آخر مباين كل المباينة . وابن عربي يدين بأن العالم هو الله في الهوية والماهية ، أما ظل الشيء فليس عين الشيء لا في ذاتي ، ولا في عرضي ، قد يقال: إن الظل أثر من آثار الشيء ، غير أن الزنديق يؤمن بأن العالم ليس أثراً لله ، بل هو هو في الحقيقة والوجود . فلا يثبت مثال ما لبس به بهذا المثال

هو^(١) وجوده ، ومن حيث اختلاف الصور فيه هو^(٢) أعيان الممكنات ، فكما لا يزول عنه باختلاف الصور إسم الظل ، كذلك لا يزول عنه [١٨] باختلاف الصور اسم العالم ، أو اسم سوى الحق ، فمن حيث أحدية كونه ظلا هو الحق ، لأنه الواحد الأحد ، ومن حيث كثرة الصور هو العالم ، فتفظن ، وتحقق ما أوضحته لك ، فإذا كان الأمر على ما ذكرته لك ، فالعالم مُتَوَهَّم^(٣) ماله وجود حقيقي ، وهذا معنى الخيال ، أي خيل إليك أنه أمر زائد قائم بنفسه ، خارج عن الحق ، وليس كذلك في نفس الأمر . ألا تراه في الحس متصلا بالشخص الذي امتد عنه يستحيل [عليه] الانفكاك عن ذلك الاتصال ، لأنه يستحيل على^(٤) الشيء الانفكاك عن ذاته^(٥) « ... وهذا وما شا كلّه من قوله - كما تقدم في النص النوحى - مشير إلى تصحيح قول الكفار في القرآن : إنه سحر لاحقيقة له ، إشارة تكاد أن تكون صريحة ، وإلى مثل هذا المحال لوح ابن الفارض ، والأمر فيه أوضح مما في الفصوص :

وها دحية وافي الأمين نبينا بصورته في بدء وحى النبوة
أجبريل قل لي كان دحية إذ بدا لمَهْدِي الهدى في هيئة^(٦) بشرية !
وفي علمه عن حاضرته مزية بماهية المرئي من غير مرئية
يرى ملكا يوحى إليه ، وغيره يرى رجلا يرعى لديه بصحبة

(١) ، (٢) في الأصل : فهو في الموضعين

(٣) هذا يستلزم وجود وهم ومتوهم ، فإن قال : إن التوهم عين الوهم والمتوهم لزمه كون إلهه وهما ومتوهما ، أي باطلا ينتج باطلا . فكيف يسمونه : حقا ؟ ! وإن قال : إنه غيرهما لزمه القول بالغيرية والتعدد ، وهو يدين بأن لا غير ، ولا سوى . وهكذا في كل دليل له حجة تدفعه بالإفك ، وتدنيه بالبهتان .

(٤) في الأصل : عن

(٥) ص ١٠٢ فصوص

(٦) في الأصل : في صورة

ولى من أتم الرؤيتين إشارة تُنزّه عن دعوى الحلول^(١) عقيدتي
وفي الذكر ذكر اللبس ليس بمنكر ولم أعد عن حكمتي كتاب وسنة
يعنى قوله تعالى : (٩:٦) ولو جعلناه مسلكا ، لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم
ما يلبسون) هذا ما كان ظهر لى ، ثم تبين أن المراد أقبح من هذا بقول شراح
التائية ، الفرغانى وغيره^(٢) ، وسيأتى نقله عنه آنفاً .

رد علاء الدين البخارى

قال الإمام علاء الدين البخارى « ما ذكرتم في نفي ثبوت الأشياء معارض
بالمثل ؛ إذ لا خفاء أنه من أعيان الأكوان ، غير أنه من الأعراض ، فيكون
ما ذكرتم أيضاً خيالا وسرابا ، لا حقيقة له ، فلا يمكن به إثبات مذهبكم الباطل
وإذا لم يبق في قوس المكابرة منزع ، ولالما لزمهم من شنيع المحالات والضلالات
مدفع ، التجأوا إلى دعوى الكشف على ماهو دأب قدماء الفلاسفة حين عجزوا
عن إقامة البرهان ، وأنت خير بأن الكشف إنما يظهر الحقائق ، لا أنه يهدم
الشرائع ، وينفي الحقائق^(٣) ، فإن ذلك زندقة ، وقد غلط هؤلاء كغلط

(١) لم يرض بكفر الحلاج دينا، وهو الحلول ، لأنه يستلزم الإثنية والمغايرة بوجه
ما بين الحال ، وبين الحل . وابن الفارض يدين بالوحدة

(٢) قال القاشانى فى شرح ذلك البيت : « ظهور الحق فى بعض صور المخلوقات
هو تلبسه بها ، كتلبس جبريل بصورة رجل » !!

(٣) لا يستطيع البخارى هدم باطل الصوفية ما دام مؤمنا معهم بأسطورة
الكشف . ولكن لا تنس أنه هو الآخر صوفى - فالصوفية لم يهولها بهذه
الأسطورة إلا لينقضوا بها ويل باطلها حقائق الدين والعقل ، وإثبات ما يدينون به
من زندقة ، بعد تشكيك الناس فى كل حقيقة عقلية أو نقلية . على أن الصوفية الذين
دانوا بالكشف لم يدينوا بدين واحد ، ولم يروا فى الإلهية والربوبية - أيا واحدا ،
ولم ينظروا إلى حقيقة الوجود نظرة واحدة . فالحلاج حلولى ، والسهروردى
إشراقى ، وابن عربى وابن الفارض وابن سبعين من زعماء وحدة الوجود على =

النصارى لما رأوا إشراق نور الله تعالى ، وقد تلاماً في عيسى عليه السلام^(١) ،
فقالوا : هو الإله ، وهؤلاء لما رأوا الوجود قائضاً من الحضرة الإلهية على الموجودات
فلم يفرقوا بين الفيض^(٢) والمفيض ، فقالوا : الوجود هو الله سبحانه وتعالى . هـ .

رأى المعضد والجرجاني

وقال الشريف الجرجاني^(٣) في شرح المواقف للمعضد^(٤) : « واعلم أن المخالف
في هذين الأصلين - يعني عدم الاتحاد وعدم الحلول - طوائف ثلاث ، الأولى :

== اختلاف في التصور والتصوير ، والقونوى والتلمساني والجيلي . كل له مذهبه ، وكل
له وسيلته ، وكل له تصويره ، وكل يدعى أنه آمن بما آمن به عن كشف وشهود .
فبأى كشف تأخذ ، وبأى شهود تصدق ؟ لا يمكن أن تأخذ أو تصدق بالجميع
لأنها نفاية تناقض وتباين ، والحق واحد لا يتعدد ، ولا يناقض نفسه ، ولا يمكن أن
تأخذ ببعض دون بعض ، وإلا احتجنا إلى دليل ثبت به أن ما أخذنا به هو الحق
وأن ما عده باطل ، فبماذا نستدل ؟ أبكشف أم بغيره ؟ إن كان الأول لزم التسلسل
وإن كان الثاني ثبت أن الكشف محتاج إلى دليل آخر غير الكشف يثبت به ، ثم
إننا لو أخذنا ببعض دون بعض ، كان هذا معناه أن بعض أنواع الكشف الصوفي
باطل ، في حين يدين الصوفية بأن كل كشف صوفي هو حق في ذاته ، وبما ذكرت
أو ببعضه يتجلى لك بطلان أسطورة الكشف ، وتؤمن أن ملاذ الحق ومشرقه
وقدسه كتاب الله سبحانه ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

(١) في كلامه هذا راحة الحلول المسيحي ، أو الإشراق السهروردي . ولكن
لعله يقصد بالنور الذي تلاماً هدى التوبة والإيمان

(٢) يقصد ما أفاضه الله من الوجود ، والواجب أن يعبر عن هذا : بالخلق
والخالق ، إذ الفيض أسطورة ابتدعتها الفلسفة والصوفية ، ابتغاء نفى خلق الله سبحانه
للعالم ، ونفى القادر المرید ، وابتغاء إثبات قدم العالم ، وأن الأشياء ثابتة في العدم

(٣) هو علي بن محمد بن علي . ولد سنة ٧٤٠ هـ وتوفي سنة ٨١٤ هـ

(٤) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبدالغفار عضو الدين الإيجي ولد سنة ٧٠٩ هـ

تقريباً ، ومات سنة ٧٥٣ هـ

النصاري « ثم ذكر مذاهبهم ، ثم قال : « الثانية : النصيرية ^(١) والإسحاقية ^(٢) من غلاة الشيعة ، قالوا : ظهور الروحاني بالجسماني لا يُنكر ، ففي طرف الشر ، كالشياطين ، فإنه [١٩] كثيراً ما يتصور الشيطان بصورة الإنسان ، ليعلمه الشر ويكلمه بلسانه ، وفي طرف الخير - كالملائكة - فإن جبريل عليه السلام كان يظهر بصورة ذحية الكلبى [والأعرابي ^(٣)] ، فلا يمتنع [حينئذ ^(٤)] أن يظهر الله تعالى في صورة بعض السكاملين [وأولى الخلق بذلك أشرفهم وأكملهم ، وهو العترة الطاهرة ، وهو من يظهر فيه العلم التام ، والقدرة التامة من الأئمة من تلك العترة ، ولم يتحاشوا عن إطلاق الآلهة على أئمتهم ، وهذه ضلالة بينة ^(٥) الطائفة [الثالثة] بعض [المتصوفة ، وكل منهم مخبط ^(٦) بين الحلول والاتحاد » ثم قال العضد ^(٧) : « ورأيت من الصوفية الوجودية من يفكره ، ويقول : لا حلول ، ولا اتحاد ، إذ ذلك يشعر بالغيرية ، ونحن لا نقول بها ، بل نقول : ليس في ذات الوجود غيره ^(٨) ، وهذا العذر أشد قبحاً وبطلاناً من ذلك الجرم ؛ إذ يلزم ذلك المخالطة التي لا يجترىء على القول بها عاقل ، ولا يميز أدنى تمييز ^(٩) » .

(١) محدثها محمد بن نصير النيمري ، وتزعم هذه الفرقة أن الله سبحانه ظهر بصورة علي وأولاده المخصوصين
 (٢) أحدثها إسحاق بن زيد بن الحراث . من القائلين بالإباحة وإسقاط التكاليف ، وأن لعلي شركة مع الرسول . ثم تطورت فقالت بالحلول كالنصيرية
 (٣) ، (٤) ، (٥) كل ما بين هذين [ساقط من الأصل ، وأثبتته عن المصدر الذي نقل عنه المؤلف ، وهو شرح المواقف
 (٦) في شرح المواقف : وكلامهم مخبط
 (٧) ليس قول العضد وحده ، وإنما مع شرح الجرجاني له
 (٨) في المواقف « ليس في دار الوجود غيره ديار » وهو أدق
 (٩) ص ٢٩ وما بعدها ج ٨ شرح المواقف

رأى السعد التفتازانى^(١)

وهذا المعنى الأخير هو الذى أراده الشيخ سعد الدين التفتازانى ، بالمذهب الثانى ، من قوله فى شرح المقاصد : « وههنا مذهبان آخران يوهمان الحلول والاتحاد وليسا منه فى شئ . »

الأول : أن السالك إذا انتهى سلوكه إلى الله تعالى فى الله يستغرق فى بحر التوحيد والعرفان بحيث تطمحل ذاته فى ذاته ، وصفاته فى صفاته ويغيب عن كل ما سواه ، ولا يرى فى الوجود إلا الله ، وهو الذى يسمونه : الفناء فى التوحيد ، وإليه يشير الإلهي^(٢) : « إن العبد لا يزال يتقرب إلى حتى أحبه ، فإذا أحبته كنت سمعه الذى يسمع ، وبصره الذى يبصر به^(٣) . » . وحينئذ ربما تصدر عنه عبارات تشعر بالحلول^(٤) ، أو بالاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال ، وبُعد الكشف عنها بالمثل ، ونحن على ساحل التمنى نعترف^(٥) من بحر التوحيد بقدر الإمكان ، ونعترف بأن طريق الفناء فيه العيان^(٦) دون البرهان ، والله الموفق .

(١) مسعود بن عمر بن عبد الله ولد سنة ٧١٢ ، وتوفى سنة ٧٩٢ هـ

(٢) يقصد : الحديث القدسي ، وقد روى هذا مختصرا جدا

(٣) سيرد الحديث بتمامه والتعليق عليه

(٤) ما تقرب إنسان فى الوجود إلى الله بمثل ما تقرب إليه به عبده ورسوله وخليته محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم تصدر عنه مثل تلك العبارات الطافحة بإثم الإلحاد ، والتي يأفك الصوفية أنها روحانية الأنس تفيض من خطائر القدس . بل كل ما صدر عنه توحيد لله سبحانه خالص فى ربوبيته وإلهيته ، وتسايح عبودية تستشعر الخوف والرجاء ، وتبتهل إلى الله أن يغمرها برضاه ، وأن يغفر لها كل ما تشعرها به - روحانية الإيمان أنه ذنب

(٥) لعلها : نعترف

(٦) يقصدون معاينة الذات تصدر عنها أفعالها ، وتصرف فى السكون أقدارها .

وإبراهيم خليل الله أراه الله ملكوت السموات والأرض ، وموسى كلمه الله من وراء

الثاني : أن الواجب هو الوجود المطلق^(١) ، وهو واحد لا كثرة فيه أصلا وإنما الكثرة بالإضافات ، والتعيينات التي هي بمنزلة الخيال والسراب ، إذ الكل في الحقيقة واحد يتكرر على مظاهر ، لا بطريق المخالطة ، ويتكرر في النواظر ، لا بطريق الانقسام ، فلا حلول منا ، ولا اتحاد ؛ لعدم الإثنية والغيرية ، وكلامهم في

حجاب ، ومحمد صلى الله عليه وسلم عرج به إلى السماء ، وشهد النور الأعظم ، فما تكلم رسول منهم بمثل هذا ، ولا حدثنا عن الفناء أو العيان الصوفي ، ولا قال واحد منهم أنه رأى الله ، ولا سمعنا عن أحد منهم أنه عبد الله بغير ما أمر الله ، أو غفل مرة عن أداء حق من حقوق الله ، أو ادعى أن الله سبحانه أسقط عنه التكليف ، بل ما زادهم ذلك إلا إيمانا وخشية ، وجدا في العمل ، وكدحا في العبادة ، وحبا لله وخوفا منه ، ورجاء فيه سبحانه . ولم يعد المؤمنون تغرهم بالله تلك التهاويل السحرية الصوفية ، ولا تلك الزمات المجوسية

(١) يرد الإمام ابن تيمية على هؤلاء بقوله : « المطلق بشرط الإطلاق لا يتصور إذ لكل موجود حقيقة يتميز بها ، ومالا حقيقة له يتميز بها فليس بشيء ، فمن قال : إن وجود الحق هو الوجود المطلق دون المعين ، حقيقة قوله : إنه ليس للحق وجود أصلا ، ولا ثبوت إلا نفي الأشياء المعينة المتميزة ، والأشياء المعينة ليست إياه ، فليس شيئا أصلا . وتلخيص النكتة أنه لو عني به المطلق بشرط الإطلاق ، فلا وجود له في الخارج ، فلا يكون للحق وجود أصلا ، وإن عني به المطلق بلا شرط . فإن قيل بعدم وجوده في الخارج فلا كلام ، وإن قيل بوجوده فلا يوجد إلا معينا ، فلا يكون للحق وجود إلا وجود الأعيان ، فيلزم محذوران . أحدهما : أنه ليس للحق وجود سوى وجود المخلوقات . والثاني التناقض ، وهو قوله : إنه الوجود المطلق دون المعين » باختصار عن مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٢١ وهذا حق ، فإن الوجود المطلق تجريد صرف ، أو سلب خالص ، فليس ثم حقيقة تتميز ، ولا ذات تتحقق ، وكذلك العدم ، أو اللاوجود ، فكأنهم يجعلون الواجب عدما ، أو يقولون هو وجود ولا وجود . أما المطلق لا بشرط فلا يوجد إلا معينا مخصوصا في هذا أو ذلك ، إذ ليس في الخارج شيء إلا وهو معين يتميز عما سواه بحده وما هيته وهم ينكرون تعين الوجود ، إذ يسمونه مطلقا .

ذلك طويل خارج عن طريق العقل والشرع أشرنا في بحث الوجود إلى بطلانه،
لكن من يضل الله فماله من هاد» انتهى كلام الشيخ سعد الدين رحمه الله.

زعم أن الحق يتلبس بصور الخلق

وقال سعيد الفرغاني — وهو من أكابر أتباعهم — في شرحه للتائية:
وتنزه^(١) تلك الإشارة عقيدتي عن رأى الحلول، فإنه لما جاز ووقع أن يكون لملك
مخلوق قدرة التلبس بأي صورة شاء بلامعنى الحلول فيه، يصح أن يتلبس الحق
تعالى بصورتي بقاء أنايتي^(٢) بالكلية، وإن تملكت بعدم جواز تلبسه^(٣)
بالصورة، وعلت بتنزيهه عن ذلك التلبس منعناك، ورددنا تعليك بالكتاب
والسنة.

ثم قال في شرح البيت^(٤) الذي فيه استشهاده بالكتاب والسنة: « وفي
الذكر، آي القرآن [٢٠] ذكر اللبس، أي تلبس الحق بالصورة ليس بمردود
بل هو ثابت مذكور معروف موضعه من القرآن، ولم أنجأوز في تقريري حكمي
الكتاب والسنة. أما الكتاب، فقوله تعالى: (٨:٢٧) نودى أن بورك من في
النار ومن حولها، وسبحان الله رب العالمين) يعني من أن يكون منحصر ظهوره
حالتئذٍ وقبله وبعده في ذلك التلبس، وفي غيره من الصور، وغير ما، وقوله
تعالى: (٣٠:٢٨) نودى من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة)

(١) يعني بيت ابن الفارض:

ولي من أتم الرؤيتين إشارة تنزه عن دعوى الحلول عقيدتي

(٢) أي ذاته

(٣) أي الله سبحانه

(٤) يقصد بيت ابن الفارض:

وفي الذكر ذكر اللبس ليس بمنكر ولم أغد عن حكمي كتاب وسنة

الآية ، وإذا جاز تلبسه بصورة الجماد^(١) ، فبصورة الإنسان أجمع وأولى عند
فنائه عن تعينه وتشخصه . وأما السنة ، فقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عنه تعالى
« كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله^(٢) » وقوله أيضاً : فإن الله تعالى قال

(١) تأمل - عون الزندقة في التعبير ، حيث يصف الله سبحانه وتعالى بأنه تلبس
بالشجرة ، أو كان هو الشجرة وهو يكلم موسى ، ويفجر في زعمه فيقرر أن القرآن
يثبت هذا !

(٢) يعني ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال : « يقول الله تعالى : من عادى لي وليا ، فقد بارزني بالمحاربة ،
وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضته ، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل
حتى أحبه ، وإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده
التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع ، وبني يبصر ، وبني يبطش ، وبني
يسمى . . الحديث » ويستدل الصوفية بهذا الحديث على أن الله سبحانه عين خلقه ،
وعلى أن العبد يحور ربا . وإليك رد الشيخ ابن تيمية عليهم : « والحديث حجة
عليهم من وجوه كثيرة ، منها قوله : من عادى لي وليا ، فقد بارزني بالمحاربة ،
فأثبت معاديا محاربا ، ووليا غير المعادي ، وأثبت لنفسه سبحانه هذا وهذا . ومنها
قوله : وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ، فأثبت عبدا متقربا إلى
ربه ، وربا افترض عليه فرائضه ، ومنها قوله : ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل
حتى أحبه ، فأثبت متقربا ، ومتقربا إليه ، ومحبا ومحبوبا غيره ، وهذا كله ينقض
قولهم : الوجود واحد ... والحديث حق ، فإن ولي الله لكامل طاعته لله ومحبه لله
يبقى إدراكه لله ، وباطنه وعمله لله وبالله ، فما يسمعه مما يحبه الحق أحبه ، وما يسمعه
مما يبغضه الحق أبغضه ، وما يراه مما يحبه الحق أحبه ، وما يراه مما يبغضه الحق أبغضه
ويبقى في سمعه وبصره من النور ما يميزه به بين الحق والباطل ، فولى الله فيه من
المواقفة لله ما يتحد به المحبوب والمكروه ، والمأمور والمنهى عنه ونحو ذلك ، فيبقى
محبوب الحق محبوبه ، ومكروه الحق مكروهه ، ومأمور الحق مأموره ، وولى
الحق وليه ، وعدو الحق عدوه » ص ٤٨ رسالة الرد الأقوم ط السنة المحمدية .
هذا والحديث رواية البخاري عن خالد بن مخلد القطراني الكوفي أبي الهيثم . وقد
تكلم فيه . قال العجلي عنه : ثقة فيه تشيع ، وقال ابن سعد : منكر الحديث متشيع =

على لسان عبده : سمع الله لمن حمده . ثم حديث القيامة في الإتيان في الصورة^(١)

= مفرط ، وقال أحمد بن حنبل : له مناكير ، وقال أبو داود : صدوق إلا أنه يتشيع
وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقد عد هذا الحديث من مناكير خالد
يقول الذهبي : « هذا حديث غريب جدا ، ولولا هيئة الجامع الصحيح لعدته في
منكرات خالد ، وذلك لغرابة لفظه ، ولأنه مما ينفرد به شريك ، وليس بالحافظ »
والحديث - على افتراض صحته - حجة على الصوفية كما رأيت

(١) يعني ما ورد في الحديث من أن الله سبحانه يتجلى لعباده يوم القيامة ، ثم
يأتيهم في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون :
نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، ثم يأتيهم في
الصورة التي رأوه فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا »
والحديث في الصحيحين والترمذي ، وتوحيد ابن خزيمة ، وسنن الدارمي وغيرها .
والحديث حجة تدفع الصوفية بالهتان . أولا : يثبت الحديث أن هذا التجلي لن
يكون إلا في الآخرة ، أما الصوفية فيدينون بتلبسه بالصور في الدنيا . ثانيا : يدين
الصوفية بأن الرب يتجلى لسلك أحد بحسب اعتقاده ، فالقاصر المقيد لا يعرفه إلا
إذا تجلى له في صورة معتقده ، فإذا اعتقد أن الرب صنم ، أو كوكب ، أو عجل ،
تجلى له في صورة ما اعتقده ، أما إذا تجلى له في صورة أخرى أنكره ، أما العارف
المطلق ، فإنه يعرف الله - في زعم الصوفية - في كل صورة يظهر بها ، لأنه يعتقد
أن الرب عين كل شيء . هذا في حين يثبت الحديث أن المؤمنين أنكروه في صورته
الأولى ، وعرفوه في صورته الثانية ، ومن أنكروه ، ثم عرفوه هم الرسل والأنبياء
والأولياء ، وهؤلاء - باعتراف الصوفية - أكمل العارفين ، وهم لم يعرفوه إلا في
صورة واحدة ، وهذا ينقض أصل دعواهم ، وهو أن العارف المكمل هو من يعرف
الله في كل صورة ، ثالثا : يثبت الحديث وجود قوم يعرفون بعد إنكار ، ووجود
رب تجلى ثم تجلى . وهذا يستلزم وجود أغيار كثيرين هم غير الرب . في حين يدين
الصوفية بأنه ما ثم غير ما . رابعا : يزعم الصوفية أنه سبحانه عين كل شيء ،
والحديث يثبت وجود قوم مؤمنين ، وكافرين ، ومنافقين ، فإذا أخذنا بزعم
الصوفية كان ربهم هو الكافر والمنافق ، والمنكر والمنكر ، وثبت لربهم الجهل ،
وحب الصوفية شرا أن يكونوا عبيد رب هذا شأنه . خامسا : يثبت الحديث أنه =

ثم قال : فالحديث أولا وآخرأ معلّم أنه يتلبس بأى لباس صورة شاء مما يعرف ،
ومما ينكر من غير حلول ، فكان ظهوره بصورتى أيضاً جائزاً من غير حلول ،
فصح بهذا دعوى اتحادى مع الحلول »

أمر ابن الفارض باتباع شريعته

ثم قال فى شرح قوله :

مَنْحَتُّكَ علما إن ترد كشفه ، فَرِدْ سبيلى ، واشرع فى اتباع شريعتى

قال : « يحتمل أن يكون إضافة الشريعة من الناظم إلى نفسه بلسان الجمع
والترجمانية ، ويريد بقوله : فرد سبيلى ما أريد به فى قوله تعالى : (١٢ : ١٠٨ قل :
هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة) . وبقوله : شريعتى ، شريعة النبي صلى الله
عليه وسلم » ثم قال :

فمنبع صدأ^(١) من شراب نقيعه لدى ، فدعنى من شراب بقيعة

== سبحانه لن يتجلى إلا فى صورة واحدة فى كل مرة ، أما هم فيدينون بتجلى ربهم فيما
لا يتناهى من الصور المتباينة فى آن واحد . سابعاً : لم يبين الحديث كنه الصورة
الأولى ، أما صورته الثانية فعرفها بأنها هى التى رأوه فيها أول مرة . أما هم فقالوا
بتجليه فى صورة يغوث ويعوق . وفى صورة عجل السامرى ، وفى صورة نار
المجوس ، بل فى صورة كل مخلوق . سابعاً : ثبت الحديث ربا ، وثبت عبادة بيتليهم
ربهم بتجليه ، وثبت أنهم غير الرب ، وهم يقولون : العبد عين الرب . وثبت
الحديث مكانا . فما هذا المكان ؟ أهو الرب أم غيره ، إن قالوا بالأول . فما فى
الحديث هذا . وكفاهم خزيا أن يكون ربهم مواطى أقدام . وإن قالوا بالثانى ثبت
وجود غير ، وهم ينفون الغيرية . ثم ما للصوفية يستشهدون بما لا يؤمنون به ؟ إنهم
يزعمون أخذهم عن الله مباشرة ، ويستنكفون العمل بشريعة الله التى جاءها رسله !
وفى الحديث براهين أخرى ، وحسبنا هذا

(١) فى الأصل : صدى . وصوابها : صداء قال ضرار :

كأنى من وجدى بزئب هاشم يخالس من أحواض صداء مشربا

وصدء بئر ماؤها أعذب مياه العرب ، ومن الأمثال : ماء ولا كصداء =

صداء ماء للعرب يضرب المثل به لعدو بته ، والنقيع : البئر الكثيرة الماء ،
يقول مُعَلَّلًا البيت السابق الذي حاصله : أمره باتباع شريعته ، والورود في سبيل
هداه وطريقته ، ونهى عن متابعة غيره مِمَّن يدعى التحقيق في العلم والمعرفة
الحقيقية نحو علماء الظاهر من الأصوليين والفلاسفة : أن المورد العذب الهنيء
النافع عندي ، ويختص بمشربي ، وهو المفهوم المطابق من الكتاب والسنة ،
وإرشاداتهما الغامضة بلا تأويل عقلي وتقليد ، بل على ما هو الأمر عليه ، فإن
استطعت أن تخوض فيه ، وتشرب منه ، وإلا فدعني من سراب علوم علماء
الظاهر^(١) ، وتأويلاتهم ومفهوماتهم التي ظاهرها لأجل الفصاحة ، وتركيب
الدلائل ، تظهر وتغر السامع الغر^(٢) ، فيحسبها شيئاً نافعاً له ، فإذا قتش عن
حقيقتها لم يجد شيئاً ، ولا تحقيق ، ولا معرفة فيها ، ولا طائل تحتها ، وكذلك
دلائل الفلسفة في المسائل الإلهية ، تغر ، ولا تقر . ولا تذكر عندي مذاهبهم
ومقالاتهم ودلائلهم ، ولا تلتفت إلى ذلك تفز فوزاً عظيماً .

هذا كلام الفرغاني الذي يثني ابن بنت ابن الفارض في مقدمة [٢١] الديوان
عليه ، وشهد له أنه على نفس جده^(٣) ، وهكذا يفعل في كل الآيات مهما وجد
شيئاً من المتشابه في الكتاب أو السنة أجراه على ظاهره^(٤) ، وجعله حججهم في

== يضرب لما يحمد بعض الحمد ، ويفضل عليه غيره . انظر مجمع الأمثال ، والمضام
والمنسوب .

- (١) يعني الآخذين بأحكام الشريعة ، والمتفقهين فيها
- (٢) الجاهل بالأمور الغافل عنها
- (٣) لعله سقط من الكلام ، كلمة : مذهب أو طريقة قبل كلمة جده
- (٤) لو أجرى الكلام على ظاهره لنعم فكراً بالحقيقة ، وقلبا باليقين ، ونفساً
بالهدي ، ولكنه أجراه على هوى شيطانه . وألمح من قول البقاعي أنه يعني بالمتشابه
آيات الصفات وأحاديثها ، فإن يك فقد زل به فهمه ، وقلد في هذا الزلل غيره ،
فآيات الصفات محكمات هن من أم الكتاب يجب إجراؤها على ظاهرها ، أي على ==

الاتحاد ، واستحسان الأفعال القبيحة من المكافين ، فإن عجز - بكون الشرع نصاً على قباحتها - يقول : إن فيها حسنا وقبحا من بعض الوجوه ، ولعل ذلك الوجه يقود أصحاب تلك المقالة إلى الخير ، ويسعى كل السعي في إسقاط الإنكار على أحد في فعل من الأفعال . وكذا نقل البدر بن الأهدال عن شرحها للأبازري وغيره ، والله المستعان .

تكذيب صريح للقرآن

وقال في فص حكمة أحادية في كلمة هودية : (١١ : ٥٦ من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم) : فكل ماش [فعلى] صراط الرب المستقيم ، فهو غير مغضوب عليهم من هذا الوجه ، ولا ضالون ، فكما كان الضلال عارضا ، فكذلك الغضب الإلهي عارض ، والمآل إلى الرحمة التي وسعت كل شيء (١)

= مالها من معان في العربية دون تمثيل أو تشبيه أو تلوين للفهم بما يشهد الحس لها من كيفيات بالنسبة إلى الخالق . هذا وإلا جعلنا للعقل - وهو من خلق الله - سلطانا على الخلاق العظيم يقوم صفاته بما شاء ، وكيف شاء ، ويرضى له بعضا ، وينكر بعضا ، ويتدع له بالهوى العصوف صفات وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان وجل جلال الله سبحانه

(١) ص ١٠٦ فصوص ، وابن عربي يكذب بهذا البهتان قوله سبحانه « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » وغيرها من الآيات . فالقرآن يقرر أن الناس بالنسبة إلى الحق ثلاثة أقسام : قوم عرفوا الحق وآمنوا به ، وهم الذين وصفهم الله بأنهم على صراط مستقيم . وقوم عرفوا الحق ، وأعرضوا عنه كفرا وجحودا ، وهم المغضوب عليهم ، وقوم لم يحاولوا معرفة الحق فلم يهتدوا ، وهم الضالون . وقد خص الله الفريق الأول برضاه ورحمته ، والآخريين بغضبه ولعنته . ولكن ابن عربي يجعل الجميع سواء ، هادفا من وراء ذلك إلى تقرير أسطورة وحدة الأديان التي تزعم أن الأديان سماويها ووضعها واحد ، وأن الحق والهدى فيها جميعا ، لا يختص بها دين عن دين ، فالشرك عين التوحيد ، والمجوسية عين الإسلام ، فعابد العجل عندهم كعابد الله . يقول لك الصوفية : كن مشركا كن مجوسيا كن بوذيا كن يهوديا . فأنت على صراط مستقيم

إفك على الله

ثم قال : « اعلم أن العلوم ^(١) الإلهية الذوقية الحاصلة لأهل الله مختلفة باختلاف القوى الحاصلة منها مع كونها ترجع إلى عين واحدة ؛ فإن الله تعالى يقول : كفت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يسعى بها » فذكر أن هُوَيْتَهُ ^(٢) [هي] عين الجوارح التي هي عين العبد ، فالهوية واحدة ، والجوارح مختلفة ، ولكل جارحة علم من علوم الأذواق يخصها من عين واحدة ، تختلف باختلاف الجوارح كالماء . حقيقة ^(٣) واحدة مختلف ^(٤) في الطعم باختلاف البقاع ^(٥) »

قلت : وعلى هذا الضلال عوّل ابن الفارض ، فقال :

وجاء حديث في اتحادى ^(٦) ثابت روايته في النقل غير ضعيفة
مشيرا بحج الحق بعد تقرب إليه بنقل أو أداء فريضة
وموضع تنبيه الإشارة ظاهر بكنت له سمعا كنور الظهيرة
فكلى لى كلى طالب متوجه وبعضى لبعضى جاذب بالأعنة
ومنى بدالى ما على لبسته وعنى البوادى بي إلى أعيدت

(١) في الأصل : الأمور .

(٢) أى حقيقته ، وهدفه من هذا : إثبات أن الإحساسات ، أو الشاعر ، أو الأوهام ، أو الخيالات التي يشعر بها كل إنسان هي في الحقيقة من مكونات علم الله سبحانه ، فعلم الله عند الصوفية متوقف على علم عبده ، وتعالى الله عما يافك الزنادقة

(٣) في الأصل : حقيقته .

(٤) في الأصل : تختلف .

(٥) ص ١٠٧ فصوص .

(٦) في الأصل : باتحادى .

وفيَّ شهدت الساجدين لمظهرى فحققت أنى كنت آدم سجدتى^(١)

تعانقت الأطراف^(٢) عندى وانطوى

بساط السوى عدلا بحكم السوية

(١) قال القاشانى فى شرح هذا البيت « أى عاينت فى نفسى الملائكة الساجدين لمظهرى ، فعلت حقيقة أنى كنت فى سجدتى آدم تلك السجدة ، وأن الملائكة يسجدون لى ، والملائكة صفة من صفاتى ، فالساجد صفة منى يسجد لى ، فالجمع واقع لا يدفع »

وأقول فى قصة آدم ، وأمر الملائكة بالسجود له ، وطاعتهم لهذا الأمر ، وتمرد إبليس عليه : فى كل هذا ما ينقض دعاوى الصوفية فى الحلول والوحدة والاتحاد ، لأنها - أى القصة - تثبت رباً آمراً بالسجود ، وتثبت أغياراً كثيرين هم : آدم ، والملائكة ، وإبليس . لهذا يحاول ابن الفارض تصوير القصة ، بما يتواءم وهوى زندقته ، أى بما يرفع فى زعمه هذا التعدد فى الوجود والذوات ، ويرفع المغايرة بين الماهيات . فيقول : لا تحسبن الأمر بالسجود غير من أمروا به ، أو غير من وقع الملائكة له ساجدين ، أو غير من تمرد على هذا السجود ، فإنهم جميعاً عين واحدة ، هى الذات الإلهية . فالأمر هو الله باعتبار الهوية المجردة عن التعيين . وآدم هو مظهر تعين الذات ، أو الهوية ، والملائكة هم تعينات الصفات ، وكذلك إبليس ، فلا تعدد فى الوجود ، ولا غيرية فى الماهيات . فآدم هو الذات ، والملائكة وإبليس هم الصفات ، وما كان السجود الذى وقع سجود ذات لغيرها ، بل كان من صفات لموصوفها ...

ثم ينتقل ابن الفارض من هذا التصوير الصوفى إلى تقرير أنه كان عين آدم ، وكان عين الملائكة ، أى عين الذات الإلهية . وعين صفاتها . هذا هو دين سلطان العاشقين ، أو قل : هذه زندقة رب الصوفيين !!

(٢) يزعم أنه ليس فى الوجود متناقضات ، ولا أضداد ، ولا أغيار ، بل ولا أمثال ، إذ الوجود كله حقيقة واحدة . والحقيقة الواحدة لا يقال عنها : إنها تناقض أو تضاد ، أو تغاير ، أو تماثل نفسها ، ولهذا يؤمن الزنديق أن القدم عين الحدوث والفوق عين التحت ، والنور عين الظلمة ، والأول عين الآخر ، والأزل عين الأبد والآن عين الماضى وعين المستقبل ، وهذه هى الأطراف الوجودية والمكانية والزمانية =

وليس ألت^(١) الأمس غيراً لمن غدا
وجنحى غدا صبحى ويومى^(٢) ليلتى
وسر بلى لله مرآة كشفها وإثبات معنى الجمع نفي المعية^(٣)
ظهور صفاتي عن أسامي جوارحي مجازاً بها للحكم نفسى تسمت
رقوم علوم فى ستور هياكل على ماوراء الحس فى النفس ورت

= التى يزعم ابن الفارض أنها تعانقت عنده ، والتى يقول بعدها أنه حين رأى النقيض عين نقيضه ، والضد والغير نفس ضده وغيره ، انجلت عن بصيرته أوهام السوية ، والغيرية ، فبدت له الحقيقة التى غلفتها بالستر أوهامه . تلك هى أن الوجود حقيقة واحدة ، وأن الخالق عين الخلق ، وأنه هو الله !! هذا هو دين إله الصوفية العاشق (١) يعنى قوله سبحانه (ألت ربكم ؟ قالوا : بلى) مشيراً إلى ما فسرت به الإسرائيليات هذه الآية . وهو سبحانه أخذ العهد على ذرية آدم جميعهم وهم فى ظهره مودعاً فى إشارته تلك كفره الصوفى . ويريد بالغد فى هذا البيت : يوم القيامة فى عرف الشرع . وبيته هذا توكيد لكفره فى البيت السابق . إذ يقرر هنا . أن الحضرة الأزلية ، أو الذات الأحدية — رغم تكثر مظاهرها ، وتعدد مجالها — تنزهت عن عوارض الزمان ، واختلاف الجهات ، وترتب الآنات ، فوقها أحد سرمدى أبدى . يندرج فيه الأزل والأبد ، والمبدأ والأمد ، والأمس والغد ، ولذا فثائم صباح ولا مساء ، ولا نهار ولا ليل ، ويقرر ابن الفارض أن هذا كله له ، ليستدل به على أنه هو الذات الأحدية عينها ، فهو فيما يسميه الصوفية بالآن الدائم ، وهو عندهم امتداد الحضرة الإلهية الذى يندرج فيه الأزل فى الأبد ، وكلاهما فى الوقت الحاضر ، لظهورها فى الأزل على أحيان الأبد ، وكون كل حين منها مجمع الأزل والأبد ، فيتحد به الأزل والأبد والوقت الحاضر .
(٢) فى الأصل : على . والتصويب من الديوان .
(٣) يشير ببلى فى قوله : وسر بلى الخ إلى قوله سبحانه : (ألت ربكم ؟ قالوا : بلى) والجواب ببلى يستلزم وجود سائل ومجيب ، أعنى يستلزم الإثنية ، بيد أن ابن الفارض يدعى هنا أن السائل عين المجيب ، وهذا فى قوله : وإثبات معنى الجمع نفي المعية .

وأسماء ذاتي عن صفات جوانحي جواز الأسرار بها الروح سرت

مظاهر لي بدوت فيها ، ولم أكن

عَلَىٰ بِخَافٍ قَبْلَ مَوْطِنٍ بَرَزَانِي [٢٢]

ولما شَعَبْتُ الصَّدْعَ ، والتامت فطو

رُ شَمَلٍ بِفَرْقِ الوصفِ غيرِ مَشْتَتٍ (١)

تحققت أَنَا في الحقيقة واحد وأثبت صحو الجمع نحو النَّشْتَتِ (٢)

وإني، وإن كنتُ ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهدٌ بأبوتِي

تمجيد الصوفية للمجرمين

ثم قال في الفص الهودي أيضا : « فسوق المجرمين » وهم الذين استحقوا

المقام الذي ساقهم إليه بريح الدبور التي أهلكهم عن نفوسهم [بها] فهو يأخذ

بنواصيرهم ، والريح تسوقهم - وهي عين الأهواء التي كانوا عليها - إلى جهنم ،

(٢٠١) يقول : لما جمعت ما تفرق في الوجود ، من صفات وأسماء وأفعال ،

تيقنت أن كل شيء هو عين الذات الإلهية ، وأن الوجود عين وجوده ، ثم ينتقل

إلى نفسه ، فيقرر أنه آمن عن بينة ، ويقظة بصيرة : أنه هو الله ذاتاً وصفة وإسماً

وفعلاً ، ومشاعر وجوارح .

وهكذا يؤكد ما قررته من قبل ، وهو أن ابن الفارض بمن يدينون بالوحدة ،

لا بالاتحاد . ألا تراها يكرر دائماً أنه آمن عن يقين أنه ما كان في حال ما ، ولا زمان

ما غير ولا سوى وإنما كان ثم حقيقة واحدة هي الذات الإلهية تجلت في صور

خلفية ، أما الاتحاد ، فيستلزم أنه كان قبل وجودان ، ثم اتحد أحدهما بالآخر ،

وهذا ما ينكره ابن الفارض وينفيه نفيًا باتًا . قد يقال : وملا ابن الفارض إذن

يعبر عن معتقده : بالاتحاد ؟ أقول : بما يفصل به ابن الفارض في التائية الكبرى

نجزم بأنه يستعمل الاتحاد بمعنى الوحدة ، والعبرة بمعانيه ، لا بألفاظه ، أو لعل

لحظات العجب النفسي ، كانت تجمع بخياله الزنديقي إلى محاولة إثبات أنه هو وحده

الذي تعينت فيه الذات الإلهية ، ثم يفوق من هذا العجب ، فيقررها شاملة عامة ،

هي أن مظاهر الوجود مقومات للذات الإلهية .

وهي البعد^(١) الذي كانوا يتوهمونه ، فلما ساقهم إلى ذلك الوطن حصلوا في عين القرب ، فزال البعد ، فزال مسمى جهنم في حقهم ، ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق ، لأنهم مجرمون ، فما أعطاهم هذا المقام الذوق اللذيذ من جهة المنّة ، وإنما أخذوه بما استحقته حقاقتهم من أعمالهم التي كانوا عليها ، وكانوا في السعي في أعمالهم على صراط الرب المستقيم^(٢) ، لأن نواصيهم كانت بيد من له هذه الصفة ، فما مشوا بنفوسهم ، وإنما مشوا بحكم الجبر إلى أن وصلوا إلى عين القرب^(٣) (٥٦ : ٨٥ ونحن أقرب إليه منكم ، ولكن لا تبصرون^(٤))

زعمهم أن هوية الحق عين أعضاء العبد وقواه

ثم قال : « فلا قرب أقرب من أن تكون هويته عين أعضاء العبد وقواه^(٥) ، وليس العبد سوى هذه الأعضاء والقوى ، فهو حق مشهود في خلق

(١) فسر الزجاج بهوى النفس ، وجهنم بالبعد ، وهكذا يصنع في كل ما يفسر به آي القرآن ، يفسرها بما لا يقره شرع ولا لغة ولا عقل .

(٢) رأيت كيف يصف المجرمين المشركين : بأنهم سالكون سبيل الهداية الحق ، وصراط الله المستقيم ، لا شيء إلا لأنهم آمنوا بأن الله عين ما عبده من كوكب أو صنم ! . تستطيع من خلال هذا تبين نار الحقد التي تلتهم قلوب الصوفية على الإسلام وكتابه ورسوله .

(٣) القرب عندهم هو الفناء عن وصف العبودية ، والتحقق بمقام الربوبية ، وترى الزنديق يزعم أن المجرمين من قوم هود كانوا من أعلم الناس بحقيقة الربوبية إذ تجلت لهم غيوب هوياتهم ، فأدركوا وآمنوا أنها عين هوية الله . وأن وصف العبودية لهم مجازي فحسب . وهكذا يدين الصوفية رب تجسد حيواناً ضارياً يفسق ويخترع الإثم والفاحشة ، ويلعق دم الجريمة .

(٤) ص ١٠٨ فصوص .

(٥) زاد الآثم فجوراً في الزندقة ، فافترى على الله أنه ليس عين الخلق جميعاً فحسب ، بل هو عين كل عضو فيهم وجارحة ، وأن قوى الله سبحانه عين قوى الخلق المادية والروحية ، حتى ما يعتمل في الدم ، ويقبلح في الخواطر من شهوات =

متوهم ، فاخلق معقول ، والحق محسوس مشهود عند المؤمنين ، وأهل الكشف والوجود^(١) وما عدا هذين الصنفين ، فالحق عندهم معقول ، واخلق مشهود ، فهم بمنزلة الملح الأجاج ، والطائفة الأولى بمنزلة الماء العذب الفرات السائغ لشاربه ، فالناس على قسمين : من الناس من يمشى على طريق يعرفها ، ويعرف غايتها ، فهم في حقه على صراط مستقيم ، ومن الناس من يمشى على طريق يجهلها ، ولا يعرف غايتها ، وهي عين الطريق التي عرفها الصنف الآخر ، فالعارف يدعو إلى الله على بصيرة ، وغير العارف يدعو إلى الله على التقليد والجهالة^(٢) «

تفسيرهم لما عذب الله به قوم هود

ثم قال : « ألا ترى عادا قوم هود كيف قالوا : (٤٦ : ٢٤ هذا عارض ممطرنا) فظنوا خيرا بالله تعالى - وهو عند ظن عبده به - فأضرب لهم الحق عن هذا القول ، فأخبرهم بما هو أتم وأعلى في القرب ، فإنه إذا أمطرهم ، فذلك حظ

= العرائز ، وصور الأوهام !! ولذا يصف العبد بأنه حق مشهود وأن وصفه بالخلقية وهم يغلف الحقيقة الكبرى بحجابها ، تلك الحقيقة هي أن العبيد جميعا أرباب وآلهة أوهم الرب تعنيت أسماؤه آلهة تنجلي في صور الخلق ، هؤلاء القتل السفاحون السفاحون مغتصبوا الأعراض ، الوالغون في الدم ، هؤلاء المرتشون المفسدون في الأرض ، هؤلاء الذين يروعون أمن الحياة ، وسلام الوجود ، هؤلاء الظلمة الفانكون بالأيامي واليتامي والأرامل . كل هؤلاء عند الصوفية أرباب خلقوا السموات والأرض ، ولهم ملكوت السموات والأرض !!

(١) غالى الزنديق فزعم أن الخلق ما هو إلا صورة ذهنية وهمية لا تحقق لها في الخارج . أما الحق - أي الله سبحانه - فهو محسوس مشهود ، إذ لا ينفك عن التعيين في مادة . ويهت الزنديق بالجهل من يؤمن بأن الله تعالى يتجرد عن المادة ، أو أنه شيء آخر غير المادة .

(٢) ص ١٠٨ فصوص . وغير العارف هذا هو إله الصوفية متعينا في صورة بدنية عنصرية ، فالهيم إذا مقلد جاهل يدعو إلى نفسه عن تقليد وجاهالة (٥)

الأرض ، وسقى الحب ، فما يصلون إلى نتيجة ذلك المطر^(١) إلا عن بعد^(٢) ،
فقال لهم (٤٦ : ٢٤) بل هو ما استعجلتم به . ريح فيها عذاب أليم . فجعل
الريح إشارة إلى ما فيها من الراحة ، فإن بهذه الريح أراحهم من هذه الهياكل
المظلمة ، والمسالك الوعرة ، والسدف المدلّمة ، وفي هذه الريح عذاب ، أى أمر
يستعذبونه^(٣) ، إذا ذاقوه ، إلا أنه يوجههم لفرقة المألوف^(٤) . انتهى مقاله
مكذبا لصريح الذكر الحكيم في قوم قال فيهم أصدق القائلين - سبحانه وتعالى
عما يقول الظالمون والجاحدون [٢٣] علوا كبيرا (٧ : ٧١) قد وقع عليكم من ربكم
رجس وغضب) ، (٧ : ٧٢) فكذبوه فأبجيناها والذين معه برحمة منا ، وقطعنا
دابر الذين كذبوا بآياتنا ، وما كانوا مؤمنين) ، (١١ : ٥٩ ، ٦٠) وتلك عاد جحدوا
بآيات ربهم ، وعصوا رسله ، واتبعوا أمر كل جبار عنيد ، وأتبعوا في هذه الدنيا
لعنة ، ويوم القيامة ، ألا إن عادا كفروا ربهم ، ألا بعدا لعاد قوم هود)

ابن عربي يزعم أنه اجتمع بالأنبياء

ثم ادعى في هذا الفص أنه رأى الأنبياء عليهم السلام في مشهد واحد سنة
ست وثمانين وخمسمائة ، وأنه ما كلمه منهم إلا هود ، وقال : « رأيت^(٥) لطيف

(١) في الأصل : الظن

(٢) في الأصل : « فقد أى بعد »

(٣) فسر الريح التي أهلك الله بها عادا بالرحمة والراحة ، وفسر العذاب الذي
حاق بهم بأنه أمر تستعذبه النفس فتأمل !

(٤) ص ١٠٩ فصوص

(٥) ذكر المؤلف قبل قول ابن عربي ملخصا ، وإليك نصه : « واعلم أنه لما
أطلعني الحق ، وأشهدني أعيان رسله عليهم السلام ، وأنبيائه كلهم البشريين من آدم
إلى محمد صلى الله عليه وسلم أجمعين في مشهد أقيمت فيه بقرطبة سنة ست وثمانين
 وخمسمائة ما كلمني أحد من تلك الطائفة إلا هود عليه السلام ، فإنه أخبرني بسبب
 جمعيتهم ، ورأيت رجلا ضخما في الرجال حسن الصورة . . . الخ » انظر الفص
 الهوى من فصوص الحكيم

المخاور عارفاً بالأمور ، كأشغالها ، ودليلي على كشفه لها قوله : (مامن دابة
إلا هو آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم) وأي بشارة للخلق أعظم
من هذه ؟ ثم من امتنان الله علينا أن أوصل إلينا هذه المقالة عنه في القرآن ؟

ظن الصوفية بالله سبحانه

ثم تتمها الجامع لكل محمد صلى الله عليه وسلم ، بما أخبر به عن الحق أنه عين
السمع والبصر واليد والرجل واللسان ، أي : هو عين الحواس والقوى الروحانية
أقرب من الحواس ، فاكتفى بالأبعد المحدود عن الأقرب المجهول الحد^(١) ، فترجم
الحق لنا عن نبيه هوذ مقالته لقومه بشري لنا ، وترجم رسول الله صلى الله عليه
وسلم [عن الله] مقالته بشري ، فأكمل العلم في صدور الذين أوتوا العلم (٢٩ : ٤٧)
وما يحدد بآياتنا إلا الكافرون) فإنهم يسترونها - وإن عرفوها - حسداً منهم
ونفاسة وظلماً ، وما رأينا قط من عند الله في حقه تعالى في آية أنزلها ، أو إخبار
عنه أوصله إلينا فيما يرجع إليه إلا بالتحديد ، تنزيهاً كان أو غير تنزيه ، أو له
العماء الذي ما فوقه هواء ، وما تحته هواء ، فكان الحق فيه قبل أن يخلق الخلق ،
ثم ذكر أنه استوى على العرش ، فهذا أيضاً تحديد ، ثم ذكر أنه ينزل إلى السماء
الدنيا ، فهذا تحديد ، ثم ذكر أنه في السماء ، وأنه في الأرض^(٢) ، وأنه

(١) يقول الزنديق : إذا كان الله سبحانه عين حواس العبد وجوارحه ، فأولى
أن يكون عين قواه الروحية . . . ويريد بالأبعد المحدود : الحواس وبالأقرب
المجهول : القوى الروحية ، الألسنة الآتمة الوالفة في الأعراض ، والأيدي الملوثة
بالجريمة السارقة ، والأقدام التي تدب تحت الليل لتنتهك كل حرمة ، وتستلب كل
كنين . والشفاه الملوثة بأصباغ الشهوات . إنها ألسنة وأقدام وأيدي وشفاه الإله
الذي يعبد الصوفية !!

(٢) يوحى إلى قوله سبحانه : (٤٣ : ٨٤) وهو الذي في السماء إله ، وفي
الأرض إله) ، ويزعم أنها ذات دلالة على أن الله في السماء ، وفي الأرض ، بل عين
السماء وعين الأرض ، في حين أن دلالة الآية جلية بيينة على أنه سبحانه وحده إله من =

معنا^(١) أينما كنا - إلى أن أخبرنا أنه عيننا ، ونحن محدودون ، فما وصف نفسه إلا

في السماء ومن في الأرض ، وأنه المعبود من أهلها ، « إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا » فالآيات مسوقة لبيان أن الله سبحانه له وحده الربوبية والإلهية ، وأنه بيده ملكوت السماء والأرض . إذ جاء قبل تلك الآية « سبحانه رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون » وجاء بعدها « وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما ، وعنده علم الساعة ، وإليه ترجعون » ورغم الإشراق العلوي من البيان وجلائه ووضحه يأبى ابن عربي إلا أن يفسر الآية بهذا البهتان الحبيث

(١) يفسر ابن عربي المعية هنا بأنها معية الذات ، وليت هذا فحسب ، بل يريد من وراء هذا الفهم إثبات أننا عين الله ذاتا ووجودا وصفة ، وإليك ما جلي به الشيخ ابن تيمية مسألة المعية : كلمة « مع » في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال ، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى . ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد ، فلما قال : (يعلم ما يلج في الأرض ، وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء ، وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير) دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها : أنه مطلع شهيد عليكم ، مهيمن عالم بكم ، وهذا معنى قول السلف : معهم بعامة . ولفظ المعية استعمل في الكتاب والسنة في مواضع تقتضي في كل موضع أمورا لا تقتضيها في الموضع الآخر ، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع ، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردنا ، وإن امتاز كل موضوع بخاصيته ، وعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب مختلطة بالخلق » انتهى باختصار عن مجموعة الرسائل الكبرى ج ١ ص ٤٥١ وما بعدها . وأقول : لا يخلو تصوير الزنديق للمعية من أحد أمرين ، فإما أن تكون الذات مختلطة بكل ذوات الخلق ، وإما أن تكون مختلطة ببعض دون بعض . فإن قال بالأول لزمه القول بانقسام الذات ، وانفصال بعض أجزائها عن بعض ، بل لزمه القول بتعدد الماهيات ، وبالغيرية والتكثر الحقيقيين ، وبأن كل شيء ليس عين الذات ، بل بعضها ، أو جزءها . وهذا غير ما يدين به الزنديق ، فهو يفترى أن هوية الحق وماهيته عين هوية كل موجود وماهيته ، وإن قال بالثاني لزمه ذلك =

٧ - مصرع النصوف

بالحد . وقوله (٤٢ : ١١ ليس كمثل شيء) حد أيضاً ، إن أخذنا الكاف زائدة لغير
الصفة ، ومن تميز عن المحدود فهو محدود بكونه ليس عين هذا المحدود ، فالإطلاق
عن التقييد تقييد ، والمطلق مقيد بالإطلاق لمن فهم ، وإن جعلنا الكاف للصفة
فقد حددناه ، وإن أخذنا « ليس كمثل شيء »^(١) على نفي المثل تحققنا^(٢) بالمفهوم
وبالإخبار الصحيح أنه عين الأشياء ، والأشياء محدودة ، وإن اختلفت حدودها
فهو محدود بحد كل محدود ، فما يُحدَّ شيء إلا وهو حدَّ الحق ، فهو السارى في
مسمى الخلوقات والمبدعات ، ولو لم يكن الأمر كذلك ما صح الوجود ، فهو عين
الوجود ، فهو على كل [شيء] حفيظ ، ولا يؤوده حفظ شيء ، فحفظه تعالى للأشياء
كلها حفظه^(٣) لصورته ، أن يكون الشيء غير صورته [٢٤] ولا يصح إلا هذا ،
فهو الشاهد من الشاهد ، والمشهود من المشهود ، فالعالم صورته ، وهو روح العالم
المدير له ، فهو الإنسان الكبير^(٤) « هذا لفظه هنا ، وتقدم في الفص الأدبي :
أن العالم يُعبَّر عنه في اصطلاحهم بالإنسان الكبير ، فراجعه تعرف صراحة
كفر الخبيث .

الكون هو رب الصوفية

ثم قال : « فقل في الكون ما شئت . إن شئت قلت : هو الخلق ، وإن
شئت [قلت] هو الحق ، وإن شئت قلت : هو الحق الخلق ، وإن شئت قلت :

أيضا في البعض الذي يقول باختلاط الذات به ، ولزمه في البعض الآخر القول بأن
من الخلق من ليس عين الذات ، بل غيرها . وهذا تقيض ما يدعيه ! ولكن ماذا
قول في محبول يزعم أن العدم عين الوجود ، وأن الشيء نفس تقيضه ؟ !

(١) سبق الرد على ما يلبس به الزنديق ويفتره هنا

(٢) في الأصل : تحقنا

(٣) في الأصل : حفظ

(٤) ص ١١١ فصوص الحكم

لا حق من كل وجه ، ولا خلق من كل وجه^(١) ، وإن شئت قلت بالحيرة في ذلك ، فقد بانت المطالب بتعيينك المراتب ، ولولا التحديد ما أخبرت الرسل بتحول الحق في الصور ، ولا وَصَفْتَهُ بخلق الصور عن نفسه :

فلا تنظر العين إلاَّ إليه ولا يقع الحكم إلاَّ عليه^(٢)

ثم قال : « وبالجملة ، فلا بد لكل شخص من عقيدة في ربه يرجع بها إليه ، ويطلبه فيها [فإذا تجلى له الحق فيها عرفه ، وأقرَّ به ، وإن تجلَّى له في غيرها أنكره وتعوذ منه ، وأساء الأدب عليه في نفس الأمر ، وهو عند نفسه أنه قد تأدب معه] فلا يمتد معتمد إلها إلا بما جهل في نفسه ، فالإله في الاعتقادات بالجعل فما رأوا إلا نفوسهم ، وما جعلوا فيها .

لم يقول الصوفية بوحدة الأديان

فإياك أن تقيد بعقد مخصوص ، وتكفر بما سواه ، فيفوتك خير كثير ، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه . فكن في نفسك هيولى^(٣) لصور المعتقدات

(١) لا حق من كل وجه باعتبار تعينه في صور بدنية عنصرية ، أو باعتبار ظاهره . ولا خلق من كل وجه باعتبار هويته ، أو باعتبار باطنه . هذا هو مراد الزنديق .

(٢) يقول : كل ما تقع العين عليه في الحياة ، فهو الله ، سل الصوفي في المواقف من ترى ثم ؟ وسل الصوفي يرعى الخنازير ماذا تسوق ؟ وسل الصوفي يرى الجيف المنتنة ، والرمام البالية ماذا ترى ؟ إنك ستسمعه مجيئا — وهو يحدجك بالنظرة الساخرة — إنه الله !!! هذا معنى الشطر الأول من البيت ، أما الشطر الثاني فيزعم فيه الزنديق : إن كل ما نحكم به على الأشياء فهو في الحقيقة محكوم به على الله سبحانه ، إذ هو في إفك الزنادقة عين كل شيء ، فإذا حكمت على شيء بأنه جماد ، أو عجل ، أو صنم ، أو رجس ، أو جيفة — كانت تلك الأحكام كلها واقعة على رب الصوفية كما يدينون ، لأنها ليست شيئا آخر غير هذا الرب الصوفي

(٣) يريد بها هنا ما يقبل التأثير ، يقول الزنديق : اجعل نفسك بحيث تقبل =

كلها ، فإن الله تعالى أوسع وأعظم [من] أن يحصره عقد دون عقد ، فإنه يقول :
 (١٥:٢) فأينما تولوا فثم وجه الله (١) .
 ثم قال : « فقد بان لك عن الله تعالى أنه في أيديته (٢) كل وجهة (٣) ،
 وما ثم إلا الاعتقادات ، فالكل مصيب ، وكل مصيب مأجور ، وكل مأجور
 سعيد ، وكل سعيد مرضى عنه (٤) ، وإن شق زماناً ما في الدار الآخرة ، فقد
 مرض ، وتالم أهل العناية - مع علمنا بأنهم سعداء وأهل حق - في الحياة الدنيا »

الوحدة عند ابن الفارض

وإلى هذه الجهالة والضلالة رمز ابن الفارض في هذه المقالة :

فلا تك مفتوناً بحسك مُعجَباً بنفسك موقوفاً على لبس غرة
 وفارق ضلال الفرق فالجمع (٥) مُنتَجج هُدَى فرقة بالانحداد تحَدَّت
 وصرح بإطلاق الجمال ، ولا تقل بتقييده ميلاً لتخرف زينة
 فكل مليح حُسْنُه من جاهلها معار له ، أو حسن كل مليحة

= كل معتقد ، وترضى به . وتعتقد أنه حق ، واحذر أن تنكر على المشرِكِ شرَكَه ،
 أو على المجوسى مجوسيته . واحذر أن تقيد نفسك بدين خاص ، وتُحارب سواه ،
 فالآلهة المعبودة في كل دين هي في حقيقتها الإله الواحد ، وإن تك كواكب
 أحجاراً ، أو موتى . وكل عابد لأى منها عابد لله ، فما ذلك المعبود إلى عين ذات
 الله ! ! وتعالى الله عن إفك الزنادقة

(١) ص ١١٣ فصوص

(٢) نسبة إلى الأين ، وهو حال تعرض للشيء بسبب حصوله في المكان

(٣) في الأصل : وجه

(٤) إيمان الزنديق بوحدة الأديان نتيجة إيمانه بوحدة الوجود ، وتراه هنا

يقرر الأولى ، فيزعم أن من تدين بأى دين - سواء كان وضعياً أم مملوياً - فهو

سعيد مرضى عنه من الله

(٥) في الأصل : والجمع

بها قيسُ لبني هام ، بل كل عاشق
فكُلُّ صَبَاً منهم إلى وصف لبسها
وما ذلك إلا أن بدت بمظاهر
بدت باحتجاب ، واختفت بمظاهر
ففي النشأة الأولى تراءت لآدم
فهام بها كيما يصير بها أبا
وما برحت تبدو وتحفى لِمَلَّةٍ
وتظهر للعشاق في كل مظهر
ففي مرة لبني ، وأخرى بثينة
وَأَسْنَنَ سَواها ، لا . ولا كُنَّ غيرها
كذلك بحكم الاتحاد بحسنها
بَدَوْتُ لها في كل صَبٍّ مقيم

كعجنون ليلي ، أو كثير عزة
لصورة حُسنٍ لاح في حُسنِ صورة
فظنوا سواها ، وهي فيها ^(١) تجلت
على صِبغِ التلوين في كل بَرزَةٍ ^(٢)
بمظهر حَوًّا قبل حكم الأمومة
ويظهر بالزوجين حكم ^(٣) البُنوة
على حسب الأوقات في كل حقبة
من اللبس في أشكال حسن بدیعة
[٢٥] وآونة تُدعى بعِزَّة . عزَّت
وما إن لها في حسنها من شريكة ^(٤)
كالي بدت في غيرها ، وتزيَّت
بأى بدیع حسنه ، وبأيت ^(٥)

(١) : راجع : راجع

(٢) في الأصل : فيهم ، والتصويب من الديوان

(٣) البرزة : المرة من البروز ، أو المرأة العفيفة تبرز للرجال ، وتتحدث معهم

وإخاله يريد بها هذا ، إذ هو بصدد ذكر تجلي الحقيقة الإلهية في صور النساء

(٤) في الأصل : سر

(٥) ، (٤) يفترى سلطان الزنادقة أن الذات الإلهية تتجلى - أتم وأجمل ما تتجلى -

في صور النساء الجميلات ، ويفترى أنها تجلت في صور ليلي وبثينة وعزة ، وقد رمز

بهن عن كل امرأة جميلة عاشقة معشوقة ، ولما كان من طبيعة هذا الرب الصوفي

العشق ، كان لا بد له من التجلي في صور عشاق ، ليعشق ، ويعشق ، فتجلى في

صور قيس وجميل وكثير عشاق أولئك الغانيات . وقد رمز بهم عن كل فتى اختبله

الحب وتيمته الصباية ، ثم يفترى أيضا الزعم بأن العاشق ليس غير العشيقة بل هو

هي ، فالرب الصوفي عشق وعاشق وعشيقة . فليلي وقيس مثلاً عند ابن الفارض هما

الرب تعينت ذاته في صورة امرأة تعشق وتعشق هي ليلي ، وفي صورة رجل يعشق =

وليسوا بغيري^(١) في الهوى لتقدم
وما القوم غيري في هواها^(٢) وإنما
على لسبق في الليالي القديمة
ظهرت [لهم] للبس في كل هيئة
وأونة أبدو جميل بثينة
طنأ بهم فاعجب ليكشف بسفرة
وكننت لي البادي بنفس تخفت
وما زلت إياها ، وإيأى لم تزل
ولا فرق ، بل ذاتي لذاتي أحببت^(٣)

== ويعشق . هو قيس . وليأمل القارىء معنى . فابن الفارض حين يتحدث عن الذات
الإلهية باعتبارها حقا يحكم بأنها تظهر في صور نساء ، وإذا تحدث عنها باعتبار
تعينها فيه يحكم بأنها تظهر في صور رجال ، يريد بها أن يفضل الرب المتعين فيه
عن الرب المتعين في غيره ، أو بتعبير أبين صراحة ، يفضل نفسه على الرب الذي
يظهر في صورة امرأة ، ويجعل من نفسه قبا عليه ، فالرجال — كما لا يخفى —
قوامون على النساء !

(١) في الأصل : سوى

(٢) في الأصل : هواى

(٣) هذا وما قبله بين الدلالة على إيمان ابن الفارض بالوحدة ، لا بالاتحاد ،
فإنه حين عبر بقوله : وما زلت إياها خشى أن يقال عنه أنه ما زال يستشعر إنثينية
ما ، لوجود محمول وموضع في تعبيره — وإن كان الحمل صوريا ، إذ المحمول عين
الموضع — أقول : خشى أن يقال عنه هذا فعقبه بقوله : ولا فرق ، حتى لا تفهم أن
الذات المعبر عنها بضمير المتكلم ، وهو التاء في « ما زلت » غير المعبر عنها بضمير
الغائب في إياها . وإنما هى هى . وزاد ابن الفارض إيعالا في كفره ، فقال : بل ذاتي
لذاتي ، ليجرد الذات الإلهية من وجودها الخاص ، وليؤكد أن ليس لها من وجود
إلا هذا الوجود المقيد المتعين في هذا أو ذلك من أفراد الخلق ، ولإثبات الوحدة
التامة بين الحق والخلق — لا في الباطن فحسب — بل في الظاهر ، ثم لغرض
آخر ، وهو أن الذات الإلهية ، نالت كمالها بتعينها في صورة ابن الفارض . هذا هو
دين من لا يزال كبار الشيوخ — بله الزنادقة الصوفية — يلقبونه : سلطان العاشقين

وليس معنى في الكون شيء سوى وأل مَعِيَّة لم نخطر على أَلْمَعِيَّة (١)

الكثرة عين الوحدة

ثم قال ابن عربي في فص حكمة قلبية في كلمة شعبية : « وصاحب التحقيق يرى الكثرة في الواحد ، كما يعلم أن مدلول الأسماء الإلهية ، وإن اختلفت حقائقها وكثرت أنها عين واحدة ، فهذه كثرة معقولة في واحد العين ، فيكون في التجلي كثرة مشهودة في عين واحدة ، كما أن الهيمولي (٢) تؤخذ (٣) في حد كل صورة [وهي] مع كثرة الصور [واختلافها] ترجع (٤) في الحقيقة إلى جوهر واحد ، هو (٥) هَيُولَاها ، فمن عرف نفسه بهذه المعرفة ، فقد عرف ربه ، فإنه على صورة خلقه بل هو عين هويته وحقيقته (٦) .

(١) هذا تؤكد لما يدين به من الوحدة ، ولذا يلح في نفي المعية ، نفي أن يكون ثم في الكون غير أو سوى إذ ما ثم إلا حقيقة واحدة ، هي هوية الحق ، تكثرت بمظاهرها الخلقية - والألمعية : الذكاء والفظنة

(٢) يراد بها : المادة ، أو مابه الشيء بالقوة ، أو ما يقبل التأثير

(٣) ، (٤) ، (٥) في الأصل : يؤخذ - ويرجع - وهو . والتصويب من

الفصوص .

(٦) ص ١٢٤ فصوص ، وقد خاف ابن عربي أن يظن به أنه يدين بمشاركة الإنسان لله في أمر عرضي وهو الصورة ، وذلك من قوله : فإنه على صورة خلقه - وإن كان يعني بالصورة هنا : مابه الشيء بالفعل - أقول : خاف هذا ، فأضرب عن قوله هذا ، وأتبعه بقوله : بل هو عين هويته وحقيقته . يالزندق !! فرعون حقيقة الله عنده ، وقارون ، وهامان ، وأبو جهل ، وأبو لهب ، بل كل آثم غوى الضلالة والفجور . كل هذا ، والشيوخ يسبحون بحمد ابن عربي ، وبيرونه الروح الرفاف في ملكوت الجمال الأعظم ، والنور الذي هدى إلى قدس الحقيقة . أما قولنا زيادا عن جلال الله : إن ابن عربي كافر . فهو قول عند الشيوخ يستعصي على المغفرة !!

قلت : وإلى هذا المحال أشار ابن الفارض فقال :
رجعت لأعمال العبادة عادة وأعددت أحوال الإرادة عُدتني
وعد جملة من أفعال البر في أبيات ، ثم قال :

ودقت فسكري في الخلال تورعا وراعيت في إصلاح قوتي وقوتي
متى حلت عن قولي : أنا هي أو أفل وحاشا لمثلي^(١) أنها في حلت
وهذا مثل ما يقال : خاب فلان وخسر ، وكان مثل إبليس ، إن كان منه كذا

فعل العبد عين فعل الرب عند الصوفية

وقال ابن عربي في فص حكمة نبوية في [كلمة] عيسوية :

فإنا أعبدُ حقا وإن الله مولانا

وإننا عينه ، فاعلم إذا ما قلت : إنسانا

فلا تحجبَ بإنسان فقد أعطاك برهانا

فكن حقا ، وكن خلقا تكن بالله رحمانا^(٢)

وقال في فص حكمة رحمانية في كلمة سليمانية : « والعمل مُقسَّم على ثمانية

(١) في الأصل : هداها

(٢) ص ١٤٣ فصوص والرحمن عند الصوفية « اسم الحق باعتبار الجمعية
الأسماوية التي في الحضرة الإلهية الفائض منها الوجود ، وبقية الكليات على جميع
الممكنات » الكمشخانلي في جامعته تحت المادة . . فهو مرادف للوجود المطلق .
ويقترى الزنديق ، فيزعم أن العارف يكون رحمانا — أي وجودا مطلقا ، أي نفس
الله سبحانه — إذا آمن أنه الحق ، وأنه الخلق ، إذا نظر إلى باطنه ، فأيقن أنه
حقيقة الحق ، وإلى ظاهره ، فأيقن أنه مظهر خلق لحقيقة الحق . بهذه النظرة
الشاملة من العارف إلى غيبه ، وشهوده ، يكون هو الذات الإلهية الجامعة للأسماء
الإلهية كلها . . هذا مراد من يجعل الصوفية اسمه تيممة ، والتسييح بحمده روحانية
ابتهال ، وصلاة ضراعة ، ونسك قرابين ! ! !

أعضاء من الإنسان ، وقد أخبر الحق تعالى أنه هُوِيَّةُ كل عضو منها^(١) ، فلم يكن العامل غير الحق ، والصورة للعبد ، والهوية مدرجة^(٢) فيه ، أى فى اسمه ، لا غير ؛ لأنه تعالى عين ما ظهر^(٣) .

ما الخلق ؟

ثم قال : « فنحن نتيجة رحمة الامتنان بالأسماء الإلهية ، والنسب الربانية ، ثم أوجبها على نفسه بظهورنا لنا ، وأعلمنا أنه هو يقنا ، لنعلم أنه ما أوجبها على نفسه إلا^(٤) لنفسه ، فما خرجت الرحمة عنه ، فعلى من [٢٦] امتن ، وما ثم إلا

(١) يزعم الزنديق أن الحق سبحانه عين كل عضو وجارحة من كل إنسان ، فإذا سرقت يد فالسارق رب الصوفية ، وإذا اجترح الفاحشة أنهم ، فهو رب الصوفية وإذا ولغ لسان فى الأعراض الشريفة فالوالمع رب الصوفية . وهكذا كل من يقترف جريمة ، أو يروع الحق بباطله ، والفضيلة برذائله ، فهو فى الحقيقة رب خلاق عند الصوفية ! ! ولست أدرى أى إله هذا الذى تقطع يده ، ويرجم ، ويجلد ، وتقطع أيديه وأرجله من خلاف . وينبى من الأرض ؟ ! أى إله هذا الذى يتدلى من مشافره ملايين الألسن ، وتطحن الأعراض فى شذقيه ملايين الضروس ، ويدب على الأرض فاتكا مدمرا بملايين الأرجل ؟ ! إنه الإله الذى يحرق الصوفية أرواحهم فى المحاريب ضراعة باسمه الكريم ! ! ! وكنت بصدد الإشارة إلى أن ابن عربى بهذا يثبت أنه ممن يدينون بالجبر القاهر المطلق ، بيد أن خبيثته أخبث وأدنا عهرا من هذا ، إنه يهدف إلى جعل الأمر فوضى وإباحية عريضة المجون ، إلى الانتفاض على كل شرعة وقانون ونظام ، بل إلى شنها حربا طاحنة على الإسلام وحده ، فإنه مجد اليهودية بعبادة عجل السامرى ، والمسيحية بعبادة عيسى ، والجوسية بعبادة النار ، والوثنية بعبادة الأصنام ، ثم التفت إلى المسلمين زاريا محقرا مبغضا ساخرا . لماذا ؟ ! لأنهم يعبدون ربا واحدا ، هو الله رب العالمين ! !

(٢) فى الأصل : مندوجة

(٣) ص ١٥١ - ١٥٢ فصوص الحكم

(٤) فى الأصل : لا .

هو؟ إلا أنه لا بُدَّ من حكم لسان التفصيل، لما ظهر من تفاضل الخلق في العلوم، حتى يقال: إن هذا أعلم من هذا مع أحدية العين^(١).

زعمه أن التفاضل لا يستلزم التغير

ثم قال: « فكل جزء من العالم، أي هو قابل لحقائق متفرقات العالم كله، فلا يقدر قولنا: إن زيدا دون عمرو في العلم أن تكون هوية الحق عين زيد وعمرو، وتكون في عمرو أكل [وأعلم منه في زيد] كما تفاضلت الأسماء الإلهية، وليست غير الحق، فهو تعالى - من حيث هو عالم - أعم في التعلق من حيث ما هو مرید وقادر، وهو هو ليس غيره^(٢)، فلا تعامه هنا يا ولي، وتجمله

(١) ص ١٥٣ فصوص لطيفة في بيان التفاضل بين الخلق

(٢) يشهد العقل والحس والوجدان أن بعض الخلق أفضل من بعض، وليس هذا في الإنسان فحسب، بل كذلك في الحيوان والجماد والنبات، فالعالم أفضل من الجاهل، والقادر أفضل من العاجز، والمؤمن غير الكافر، وفي إثبات التفاضل إثبات للغيرية، وحكم بأن الأفضل ليس عين الفاضل المفضول، فكيف إذن يكون الحق عين الخلق. في حين أن الخلق بغير بعضهم بعضا؟ وهذه المغايرة تقتضي ولا ريب ثبوت أن الخلق غير الحق. وهذا ينقض دين ابن عربي في الوحدة. وقد أحس الزنديق بخطر هذه الشهادة العقلية الحسية الوجدانية على معتقده. فراح يكدر في سبيل دفع هذا الخطر. زاعما أن هذا التفاضل لا يستلزم مطلقا مغايرة الحق للخلق. ولا مغايرة الذات الإلهية لنفسها أو مظاهرها. فهو ليس تفاضلا واقعا بين ذات وغيرها، بل بين بعض صفات وأسماء هذه الذات، وبين بعضها الآخر، وهذا لا يستلزم إلا مغايرة اسم لاسم، أو صفة لصفة، لا ذات لذات، ثم يفصل هذا بقوله كاستدلال على صدق معتقده: إن الأسماء، أو الصفات الإلهية، يفضل بعضها بعضها، فاسمه - تعالى - العالم. أفضل من اسمه - سبحانه - المرید. وذا أفضل من اسمه: القادر. إذ العلم أفضل من الإرادة. وهما أفضل من القدرة. وهذا لشمول العلم وتعلقه بكل ما هو معلوم. سواء أكان أمرا وجوديا أم عدميا. موجودا بالقوة، أم موجودا بالفعل. يمكن الوجود أم مستحيله =

هنا ، وثبته هنا ، وتنفيه هنا ، إلا إن أثبته بالوجه الذي أثبت نفسه ، ونفيته عن
كذا بالوجه الذي نفي نفسه ، كآلية الجسامة للنفي والإثبات في حقه حين قال :
(ليس كمثل شيء) فنفي (وهو السميع البصير) فأثبت بصفة نعم كل سامع بصير
= ولا كذلك الإرادة . ثم إن الإرادة أسبق من القدرة . وبهذا كانت أفضل . ثم
يستطرد في تلبسه قائلاً : بيد أن هذا التفاضل لا يمكن أبداً استلزام أن يكون
الإله غير نفسه . بل لا يمكن أن تحكم إلا بأن العالم عين القادر . عين المرید
ومن هذا يثبت أن التفاضل لا يستلزم الغيرية أو التعدد . ثم ينتقل من هذا إلى
ما يهدف إليه ، فيزعم أنه لما كانت الموجودات هي تعيينات أسماء الذات الإلهية
وصفاتها ، كان التفاضل الواقع بين الموجودات ، صورة للتفاضل الذي كان واقعاً بين
الأسماء والصفات قبل تعيينها في صور الموجودات ، وقد ثبت أن هذا التفاضل لا يستلزم
غيرية ولا تعداد ، فيصدق القول : بأن الحق عين الخلق ، ويصدق القول : بأن
محمد آ هو عين أبي جهل ، عين أبي لُهب ، عين فرعون ، وبأن العالم عين الجاهل ،
والمؤمن عين الكافر ، والموحد عين المشرك ، لأن كل طرف من هذه المقابلات
ما هو إلا اسم إلهي تعين في هذا الطرف ، ومنه يثبت — هكذا زعم الزنديق —
أن العالم — رغم ما فيه من تفاضل يشهر بالغيرية — ليس شيئاً آخر غير الحق ،
بل هو عينه ، إذ ما هو إلا أسماء الله وصفاته التي تعينت في صور هذا العالم ، هذا
هو مراد الزنديق ، وما لهئت من أجله أنفاسه ، ليثبت به قوله : « لا يقدر قولنا :
إن زيداً دون عمرو في العلم أن تكون هوية الحق عين زيد وعمرو » ورغم ما في
هذا الهراء من تلبس زنديق ، فللعقل — أي عقل كان — أن يصرخ في وجه
ابن عربي بالحق : ما زلت أيها الزنديق في حاجة — ولن تقضى لك والله هذه
الحاجة أبداً — إلى إثبات أصل زندقتك ، وهو أن هذه الموجودات هي تعيينات
أسماء الله . فقد بنيت هراءك المجوسى كله على هذا الأصل الذي يحسد بيت العنكبوت
على قوته . وأقول : العقل وحده ، إذ يستطيع كل امرئ يفهم آية واحدة من
القرآن أن يحكم على ابن عربي بالزندقة الفاجرة . ولكن ماذا نفعل للكبار الكبار
الذين يستظهِرون ألف متن وحاشية ، والمصحف حتى علام الوقف فيه !! يؤمنون
بالزنديق ، ويكفرون بآيات الله ، ويقدمون فصوص الحكم ، ويجحدون بالله كره
الحكيم !.

من حيوان ، وما ثم إلا حيوان ، إلا أنه بطن في الدنيا عن إدراك بعض الناس ،
وظهر في الآخرة لكل الناس ، فإنها الدار الحيوان ، وكذلك الدنيا ، إلا أن
حياتها مستورة عن بعض العباد ، ليظهر الاختصاص والمفاضلة بين عباد الله بما
يدركونه^(١) من حقائق العالم فمن عم إدراكه ، كان الحق أظهر في الحكم ممن
ليس له ذلك العموم ، فلا تحجب بالتفاضل ، وتقول : لا يصح كلام من يقول :
إن الخلق هوية الحق ، بعد ما أريتك التفاضل في الأسماء الإلهية التي لا تشك
أنت أنها [هي] الحق ، ومدلوها المسمى بها وليس إلا الله^(٢) .

الضال مهتد ، والكافر مؤمن

ثم قال : « نحن على الصراط المستقيم الذي الرب عليه ، لكون نواصينا في
يده ، وتستحيل مفارقتنا إياه ، فنحن معه بالتضمين ، وهو معنا بالتصريح ، فإنه
قال : (٤ : ٥٧) وهو معكم أينما كنتم) ونحن معه بكونه آخذاً بنواصينا فهو تعالى
مع نفسه حيثما مشى بنا من صراطه ، فما أحد من العالم إلا على صراط مستقيم^(٣) »
ثم قال في فص حكمة وجودية في كلمة داودية (٢٢ : ٢١) لو كان فيهما آلهة
إلا الله لفسدنا) وإن انفقا ، فنحن نعلم أنهما لو اختلفا [تقديراً] لنفذ حكم أحدهما
فالنافذ الحكم هو الإله على الحقيقة ، والذي لم ينفذ حكمه ليس بإله ، ومن هنا
تعلم أن كل حكم ينفذ اليوم في العالم أنه حكم الله ، وإن خالف الحكم المقرر في
الظاهر المسمى : شرعاً ؛ إذ لا ينفذ حكم إلا الله في نفس الأمر ، لأن الأمر الواقع
في العالم إنما هو على حكم المشيئة^(٤) .

(١) في الأصل : يدركونه .

(٢) ص ١٥٣ فصوص الحكم .

(٣) ص ١٥٨ فصوص .

(٤) ص ١٥٦ فصوص .

ان يعذب كافر عند الصوفية

ثم قال : « ولما كان الأمر [في نفسه] على ما قررناه ، لذلك كان مآل الخلق إلى السعادة على اختلاف أنواعها ، فعبر عن هذا المقام بأن الرحمة وسعت كل شيء ، وأنها سبقت الغضب الإلهي ، والسابق متقدم ، فإذا لحقه هذا الذي حكم عليه المتأخر حكم عليه المتقدم ، فنالته الرحمة ، إذا لم يكن غيرها سبق ، فهذا معنى سبقت رحمته غضبه ، لتحكم على من وصل [٢٧] إليها ، فإنها في الغاية وقفت ، والسلك سالك إلى الغاية ، فلا بد من الوصول إليها ، فلا بد من الوصول إلى الرحمة ، ومغادرة الغضب ، فيكون الحكم لها في كل واصل إليها ، بحسب ما يعطيه حال الواصل إليها .

فمن يك ذا فهم يشاهد ما قلنا وإن لم يكن فهم ، فيأخذه عنا
فما تم إلا ما ذكرناه ، فاعتمد عليه ، وكن في الحال فيه كما كنا
فمنه إليه ما تلونا عليكم ومنا إليكم ما وهبناكم منا^(١)
وقال في فص حكمة نفسية في كلمة يونسية^(٢) « وأما أهل النار فما لهم إلى النعيم
ولكن في النار ، إذ لا بد لصورة النار بعد انتهاء مدة العقاب ، أن تكون برداً
وسلاماً على من فيها ، وهذا نعيمهم ، فنعيم أهل النار - بعد استيفاء الحقوق -
نعيم خليل الله حين ألقى في النار ، فإنه عليه السلام تعذب برؤيتها ، وبما تعود
في علمه ، وتقرر من أنها صورة تؤلم من جاورها من الحيوان ، وما علم مراد الله
فيها ، ومنها في حقه ، فبعد وجود هذه الآلام وجد برداً وسلاماً مع شهود الصورة
اللونية في حقه ، وهي نار في عيون الناس ، فالشيء الواحد يتنوع في عيون
الناظرين . هكذا هو التجلي الإلهي^(٣) . »

(١) ص ١١٦ فصوص .

(٢) في الأصل : يوسفية .

(٣) ص ١٦٩ فصوص .

وقال في فص حكمة غيبية في كلمة أيوبية : « وقد ورد في العلم الإلهي النبوي
اتصاف الحق بالرضا والغضب ، وبالصفات ، والرضا مزيل للغضب ، والغضب
مُزِيلٌ للرضا عن المرَضِيِّ عنه ، والاعتدال : أن يتساوى الرضا والغضب ، فما
غضب الغاضب على من غضب عليه ، وهو عنه راضٍ ، فقد اتصف بأحد
الحكمين في حقه ، وهو مَيْلٌ ، وإنما قلنا هذا لأجل من يرى أن أهل النار ،
لا يزال غضب الله عليهم دائماً أبداً في زعمه ، فمآلهم حكم الرضا من [الله] فصيح
المقصود ، فإن كان - كما قلنا - مآل أهل النار إلى إزالة الآلام ، وإن سكنوا
النار ، فذلك رضا ، فزال الغضب لزوال الآلام ، إذ عين الألم عين الغضب إن
فهت . فمن غضب ، فقد تآذى ، فلا يسعى في انتقام المغضوب عليه بإيلامه إلا
ليجد الغاضب الراحة بذلك ، فينتقل الألم الذي كان عنده إلى المغضوب عليه ،
والحق إذا أفردته عن العالم يتعالى علواً كبيراً عن هذه الصفة على هذا الحد ، وإذا
كان الحق هوية العالم ، فما ظهرت الأحكام كلها إلا فيه ومنه ، وهو قوله :
(١١ : ١٢٣) وإليه يرجع الأمر كله (حقيقة وكشفاً ^(١)) (فاعبده وتوكل عليه)
حجاباً وستراً ^(٢) . فليس في الإمكان أبدع من هذا العالم ^(٣) ، لأنه على صورة

(١) يعني بالأمر : كل مظاهر الوجود وأحكامه ، ويفترى بهذا على الله البهتان ،
فيزعم أن مظاهر الخلق هي مظاهر الحق ، وأن ما نحكم به على مظاهر الوجود
وصوره يجب أن نحكم به على الحق ، إذ هو عين تلك المظاهر ، فإذا قيل : إن فلانا
يتألم من كذا ، أو يلتذ به ، فالتألم عند الصوفية والملتذ هو الحق المتعين في فلان هذا
وإذا قلنا : إن فلانا آثم غوى ، كان هذا الحسب محكوماً به في الحقيقة على رب
الصوفية ، لأنه هو عين هذا الآثم الغوى ، هذا تفسيره لقوله سبحانه : (إليه يرجع
الأمر كله) ولذا عقبها بقوله : حقيقة وكشفاً .

(٢) الأمر بالعبادة يستلزم إثبات معبود وعابد ، ويصف ابن عربي الأمر
بالعبادة بأنه ستر وحجاب ، إذ ما تم عابد ومعبود ، فالعابد عين المعبود . ولذا عقب
الآية بقوله : حجاباً وستراً .

(٣) لأنه يدين بأن العالم هو الله وصفاته وأسمائه .

الرحمن أوجده الله تعالى ، أي ظهر وجوده تعالى بظهور العالم ، كما ظهر الإنسان بوجود الصورة الطبيعية ، فنحن صورته الظاهرة ، وهو يته روح هذه الصورة المدبرة لها ، فما كان التدبير إلا فيه [كما لم يكن إلا منه] ، فهو : «الأول» بالمعنى ، «والآخر» بالصورة ، وهو «الظاهر» [٢٨] بتغير الأحكام والأحوال «والباطن» بالتدبير « وهو بكل شيء عليم » فهو على كل شيء شهيد ^(١) .

الحق عندهم سار في عناصر الطبيعة

وقال في فص حكمة إبناسية في كلمة إلياسية : « وكان إلياس الذي هو إدريس ، قد مُثِّل له انفلاق الجبل ^(٢) [المسمى] لبنان عن فرس من نار ، فلما [رآه] ركب عليه ، فسقطت ^(٣) عنه الشهوة ، فسكان ^(٤) عقلا بلا شهوة ، فلم يبق له تعلق بما تتعلق به الأغراض النفسية ، فكان الحق فيه ^(٥) منزها ، فكان على النصف من المعرفة بالله [فإن العقل إذا تجرد لنفسه من حيث أخذه العلوم عن نظره كانت معرفته بالله] عن التنزيه ^(٦) ، لا على التشبيه ، وإذا أعطاه الله المعرفة بالتجلى كملت معرفته بالله ، فنزه في موضع ، وشبه في موضع ، ورأى سريان الحق في الصور الطبيعية والعنصرية ، وما بقيت له صورة إلا ويرى عين الحق عينها ، وهذه المعرفة التامة التي جاءت بها الشرائع المنزلة من عند الله ، وحكمت بهذه المعرفة الأوهام كلها ^(٧) »

رد العراقي على وحدة الأديان

قال الإمام زين الدين العراقي في جواب السؤال المذكور قبل : « بتوحيد

(١) ص ١٧٢ فصوص .

(٢) (٥،٤،٣،٢) في الأصل : جبل — سقطت — وكان — فيها .

(٦) الصوفية حرب على العقل ، ويكفرون به كمصدر أو وسيلة من وسائل

المعرفة ، إذ يحكم على أوهامهم الذوقية بالتناقض ، وأنها وليدة خرافة وأساطير .

(٧) ص ١٨١ فصوص .

إلياس عليه السلام بُعثت الرسل كلها ؛ لأن الملل كلها ، وما جاءت به الرسل -
لم يختلفوا في التوحيد والإقرار به ، وقد نزه الله تعالى نفسه عن الشبه بقوله تعالى
(ليس كمثله شيء) وليت شعري ما الفائدة لبعثه الرسل إذا كان من عبد شيئاً من
المخلوقات عابداً لله تعالى؟! وليت شعري ماذا يقول هذا القائل ، في نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم في نهيمهم عن عبادة الأوثان وكسرها؟! هل يقول : كانوا
بعبادتها مصيبين عابدين لله ، وأنه ما حصل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم اتساع ،
فأنكر عليهم ، كما قال في حق هارون عليه السلام ، ولا شك أن الرسل كلهم
متفقون في التوحيد ، وكأنه إنما سكت عن ذلك خيفة من السيوف الحمدية ،
فإن هذه المؤلفات التي كان يُسرّها إلى أصحابه ، ويسرها أصحابه إلى أصحابهم ،
ولو كان حقاً لأظهره على رؤوس الأشهاد » انتهى

الشرائع أوهام عند الصوفية

ثم قال ابن عربي : « فالوهم هو السلطان الأعظم في هذه الصورة السكاملة
الإنسانية ، وبه جاءت الشرائع المنزلة ، فشبهت ونزّهت : شبهت في التنزيه بالوهم ،
ونزّهت في التشبيه بالعقل ، فارتبط الكل بالكل ، فلم يمكن أن يخلو^(١) تنزيه
عن تشبيهه ، ولا تشبيهه عن تنزيهه ، قال الله تعالى : (ليس [كمثله شيء) فنزه
وشبّه (وهو السميع البصير) بشبهه ، وهي أعظم آية تنزيه نزلت ، ومع ذلك لم تخل
عن تشبيهه بالكاف ، فهو أعلم العلماء بنفسه ، وما عبر عن نفسه إلا بما ذكرناه^(٢) »

ليس لله وجود عند الصوفية

ثم قال - في مثل ضربه للتشبيه في التنزيه ، والتنزيه في التشبيه : « مثل
من يرى الحق في النوم ، ولا ينكر هذا ، وأنه لا شك الحق عينه ، فتنبه لو ازم
تلك الصورة ، وحقائقها التي تجلّي فيها في النوم ، ثم بعد ذلك يُعبّر^(٣) - أي

(١) في الأصل : يخلق .

(٢) ص ١٨١ قصوص .

(٣) في الأصل : تعبر .

يُجَازُ - عنها إلى أمر آخر ، يقتضى التنزيه عقلاً ، فإن كان الذى يعبرها ذا كشف وإيمان ، فلا يجوز عنها إلى تنزيه فقط ، بل يعطيها [٢٩] حقها^(١) فى التنزيه ، ومما ظهرت فيه ، قاله على التحقيق عبارة^(٢) لمن فهم الإشارة^(٣) »

الداعى عين المجيب

ثم قال : « ومن ذلك قوله تعالى : (٦٠:٤٠ ادعونى أستجب لكم) قال الله : (١٨٦:٢) وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أجيب دعوة الداعى إذا دعانى (إذ لا يكون مجيباً إلا إذا كان من يدعوه^(٤) وإن كان عين الداعى عين المجيب ، فلا خلاف فى اختلاف الصور ، فهما صورتان بلا شك^(٥) ، وتلك الصور كالأعضاء لزيد ، فمعلوم أن زيدا حقيقة واحدة شخصية ، وأن يده ليست صورة رجله ، ولا رأسه ولا عينه ، ولا حاجبه ، فهو الكثير بالصور الواحد بالعين كالإنسان بالعين واحد بلا شك ، ولا نشك أن عمرواً ما هو زيد ، ولا خالد ، ولا جعفر ، وأن أشخاص هذه العين الواحدة لا تتناهى وجوداً ، فهو وإن كان واحد بالعين ، فهو كثير بالصور والأشخاص ، وقد علمت قطعاً - إن كنت مؤمناً - أن الحق عينه يتجلى يوم القيامة فى صورة ، فيُعرَف ، ثم يتحول فى صورة ، فينكر ، ثم يتحول عنها فى صورة ، فيعرف ، وهو هو المتجلى . ليس

(١) فى الأصل : من .

(٢) فى الأصل : عبادة .

(٣) ص ١٨٢ فصوص .

(٤) فى الأصل : غيره بعد كلمة يدعوه .

(٥) الأمر بالدعاء يقتضى الإثنية والغيرية ، أعنى يستأزم وجود داع ومجيب ،

لذا راح الزنديقى يزعم أنها اثنية وهمية ، وغيرية صورية ، فالداعى هو الله تعين

فى صورة من يدعو ، والمجيب هو الله تعين فى صورة من يجيب ، فهما غيران فى

الصورة ، واحد فى الحقيقة . ولذا يقول : الداعى عين المجيب ، وما إخال القارىء

فى حاجة إلى البيان عما فى هذا من تحريف كافر .

غيره في كل صورة . ومعلوم أن هذه الصورة ما هي تلك الصورة الأخرى ،
فكان العين الواحدة قامت مقام المرآة ، فإذا نظر الناظر فيها إلى صورة معتقده
في الله عرفه ، وأقرَّ به ، وإذا اتفق أن يرى فيها معتقد غيره أنكره ، كما يرى في
المرآة عين صورته وصورة غيره ، فالمرآة عين واحدة ، والصور كثيرة في عين
الرائي ، وليس في المرآة صورة منها جملة واحدة مع كون المرآة لها أثر في الصور
بوجه ، وما لها أثر بوجه (١) .

ثم قال : « فإن كوشف على أن الطبيعة عين نفس الرحمن ، فقد أوتى خيراً
كثيراً » (٢) .

قلت : وإلى هذا أوما ابن الفارض بقوله :

ولا تحسبن الأمر عني خارجاً فما ساد إلا داخل في عبودتي (٣)
ولولاي لم يوجد وجود ، ولم يكن شهود ، ولم تعهد عهد بدمه
وفي عالم التركيب في كل صورة ظهرت بمعنى عنه بالحسن زينتي
وضربي لك الأمثال مني منةً عليك بشأني مرة بعد مرة
تأمل مقامات الشروحي (٤) واعتبر بتلوينه ، تحمل قبول مشورتني
وتدر (٥) التباس النفس بالحس باطنا بمظهرها في كل شكل وصورة
وشاهد إذا استجليت نفسك ماترى بغير مرآة في المرآئي (٦) الصقيلة (٧)

(١) ص ١٨٤ فصوص .

(٢) ص ١٨٧ فصوص .

(٣) في الأصل : عبوتني .

(٤) اسم الشخص الذي بنى عليه الحريري مقاماته .

(٥) في الأصل : تدرى .

(٦) في الأصل : المرآة .

(٧) يرد الشيخ الجليل ابن تيمية على هذا المثل الذي يمثل به ابن الفارض =

أغيرك فيها لاح ، أم أنت ناظر
وأصغ لرجع الصوت عند انقطاعه
أهل كان من ناجاك ثم سواك ، أم
وقل لي : من ألقى إليك علومه
وما كنت تدري قبل يومك ماجرى
فأصبحت ذا علم بأخبار من مضى
أحسب من جارك في سنة الكرى
وما هي إلا النفس عند اشتغالها
تجملت لها^(٢) بالغييب في شكل عالم
ولا تك بمن طيشته دروسه
فثم وراء النقل علم يدق عن

إليك بها عند انعكاس^(١) الأشعة؟
إليك بأكناف القصور المشيدة
سمعت خطاباً عن صدك الصوت
وقد ركبت منك الحواس بغفلة
بأمسك ، أو ماسوف يجرى بغدوة
[٣٠] وأسرار من يأتي مُدلاً بخبرة
سواك بأنواع العلوم الجلييلة
بعالمها عن مظهر البشرية
هداها إلى فهم المعاني الغريبة
بحيث استقلت عقله واستفرت
مدارك غايات العقول السليمة^(٣)

= الوحدة بين الحق والخلق ، فيقول: «فلو قدر أن الإنسان يرى نفسه في المرآة ، فالمرآة خارجة عن نفسه ، فرأى نفسه ، أو مثال نفسه في غيره ، والكون عندهم ليس فيه غير ولا سوى ، فليس هناك مظهر مخالف للظاهر ، ولا مرآة مغايرة للرأى ، وهم يقولون : إن الكون مظاهر الحق ، فإن قالوا : المظاهر غير الظاهر لزم التعدد وبطلت الوحدة ، وإن قالوا : المظاهر هي الظاهر ، لم يكن قد ظهر شيء في شيء ، ولا تجلى شيء في شيء ، ولا ظهر شيء لشيء ، وكان قوله : «يعنى ابن الفارض» «ومشاهد إذا استجليت ... الخ» كلاماً متناقضاً ، لأن هنا مخاطباً ، ومخاطباً ، ومرآة تستجلى فيها الذات ، فهذه ثلاثة أعيان ، فإن كان الوجود واحداً بالعين ، بطل هذا الكلام ، وكل كلمة يقولونها تنقض من أصلهم» ص ٨٧ ج ١ مجموعة الرسائل والمسائل .

(١) في الأصل : الانعكاس .

(٢) في الأصل : لهم .

(٣) يقصد بالنقل نصوص الشرائع السماوية ، والصوفية لا يبغضون شيئاً في الحياة بغضهم لما أوحى به الله سبحانه إلى رسوله ، وإذا استشهد صوفي بآية أفسد =

تلقيته مني ، وعنى أخذته ونفسي كانت من عطائي مُمدتي
ولا تك باللاهي عن اللهو جملة فهزّل الملاهي جدُّ نفس مُجدِّة

الحق عين كل معلوم عند الصوفية

ثم قال^(١) في فص حكمة إحصائية في كلمة لقمانية - بعد أن ذكر أن من
حكيمته الملقوطة ، أنها - إن تك مثقال حبة من خردل الآية ... وأن من حكيمته
المسكوبة^(٢) عموم المؤتي إليه ، لأنه لم يقل : يأت بها الله إليك ، أو إلى غيرك ،
قال : « فنبه لقمان بما تكلم به ، وبما سكت عنه أن الحق عين كل معلوم ، لأن
المعلوم أعم [من الشيء]^(٣) فهو أنكسر النكرات ، ثم تم الحكمة ، واستوفاهما ؛

== معناها بأساطير زندقته. وإذا استشهد بحديث، فثق أنه موضوع، وضعته الصوفية
منذ خلعت عنها اسم المجوسية، وتسمت بهذا الإسم الخلوب المسكر والخديعة،
لتنفث سمومها الفتاكة، وتعيث بزندقته في عقائد المسلمين فسادا، ولذا يقول
ابن الفارض: لا تركز إلى الكتاب والسنة، فليس فيهما أثاره من الحق، ولا لمع
من الهداية، ولا إشراق من الحقيقة، وتعال إلى أعلمك علما دقيقاً جليلاً يهيم
على الهدى والحق !!

وأقول: إذا كان علم ابن الفارض يدق عن مدارك العقول المشرقة، فمن
للدراويش؟ من للذين هم ليسوا بأقطاب؟ ثم أليس أولئك الذين لا يعلمون علمه،
هم الله في عرف زندقته؟ أليس هذا معناه أن له علما يدق حتى عن الله سبحانه؟
ومعناه أن زندقته أبر بالحق والهدى من شرائع الله سبحانه؟!

(١) أي: ابن عربي .

(٢) لعلها: المسكوت عنها، فابن عربي يقول في هذا الفص: « والحكمة قد
تكون متلفظاً بها، ومسكوتاً عنها » .

(٣) يقول أبو البقاء في كلياته: « الشيء هو لغة: ما يصح أن يعلم ويخبر عنه،
فيشمل الوجود والمعدوم ممكناً، أو محالاً، واصطلاحاً: خاص بالموجود - خارجياً
كان أو ذهنياً - والشيء أعم العام، ويقع على الواجب والممكن والممتنع. نص على =

لتكون النشأة كاملة فيها ، فقال : « إن الله لطيف » فن لطافته واطفه ، أنه في الشيء المسمى كذا ، المحدود بكذا ، عين ذلك الشيء ، حتى لا يقال فيه إلا ما يدل عليه اسمه بالتواطؤ^(١) ، والاصطلاح ، فيقال : هذا سماء ، وأرض ، وصخرة ، وشجرة ، وحيوان ، وملك ، ورزق ، وطعام ، والعين واحدة من كل شيء^(٢) ،

= ذلك سيويوه ، حيث قال في كتابه : الشيء يقع على كل ما أخبر عنه ، ومن جعل الشيء مرادفا للموجود ، حصر الماهية بالموجود ، ومن جعله أعم عمم الموجود والمعدوم .

ولكن ابن عربي يفسر الشيء بأنه المتحقق بالفعل ، وعلى هذا ، فالمعلوم أعم منه ، إذ المعلوم عنده يتناول الموجودات : عينية ، أو علمية ممكنة ، أو ممتنعة ، وابن عربي يزعم أن الحق عين كل معلوم ، وهذا معناه أن إله عين الممكن ، وعين الممتنع ، عين الوجود الخارجي ، وعين الوجود الذهني ، عين الوهم ، وعين الحقيقة عين الباطل وعين الحق ، عين الغي والضلال ، وعين الرشد والهدى ، عين العدم والفناء ، وعين الوجود والبقاء . هذا هو إله الصوفية الأعظم !!

(١) التواطؤ هو الكلي إن استوت أفراده فيه ، كالإنسان بالنسبة إلى أفراده فالإنسانية في محمد مثلا عينها في بكر ، عينها في خالد ، عينها في كل فرد ، فهو يطلق على كل فرد فرد بمعنى واحد لا يزيد ، ولا ينقص في فرد عنه في فرد آخر . وكذلك اسم الله سبحانه — هكذا يفترى الزنديق الآثم ابن عربي — يقال على كل معلوم بالتواطؤ . يقال على الممكن والممتنع ، على الموجود والمعدوم ، على الوجود الذهني ، وعلى الوجود الخارجي ، على الإنسان والحيوان والجماد ، والليكروبات ، والرّم !! هذا دين من لا يزال بعض كبار الشيوخ يتخذونه لهم قدوة وإماما ، ويشورون ثورة الدنس والرذيلة على الطهر والفضيلة ، إذا شاء كاتب أن يصفع باطله بيد الحق القاهرة القوية !!

(٢) يزعم أن السماء عين الأرض ، وأن الصخرة عين الشجرة ، وأن الجماد عين الحيوان ، يؤمن بأن كل شيء من هذه الأشياء عين الآخر ، ويؤمن بأن الله سبحانه عين كل شيء ، فسمه بأى اسم شئت من أسماء هذه الأشياء ، فلن تعدو الحق عند الزنديق ، سمه أرضا ، أو صخرة ، أو شجرة ، أو حيوانا ، أو جمادا ، =

وفيه كما تقول الأشاعرة^(١) : أن العالم كله متماثل بالجواهر ، فهو جوهر واحد^(٢) فهو عين قولنا : [العين واحدة] ثم قالت : ويختلف بالأعراض ، وهو عين قولنا

= أو حشرة ، فالكل عينه ؛ وهويتها هويته ، وماهيتها ماهيته ، ووجودها عين وجوده ، وأسماؤها أسماؤه !! أرأيت أية مادية صماء يوغل ابن عربي في الإيمان بها إذ يرى ربه صخرا وجمادا ؟ .

فأين هي الروحانية في التصوف بأحلاس المجوسية ، وباعبدة الخنازير ؟
(١) مدرسة كلامية ابتدعت مذهبا كلاميا ملفقا ، فهو أمشاج من الاعتزال . والسلفية ، والجبرية ، والفلسفة اليونانية القديمة قبل سقراط ، زعيمها : أبو الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٣٠ هـ وأشهر زعمائها بعده الباقلاني والجويني ، والغزالي . راجع ما كتبت عن هذه المدرسة في كتابي دعوة الحق
(٢) قال السعد في المقاصد : « أثبت المتكلمون أن أجزاء الجسم هي الجواهر الفردة ، وأنها متماثلة لا يتصور فيها اختلاف ، ليثبتوا أن الأجسام متحدة بالحقيقة ، وإنما الاختلاف بالعرض ، وهذا أصل ينبئ عليه كثير من قواعد الإسلام « تأمل !! » كإثبات القادر المختار ، وكثير من أحوال النبوة والمعاد » ص ٣١٨ ج ١ . وعلى الرغم مما هول به الأشاعرة حول أسطورة الجوهر الفرد التي استمدوها من الفلسفة اليونانية القديمة ، وبخاصة من ديمقريط ، فإن قولهم لا ينتسب إلى الصوفية في الوحدة برحم ، فالأشاعرة يقولون بتماثل الجواهر الفردة في الأجسام . أما الصوفية فيدينون ، لا بالتماثل ، بل بالوحدة التامة بين الحق والخلق ، ثم إن الأشاعرة يدينون بوجودين : وجود الله ، ووجود العالم ، الأول قديم ، والثاني حادث ، أما الصوفية فيدينون بوجود واحد تردد بين الإطلاق والتقييد ، وجود يجمع الخالق بالخلق في وحدة تامة ، الأشاعرة يؤمنون بأن الله هو الخالق ، وأن العالم هو المخلوق ، أما الصوفية ، فيكفرون بأن الله خالق ، إذ الحق والخلق عندهم حقيقة واحدة ، وإليك ما ردد به العلامة القبلي على ما نسبه ابن عربي إلى الأشاعرة هنا ، وهو قولهم بوحدة الجوهر : « وقد غالط في كلامه هذا أو غلط ، وذلك بقوله : فهو جوهر واحد فإنه ليس من كلام الأشاعرة ، ولا غيرهم من المتكلمين ، ألا ترى إلى قولهم : متماثل ؟ ! وهو — أي ابن عربي — قد أحال التماثل وأحال الشركة لاتحاد العين » العلم الشامخ ص ٤٣٧

ويختلف ، وبتكثر بالصور والنسب حتى يتميز ، فيقال : هذا ليس هذا من حيث صورته ، أو عَرَضه ، أو مزاجه كيف شئت ، فقل : وهذا عين هذا من حيث جوهره ، ولهذا تؤخذ عين الجوهر في حد كل صورة ، أو مزاج ، فنقول نحن : إنه ليس سوى الحق ، ويظن المتكلم^(١) أن مسمى الجوهر الفرد - وإن كان حقاً - ماهو عين الحق الذي يطلانه أهل الكشف والتجلي فهذا حكمة كونه : لطيفاً^(٢) ، ثم نعت ، فقال : خبيراً ، أى عالماً عن اختبار^(٣) ، وهو قوله : ولنبلونكم حتى نعلم ، وهذا هو علم الأذواق ، فجعل الحق نفسه - مع علمه بما هو الأمر عليه - مستفيداً عالماً ، ولا تقدر^(٤) على إنكار ما نص الحق عليه [في حق نفسه] ، ففرق تعالى بين علم الذوق والعلم المطلق ، فعلم الذوق مُقَيَّد بالقوى وقد قال عن نفسه : إنه عين قوى عبده في قوله : كنت سمعه . وهو قوة من قوى العبد . وبصره ، وهو قوة من قوى العبد ولسانه ، وهو عضو من أعضاء العبد ، ورجله ، ويده ، فما اقتصر في التعريف على القوى فحسب ، حتى ذكر الأعضاء ، وليس العبدُ بغير هذه^(٥) الأعضاء والقوى ، فعين مسمى العبد هو الحق ، لا عين العبد هو السيد^(٦) ، فإن النسب متميزة لذاتها^(٧) وليس المنسوب إليه متميزاً [٣١] فإنه ليس ثمَّ سوى عينه في جميع النسب ، فهو عين واحدة ذات نسب وإضافات وصفات ، فمن تمام حكمة لقمان في تعليمه ابنه ماجاء به في^(٨)

(١) يقصد الفائلين بالجواهر الفرد من الأشاعرة

(٢) يعنى اسم الله سبحانه في قوله : (٣٣ : ٣٤) إن الله كان لطيفاً خبيراً

(٣) ينسب العلم الاختبارى إلى الله ، بيد أنه يفسره بأنه العلم الذوقى ، وهذا عنده مقيد بالقوى التى تفيده وصادر عنها ، والزنديق يفترى أن الله سبحانه عين قوى العبد وأعضائه ، وعلم العبد مستمد من هذه القوى والأعضاء فعلم الحق عنده هو ما يعلمه العبد عن طريق قواه وأعضائه ، إذ ليس الحق شيئاً سوى هذا العبد !!

(٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) ، (٨) فى الأصل : يقدر - غير هذه - اليد -

لذوانها - من

هذه الآية من ^(١) هذين الإسمين الإلهيين ^(٢) «
وقال في فص حكمة إمامية في كلمة هارونية : « اعلم أن وجود هرون كان من
حضرة الرَّحْمَتِ ^(٣) » ثم ذكر غضب موسى عليه السلام ، وأخذه بلحيته ، ثم قال
« وسبب ذلك عدم التثبُّتِ في النظر فيما كان في يديه بين الألواح ، التي ألقاها
من يده ، فلو نظر فيها نظرة تثبت لوجد فيها الهدى والرحمة ، فالهدى بيان ما وقع
من الأمر الذي أغضبه مما [هو] هرون برىء منه ، والرحمة بأخيه ^(٤) ، فكان
لا يأخذ بلحيته بمرأى من قومه مع كبره ، وأنه أسنُّ منه ^(٥) . »

تمجيد الصوفية لعبادة العجل

ثم قال : « وكان موسى عليه السلام أعلم بالأمر من هرون ، لأنه علم ما
عَبَدَهُ أصحابُ العجل ، لعلمه بأن الله قد قبضى ألا نعبد إلا إياه ، وما حكم الله
بشيء إلا وقع ، فكان عتبُ موسى أخاه هرون ؛ لما وقع [الأمر] في ^(٥) إنكاره
وعدم اتساعه ، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل
شيء ^(٦) . »

(١) في الأصل : في

(٢) ص ١٨٩ فصوص

(٣) ص ١٩١ فصوص

(٤) في الأصل : لأخيه

(٥) ص ١٩١ فصوص

(٥) في الأصل : من

(٦) ص ١٩٢ فصوص ، وقد خشي الزنديق من تعبيره الأول : « في كل شيء »
أن يتم بأنه حلولى ، لإفادة في معنى الظرفية ، أو أن يظن أخذ أن في كلامه مجازا
تقديره : يرى أثر قدرة الله في كل شيء . خشي هذا وذلك فعقبه بنص قاطع الدلالة
على معتقده إذ قال : بل يراه عين كل شيء ، ليؤكد لك إيمانه بوحدة الوجود
المادية والروحية .

بعض ما كُفِّر به العراقي ابن عربي

قال الشيخ زين الدين العراقي في جواب السؤال المذكور : « هذا الكلام كفر من قائله من وجوه :

أحدها : أنه نسب موسى عليه السلام إلى رضاه بعبادة قومه للعجل .
الثاني : استدلاله بقوله تعالى : (١٧ : ٢٣) وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه)
على أنه قَدَّر^(١) أن لا يُعْبَدَ إلا هو ، وأن عابد الصنم عابده ، الثالث : أن موسى

(١) يفسر الزنديق قضي بقدر وحكم ، ثم يستطرد فيقول : وكل ما قدره الله ، أو حكم به فلا بد من وقوعه ، ومما وقع عبادة العجل وعبادة الصنم ، والنار والكواكب وغيرها ، وهذا دليل على أن عبادة هذه الأشياء حكم إلهي قدره الله فوق ، ولما كان الله سبحانه لا يمكن أن يحكم بعبادة غيره ، بدليل : (لا تعبدوا إلا إياه) كان هذا دليلا على أن تلك العبودات ليست شيئا غير الله سبحانه ، بل هي عينه ، وعلى أن عابديها لم يعبدوا إلا الله ، هذا ما يهدف إليه ابن عربي من تفسيره لقضي : بقدر وحكم ، وإليك ما يرد به الشيخ الجليل ابن تيمية على تليس ابن عربي وبهتانه هذا : « احتج الملحدون بقوله : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) قالوا : وما قضي الله شيئا إلا وقع ، وهذا هو الإلحاد في آيات الله ، وتحريف الحكم عن مواضعه ، والكذب على الله ، فإن قضي هنا ليست بمعنى القدر والتكوين بإجماع المسلمين ، بل وإجماع العقلاء ، حتى يقال : ما قدر الله شيئا إلا وقع ، وإنما هي بمعنى : أمر . وما أمر الله به ، فقد يكون ، وقد لا يكون ، فندير هذا التحريف ، وكذلك قوله : ما حكم الله بشيء إلا وقع كلام مجمل ، فإن الحكم يكون بمعنى الأمر الديني ، وهو الأحكام الشرعية ، كقوله : (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، أحلت لكم بهيمة الأنعام) الآية . وكقوله : (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) ويكون الحكم حكما بالحق والتكوين والعقل ، كقوله : (لن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي ، أو يحكم الله لي) وقوله : (قل : رب احكم بالحق) ولهذا كان بعض السلف يقرأون (ووصى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) وذكروا أنها كذلك في بعض المصاحف ، ولهذا قال في سياق الكلام : وبالوالدين إحسانا . وساق أمره =

عليه السلام عتب على أخيه هرون عليهما السلام إنكاره لما وقع ، وهذا كذب
على موسى عليه السلام، وتكذيب لله فيما أخبر به عن موسى من غضبه لعبادتهم
العجل ، الرابع : أن العارف يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء ،
فجعل العجل عين الإله المعبود ، فليعجب السامع لمثل هذه الجرأة التي تصدر ممن
في قلبه مثقال ذرة من إيمان .

آيات تشهد بكفر ابن عربي

ثم ساق من الآيات (١) التي كذب بها في هذه المقالة (٢) قوله تعالى :
(٩٢:٢٠ ، ٩٣ ما منعك إذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعني) وقوله : (٧ : ١٥٠ بئسما
خلقتموني من بعدى) وقوله : (٧ : ١٤٨] واتخذ قوم موسى من بعده من
حليهم عجلا جسدا له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ، ولا يهديهم سبيلا [
اتخذوه ، وكانوا ظالمين (٣)) وقوله : (٧ : ١٥٢ إن الذين اتخذوا العجل سيفا لهم
غضب من ربهم ، وذلة في الحياة الدنيا ، وكذلك نجزي المفترين) . وقوله :

ووصاياهم إلى أن قال : (ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله
إلهًا آخر) فحتم الكلام بمثل ما فتحه به من أمره بالتوحيد ونهيه عن الشرك ،
ليس هو إخبارا أنه ما عبد أحد إلا الله ، وأن الله قدر ذلك وكونه ، وكيف ،
وقد قال : (ولا تجعل مع الله إلهًا آخر) وعندهم ليس في الوجود شيء يجعل إلهًا
آخر (فأى شيء ، عبد فهو نفس الإله ليس آخر غيره » ص ٨٨ ج ٤ مجموعة
الرسائل والمسائل .

(١) أي العراقي .

(٢) يقصد ما نسبته ابن عربي إلى موسى عليه السلام من الرضا بعبادة العجل ،
ونسبته الجهل إلى هرون باستنكاره لعبادة العجل ، وتصحيحه لعبادة العجل ،
وزعمه أنها عبادة لله ، إذ العجل ليس شيئا غير الإله المعبود

(٣) استشهاد العراقي بالآية مبتورة ، فذكرتها بتمامها لأنها نص في الحكم ،
ووضعت ما لم يستشهد به العراقي بين هذين []

(٧ : ١٤٩) ولما سُقِطَ في أيديهم ، ورأوا أنهم قد ضلوا ، قالو : لئن لم يرحمنا ربنا ، ويغفر لنا ، لنكوننَّ من الخاسرين .

شرك الصوفية أخبت الشرك

ثم قال^(١) : فجاء هذا المخالف لله ، ورسوله ولجميع المؤمنين ، فصوّب فعلهم ، وصرح بأنهم من العارفين بقوله : إن العارف من يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء ، ولا شك أن شرك قائل هذا أشد من شرك اليهود والنصارى فإن أولئك عبدوا عبداً من عباد الله المقر بين ، وهذا يرى أن عبادة العجل والصنم عين عبادة الله ، بل يؤدي كلامه إلى أن يرى الحق عين الكلب والخنزير ، وعين العذرة ، وقد أخبرني بعد الصادقين من فضلاء أهل [٣٢] العلم أنه رأى شخصاً يمتنّ ينتحل هذه المقالة القبيحة بشعر الإسكندرية ، وأن ذلك الشخص قال له : إن الله تعالى هو عين كل شيء ، فربهما حمار ، فقال^(٢) : وهذا الحمار؟! فقال^(٣) : وهذا الحمار ؛ فرَوِّث الحمار من دبره !!! فقال^(٤) له : وهذا الروث؟! فقال^(٥) : وهذا الروث !! فنسأل الله السلامة والتوفيق^(٦) .

(١) أي العراقي

(٢) ، (٤) يعني العالم الفاضل

(٣) ، (٥) أي الصوفي

(٦) ذكر الإمام ابن تيمية الصدوق مثل هذه القصة . فقال : « مر شيخان - منهم التلمساني والشيرازي على كلب أجرب ميت بالطريق عند دار الطعم ، فقال الشيرازي للتلمساني : هذا « يشير إلى جثة الكلب الميت الأجرب » أيضا هو ذات الله؟! فقال : وهل ثم شيء خارج عنها؟! نعم : الجميع ذاته » - ص ١٤٥ ، مجموعة الرسائل الكبرى ، ص ١٠٥ مجموعة الرسائل والمسائل ، وليس هذا بمستغرب ممن يدينون بأن الله سبحانه عين كل شيء ، فالروث شيء ، والجيفة المنتنة شيء ، والخنزير شيء ، والبغى المملوك شيء ، والأحمق السأفون شيء ، وحسب الصوفية أن تكون هذه بعض أربابهم وآلهم !!

تعليلهم لإنكار موسى على السامري

قال ابن عربي : وكان موسى يربي هرون عليهما السلام تربية علم ، وإن كان أصغر منه في السن ، ولذلك لما قال له هرون ما قال ، رجع إلى السامري ، فقال له : (٢٠ : ٩٥ فما خَطْبُكَ يا سامري ؟) يعني فيما صنعت من عدوك إلى صورة العجل على الاختصاص ، وصنعتك هذا الشبح من حلي القوم ، حتى أخذت بقلوبهم من أجل أموالهم^(١) ، وليس للصور بقاء ، فلا بد من ذهاب صورة العجل لو لم يستعجل موسى بحرقه ، فغلبت عليه الغيرة ، فخرقه ، ثم نسف رماد تلك الصورة في اليم [نسفا] ، وقال له : أنظر إلى إلهك ، فسماه^(٢) . إنها بطريق التنبيه ، للتعليم ؛ لما علم أنه^(٣) بعض المجالى الإلهية (لأخرقنه) فإن حيوانية الإنسان لها التصرف من حيوانية الحيوان ، لتكون الله سخرها للإنسان ، ولا سيما وأصله ليس من حيوان ، فكان أعظم في التسخير^(٤) .

(١) يريد الزنديق بهذا تصويب عبادة العجل ، فيزعم أن السامري لم يخطيء إلا في أنه فهم أن الذات الإلهية تعينت في العجل وحده ، فدعا قومه إلى عبادته لهذا ، على حين أن كل شيء - لا العجل وحده - هو الله ! ! فلو أن السامري كان عارفاً مكملًا لأمر قومه بعبادة كل شيء مع عبادة العجل ! ! بيد أن السامري عند ابن عربي أعرف بالحقيقة من هرون ، إذ علم - وهرون جهل - أن العجل إله حق يجب أن يعبد ، لأنه مجلى إلهي ! ! ثم يفسر الزنديق قول موسى للسامري : ما خطبك يا سامري . بما بيانه : لم دعوت قومي يا سامري إلى عبادة العجل وحده وأنت تعلم أنه ليس وحده كل تعينات الذات ، بل واحداً منها ، وتعلم أن كل شيء هو الله ؟ ! لم لم تدعهم يا سامري إلى الحق ، فيعبدوا كل شيء ، لا العجل وحده ؟ هذا هو دين الزنديق يا شيوخ الطرق ! !

(٢) ، (٣) الضمير فيهما راجع إلى عجل السامري

(٤) ص ١٩٢ فصوص

ثم قرر^(١) أمر التسخير ، وأن منه ما هو بالمال ، ومنه ما هو بالحال ، وأن ما هو بالحال مثل تسخير الطفل لأبيه بالقيام في مصالحه ، وتسخير الرعايا للملك بقيامه في مصالحهم - قال . « وهذا كله تسخير بالحال من الرعايا يُسَخَّرُونَ [في ذلك] مليكهم ، ويسمى على الحقيقة تسخير المرتبة ، فالمرتبة حكمت عليه بذلك ، فالعالم كله يُسَخَّرُ بالحال من لا يمكن أن يُطَلَقَ عليه إسم مُسَخَّرٍ . قال الله تعالى : (٥٥ : ٢٩ كل يوم هو [في] شأن) فكان عدم قوة إرداع هرون بالفعل أن ينفذ في أصحاب العجل بالتسليط على العجل ، كما سُلِّطَ موسى [عليه] حكمة من الله ظاهرة في الوجود ؛ ليعبد في كل صورة^(٢) ، وإن ذهبت تلك الصورة بعد ذلك ، فما ذهبت إلا بعد ما تَلَبَّسَتْ عند عابدها بالألوهية ، ولهذا ما بقي نوع من الأنواع إلا وعُبد ، وإما عبادة تَأَلُّهُ ، وإما عبادة تسخير ، فلا بد من ذلك لمن عقل ، وما عُبدَ شيء من العالم إلا بعد التلبُّس بالرفعة عند العابد ، والظهور بالدرجة في قلبه ، ولذلك تسمى الحق لنا برفيع الدرجات ، ولم يقل : رفيع الدرجة ، فَكَثَّرَ الدرجات في عين واحدة ، فإنه قضى ، أن لا يُعْبَدَ إلا إياه في درجات كثيرة مختلفة ، أعطت كل درجة مجلى إلهيا عُبدَ فيها .

الهوى رب الصوفية الأعظم

وأعظم مجلى عُبدَ فيه ، وأعلاه الهوى ، كما قال : (٤٥ : ٢٣ أفرأيت من اتخذ إليه هواه ؟) وهو أعظم معبود ، فإنه لا يُعْبَدَ شيء إلا بالله ، ولا يُعْبَدَ هو إلا بذاته^(٣) « ثم قال : « والعارف المكمل من رآه كل معبود مجلى للحق يُعْبَدُ .

(١) أى ابن عربى

(٢) يفترى على الله أنه يسخر الناس ليعبدوه في كل صورة ، أى ليعبد كل إنسان نفسه وغيره من جماد وحيوان فإنه الصوفية عين كل كائن ، وعين كل شهوة وعين كل جريمة . وعين كل فاحشة

(٣) ص ١٩٤ فصوص . وبهذا يوقن القارىء أننا لم نتجن على الصوفية ، فيما =

فيه ، ولذلك سموه كلهم : إلهامع اسمه الخاص بمجبر ، أو شجر ، أو حيوان ،
أو إنسان ، أو ملك ، أو كوكب^(١)

وحدة الأديان عند ابن الفارض

قلت : وإلى هذا [٣٣] أشار ابن الفارض بقوله :

فبي مجلس الأذكار سَمِعُ مطالع ولي حانة الخمار عين طليعة^(٢)
وما عقد الزنار^(٣) حكماً سوى يدي وإن حُلَّ بالإقرار بي ، فهى حَلَّتْ
وإن نار بالتمزبل محراب مسجد فما بار بالإنجيل هيكل بيعة
وأسفار توراة الكليم لقومه ينجى بها الأخبار في كل ليلة
وإن خرّ للأحجار في البُدَّ عاكف فلا تعدُّ بالإنكار بالعصية
فما زاغت الأبصار من^(٤) كل ملة وما راغت الأفكار من^(٥) كل نحلة
وما احتار من الشمس عن غرة صبا^(٦)
وما شراقها من نور إسفار غُرَّتني

وإن عبد النار المجوس وما انطقت
كما جاء في الأخبار في^(٧) ألف حجة

= ذكرناه عنهم ، فيها هو شيخهم الأكبر يدعوهم في تلظى شهواته الفواجر ، إلى
عبادة الهوى !! ويؤكد لهم أنه الرب الأعظم الذي اقترفه لهم هواه الصوفي !!
وهل الهوى العصوف سوى الشهوات العرايد ، والفسوق الغوى ، والفواحش
اليهم النزوات ؟

(١) ص ١٩٥ فصوص . وهذا نص صريح على دين الزنديق في وحدة الوجود

ووحده الأديان

(٢) (٤) (٥) في الأصل : طليع - في - في

(٣) ما على وسط النصارى والمجوس « القاموس »

(٦) مال

(٧) في الأصل : من .

فما عبدوا غيري^(١) ، وإن كان قصدم
سـواى وإن لم يعقدوا عقد نيتى
رأوا ضوء نارى مرة ، فتوهمو
هـ ناراً ، فضلوا فى الهدى بالأشعة

الإله الصوفى مجلى صور العالم

وقال^(٢) فى فص حكمة علوية فى كلمة موسوية : « وجود الحق كانت
الكثرة له ، وتعداد الأسماء أنه كذا ، وكذا بما ظهر عنه من المعالم الذى يطلب
بنشأته حقائق الأسماء الإلهية ، فثبت^(٣) به وبخالقه^(٤) أحدية الكثرة ، وقد كان
أحدى العين من حيث ذاته ، كالجوهر الهولانى^(٥) ، أحدى العين من حيث ذاته
كثير بالصور الظاهرة فيه التى هو حامل لها بذاته ، كذلك الحق بما ظهر منه من
صور التجلى ، فكان تجلى صور العالم مع الأحدية المعقولة^(٦) » .

حكم ابن عربى بإيمان فرعون ونجاته

ثم ذكر أخذ فرعون لتابوت موسى عليه السلام ، وأنه أراد قتله ، وأن
امراته رضى الله عنها قلت : (قرة عين لى ، ولك) فبه قررت عينها بالكمال الذى

(١) يحكم سلطان الزنادقة بأن أولئك جميعا ، وهم الجوس ، والوثنيون ،
واليهود ، والنصارى مؤمنون موحدون ، لم يعبدوا غير الله ، إذ كل ما أو من-
عبدوه ليس شيئا غير الله

(٢) أى ابن عربى

(٣) ، (٤) فى الأصل : فثبتت - ويخالفه

(٥) الجوهر الفرد ، أو الذرة ، أو الجزء الذى لا يتجزأ

(٦) ص ٢٠٠ فصوص

حصل لها ، كما قلنا^(١) . قال : « وكان قرّة عين لفرعون^(٢) بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق ، فقبضه طاهراً مطهراً ، ليس فيه شيء من الخبث ؛ لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئاً من الآثام ، والإسلام يجب ما قبله ، وجعله آية على عنايته سبحانه وتعالى بمن شاء ، حتى لا ييأس أحد من رحمة الله ، فإنه لا ييأس من رَوْح الله إلا القوم الكافرون^(٣) .

(١) في الأصل : كما شهد لها به رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وهو كما أثبتته في الفصوص

(٢) بهامش الأصل ورد ما يأتي : « وفي التنزيل قالت امرأة فرعون (قرّة عين لي ولك) إلا ولي « كذا » سمعه فرعون ، قال : قرّة عين لك ، وأمالي ، فلا . وفي الحديث : « والذي يحلف به لو أقر فرعون بأنه يكون له قرّة عين كما أقرت امرأته لهداه الله عز وجل به ، كما هداها ولكن الله سبحانه حرمه ذلك » - كذا في بعض التفاسير .

وأقول : الذي في تفسير ابن كثير : « فأنت - أي امرأة فرعون - فقالت : قرّة عين لي ولك ، فقال فرعون : يكون لك ، فأمالي ، فلا حاجة لي فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي يحلف به ، لو أقر فرعون أن يكون له قرّة عين كما أقرت لهداه الله كما هداها . ولكن حرمه ذلك » ثم قال ابن كثير : « وهو موقوف من كلام ابن عباس ، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه ، وكأنه تلقاه ابن عباس رضى الله عنهما مما أبيض نقله من الإسرائيليات عن كعب الأخبار ، أو غيره » وياويل المسلمين من كعب الأخبار ، والكعوب الكثيرين من أمثاله اليوم !

(٣) ص ٢٠١ فصوص . وقد جاء بهامش الأصل « أخرج الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال - لما أغرق الفرعونى : قال : آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل ، قال جبريل : يا محمد ، فلو رأيتنى وأنا آخذ من حال البحر فأدسه فى فيه مخافة أن تدركه الرحمة » أقول : الحديث رواه كذلك أحمد عن ابن عباس ، ونصه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال فرعون : آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل - قال : قال لى جبريل : لو رأيتنى ، وقد أخذت من حال البحر فدمسته فى فيه مخافة أن =

رد هذه الفرية

هذا نصه بحروفه مع العلم الضروري لكل من سمَّ راحة العلم من المسلمين وغيرهم أن فرعون ما نطق بالإيمان إلا عند رؤية البأس ، وتصريح الله تعالى في غير آية من كتابه العزيز بأنه لا ينفع أحداً إيمانه عند ذلك^(١) ، وأن ذلك سنة الله التي قد خلت ، ولن تجد لسنة الله تحويلاً ، وقوله في دعاء موسى عليه السلام (١٠ : ٨٨ فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) مع قوله تعالى . (١٠ : ٨٩ قد أُجيب دعوتكما) وقوله تعالى مُنْكَرًا عَلَيْهِ^(٢) : (١٠ : ٩١ الآن وقد عصيت قبل ، وكنت من المفسدين) وقوله : (٢٣ : ٤٨ فكذبوها ، فكانوا من المهلكين) [٣٤] وقوله تعالى : (١٠ : ٨٣ وإن فرعون لعالٍ في الأرض وإنه لمن السرفين) ، (٤٠ : ٤٣ وأن المسرفين هم أصحاب النار) المنتج^(٣) قطعاً أن فرعون من أصحاب النار . وأما السنة ، فقد روى عبد الله بن عمر رضی الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الصلاة يوماً ، فقال : « من حافظ عليها كانت

تتاله الرحمة » ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث حماد بن سلمة ، وقال الترمذي : حديث حسن . وانظر ابن كثير في تفسير الآية

(١) ورد بهامش الأصل ما يأتي : « وفي ذلك قوله تعالى : (٦ : ١٥٨ يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها ، لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً ، قل : انتظروا . إنا منتظرون) . . . والآية في هامش الأصل مبتورة الكلمات .

(٢) أي على فرعون إيمانه حين أدركه الفرق

(٣) فاعل المنتج ضمير يعود على محذوف تقديره : القياس ، فالمؤلف طوى في كلامه قياساً منطقياً من الشكل الأول صورته : فرعون مسرف ، كل مسرف من أصحاب النار ، وهذا ينتج قطعاً : فرعون من أصحاب النار ، دليل القضية الصغرى قوله تعالى (١٠ : ٨٣ وإن فرعون لعالٍ في الأرض وإنه لمن السرفين) ودليل الكبرى (٤٠ : ٤٣ وأن المسرفين هم أصحاب النار)

له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ، ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان ، وقارون ، وأبي بن خلف » قال الحافظ المنذرى : رواه أحمد بإسناد جيد والطبرانى فى الكبير والأوسط ، وابن ماجه صحيحه ، وقال الإمام أبو العباس ابن تيمية فى الفتوى التى أجاب فيها الشيخ سيف الدين بن عبد المطلب بن بليان السعودى : « ويكفيك معرفة بكفرهم - يعنى ابن عربى وأتباعه - أن أخف أقوالهم : أن فرعون مات مؤمناً ، وقد علم بالاضطرار عن دين أهل الملل المسلمين واليهود والنصارى أن فرعون من أكفر الخلق بالله .

سؤال فرعون وجواب موسى

ثم قال ابن عربى : « وهنا سرٌ كبير ، فإنه - أى موسى عليه السلام أجاب بالفعل لمن سأله عن الحد الذاتى ^(١) - أى بقوله : وما رب العالمين ، فجعل الحد

(١) الحد الذاتى هو أتم أقسام التعريف ، إذ يتركب من الذاتيات المشتركة ، والذاتيات الخاصة ، أو كما يعبر المناطقة : من الجنس والفصل القريين ، وبهذا الحد تعرف ماهية الشيء وحقيقته ، كما إذا أردنا تعريف المربع ، فإننا نقول : هو شكل رباعى أضلاعه متساوية ، وزواياه قائمة . وابن عربى فى حديثه عن المحاوراة بين موسى عليه السلام ، وبين فرعون ، يقول : إن فرعون سأل موسى عن الحد الذاتى لله ، أى عن حقيقته وماهيته . وهذا صحيح . فالسؤال بـ « ما » سؤال عن الماهية . بيد أن ابن عربى - وقد ذكر طرفاً من حق - بنى عليه باطلاً ، بما نسبته زوراً إلى موسى فى جوابه عن سؤال فرعون ، وقبل أن نبين لله هذا الذى بهت به الزنديق نبي الله ، نعرض عليك ما فسر به الزمخشري سؤال فرعون وجواب موسى ، فقد أجاد الزمخشري القول فى نباعة من الفهم : « وهذا السؤال « يعنى سؤال فرعون لموسى بقوله : ما رب العالمين » لا يخلو : إما أن يريد به : أى شيء هو من الأشياء التى شوهدت ، وعرفت أجناسها ؟ ! فأجاب - أى موسى - بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة ، ليعرفه أنه ليس بشيء مما شوهد وعرف من

الذاتي عين إضافته إلى مظهر به من صور العالم ، أو مظهر فيه من صور العالم ، فكانه قال في جواب قوله : ومارب العالمين . قال : الذي تظهر فيه صورة

الأجرام والأعراض ، وأنه شيء مخالف لجميع الأشياء ، ليس كمثل شيء ، وإما أن يريد به — أي بسؤاله — أي شيء هو على الإطلاق ؟ ! تفتيشا عن حقيقة الخاصة ما هي ؟ فأجاب بأن الذي إليه سبيل — وهو الكافي في معرفته — معرفة ثباته بصفاته ، استدلالا بأفعاله الخاصة على ذلك ، وأما التفتيش عن حقيقة الخاصة التي هي فوق فطر العقول ، فتفتيش عمالا سبيل إليه ، والسائل عنه متعنت غير طالب للحق ، والذي يليق بحال فرعون ، ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا إنكارا لأن يكون للعالمين رب سواه ، لادعائه الإلهية ، فلما أجاب موسى بما أجاب عجب قومه من جوابه ، حيث نسب الربوبية إلى غيره ، فلما ثنى بتقريره ، جننه إلى قومه ، وطنزه به « أي سحر واحتدم غيظا » حيث سماه : رسولهم ، فلما ثلث بتقرير آخر ، احتد واحتدم ، وقال : لئن اتخذت إلها غيري . وهذا يدل على صحة

هذا الوجه الأخير » انتهى من الكشف للزمخشري . غير أن الزنديق ابن عربي يفسر جواب موسى عليه السلام بما يتفق وهوى ذنفته ، وأسطورة الوحدة ، إذ يزعم أن جواب موسى على سؤال فرعون : ما رب العالمين ؟ ! هو : الذي تظهر فيه صورة العالمين ، من علو — وهو السماء — وسفل — وهو الأرض — ثم يقول بعد : فلما جعل موسى المسئول عنه عين صور العالم !! فتأمل كيف يفهم الزنديق ، وكيف يجعل الحق باطلا هذا العرييد الخبل !! آية صلة بين ما نسبه إفكا وبهتاننا وزورا إلى موسى عليه السلام ، وبين ما أجاب به موسى من إثراق الحق والإيمان والتوحيد ؟ ! وهو قوله : رب السموات والأرض ، وما بينهما ، وقوله : ربكم ورب آبائكم الأولين ، وقوله : رب المشرق والمغرب وما بينهما . يجيب موسى بأن الله وحده رب كل شيء ، فيفتري الزنديق على موسى بأنه أجاب : إن الله عين كل شيء ، وهكذا يفهم الصوفية — سلفا وخلقا — كتاب الله ، ويمثل هذا الأفق المجوسى يفسرون آيات الله ، ومع هذا ما زلت تجسد الأجبار مهطعين أذلاء لأبالسة التصوف ، بل تجسد قوما منهم يفخرون بأنهم أخذوا العهد على الأحداث من مخايل المتصوفة للمأفونين .

العالمين من علو - وهو السماء - وسفل - وهو الأرض - إن كنتم موقنين^(١) »

فرعون عند الصوفية رب موسى وسيده

ثم قال : « فلما جعل موسى المسئول عنه عين [صور] العالم^(٢) خاطبه فرعون بهذا اللسان - والقوم لا يشعرون - فقال [له] : (٢٦ : ٢٩) لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين) والسين في السجن من حروف الزوائد^(٣) »
أى : لأسترنك ، فإنك أجبت بما أيدتني به ، أن أقول لك مثل هذا القول .
فإن قلت لى : فقد جهلت يا فرعون بوعيدك إياى - والعين واحدة - فكيف فرقت ؟ فيقول فرعون : إنما فرقت المراتب العيرة^(٤) . ماتفرقت [العين] ، ولا انقسمت في ذاتها ، ومرتبتي الآن التحكم فيك يا موسى بالفعل ، وأنا أنت بالعين ، وغيرك بالرتبة^(٥) » - ثم قال : « ولما كان فرعون في منصب التحكم

(١) ص ٢٠٨ فصوص الحكم

(٢) من أين جاء الزنديق بهذا البهتان ؟ وجواب موسى مبدوء في كل مرة بتقرير ربوبية الله وحده ! ! ولكنها الجرأة الوقاح التي لا تحفل بدين ولا لغة ولا عقل ، ولا عرف عام أو خاص

(٣) بل السين في هذه الكلمة حرف أصلى ، مثلها في ستر ، وسبح ، وسبك

ولكن ابن عربي - وقد افترى على الله الكذب كله - لا يعجزه أن يفترى على اللغة

(٤) في الأصل : العين بالضم على اعتبار أنها فاعل فرقت . وهو خطأ صوته

من الفصوص . ويزعم الزنديق أن موسى قال لفرعون : كيف تتوعدنى ، وأنت

تعلم أن ذاتى هى ذاتك ، وهويتى هويتك ، لأنى وإياك عين الذات الإلهية ، وفى

وعيدك إياى إشعار لى بأنك تفهم أنى غيرك ، فكيف تفرق بين الرب وبين نفسه ؟

فقال فرعون : نعم أنا أنت يا موسى فى الحقيقة لأننا عين الذات ، غير أن الرب

المتعين فى له التحكم فى هويته التى تعينت فىك ، فأنا غيرك فى الرتبة ، وإن كنت أنا

عينك فى الحقيقة

(٥) ص ٢٠٩ فصوص

صاحب الوقت^(١) ، وأنه الخليفة بالسيف ، وإن جار في العرف الناموسي ،
لذلك قال : (٧٩ : ٢٤ أنا ربكم الأعلى) أى : وإن كان السكل أربابا بنسبة ما ،
فأنا الأعلى منهم ، بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيكم ، ولما علمت السحرة
صدقه فيما قاله ، لم ينكروه ، وأقروا له بذلك ، فقالوا له : (٢٠ : ٧٢ فاقض
ما أنت قاض ، إنما نقضى هذه الحياة الدنيا) فالدولة لك ، فصح قوله : أنا ربكم
الأعلى ، وإن كان عين الحق ، فالصورة لفرعون ، فقطع الأيدي والأرجل [٣٥]
وصلب بعين حق في صورة باطل^(٢) ، لنيل مراتب لاتنال إلا بذلك الفعل
[فإن الأسباب لا سبيل إلى تعطيلها ، لأن الأعيان الثابتة اقتضتها ، فلا تظهر
في الوجود إلا بصورة ماهي عليه في الثبوت] ، إذ لا تبديل لكلمات الله ، وليس
كلمات الله سوى أعيان الموجودات^(٣) ، فينسب إليها القديم من حيث ثبوتها ،
وينسب إليها الحدوث من حيث وجودها وظهورها ، كما تقول : حدث اليوم

(١) عرف الصوفية صاحب الوقت بأنه : « هو المتحقق بجمعية البرزخية ، المطلع
على حقائق الأشياء ، الخارج عن حكم الزمان وتصرفات ماضيه ومستقبله إلى الآن
الدائم ، فهو ظرف أحواله وصفاته ، فلذلك يتصرف في الزمان بالظن والنشر ، وفي
المكان بالقبض والبسط ، لأنه المتحقق بالحقائق والطبائع في القليل والكثير
والطويل والقصير والعظيم والصغير سواء ، إذ الوحدة والكثرة والمقادير كلها
عوارض ، فكما تصرف في الوهم فيها ، كذلك في العقل ، فصدق وافهم تصرفه
فيها في الشهود والكشف والصرح ، فإن المتحقق بالحق ، المتصرف بالحقائق يفعل
ما يفعل في طور وراء طور الحس والوهم والعقل ، ويتسلط على العوارض بالتغيير
والتبديل » جامع الأصول في الأولياء ط ١٣٢٨ للسكمشخانلى

(٢) يزعم أن فرعون حين صلب كان هو الله في الحقيقة متعينا في صورة باطلة

هي صورة خلقية سميت فرعون

(٣) أبى الزنديق إلا أن يكون كفره أشد خبثا من كفر النصارى ، إذ زعموا
أن حكمة الله تجسدت في عيسى ، وزعم هو أن أعيان الموجودات كلها هي
تجسدت كلمات الله ، أو هي كلمات الله تعينت أجسادا ، أو هي الله سبحانه

عندنا إنسان ، أو ضيف ، ولا يلزم من حدوثه أنه ما كان له وجود قبل
الحدوث^(١) .

حكم من ينسب ربوبية إلى فرعون

قال الشيخ زين الدين العراقي : « قوله في قول فرعون : أنا ربكم الأعلى :
أنه صحح قوله ذلك ، مستدلاً عليه بأن السحرة صدقوه - كذب وافترأ على
السحرة ، فلقد كذبوه ، وخالفوه ، ودعواه كاذبة ، وبها أخذ الله فرعون وأهلكه ،
فقال تعالى حكاية عنه : (٧٩ : ٢٤ ، ٢٥ فقال : أنا ربكم الأعلى ، فأخذ الله
نكال الآخرة والأولى) ثم قال : ولا شك أن من صح أنه قال هذا ، واعتقده ،
مع وجود عقله ، وهو غيره مكره ، ولا مجبر الإجمار المجوز للكفر ، فهو كافر
ولا يقبل منه تأويلها على ما أراد ، ولا كرامة ، كما قدمنا ذكره ، وهذا ما لا نعلم
فيه خلافاً بين العلماء بعلوم الشريعة المطهرة في مذاهب الأئمة الأربعة ، وغيرهم
من أهل الاجتهاد والصحيح . والله أعلم . »

وهذا كما ترى مبطل لما يقوله بعضهم من الخرافات في تأويله ستر الكفر ،
وأن المراد به : فرعون النفس ؛ لأنه نزل قوله على جل آيات القرآن جملة جملة ،
ومن المقطوع به أن الله تعالى ما أنزل هذه الآيات إلا في فرعون موسى .

تحريم التأويل

ولهذا قال الغزالي في الطامات من كتاب العلم من الإحياء - بعد تحريم
التأويل بما لا تسبق الأفهام إليه - مانصه : « وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانه
قطعا ، كتأويل فرعون على القلب ، فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا وجوده ،
ودعوة موسى عليه السلام له ، كأبي جهل ، وأبي لهب ، وغيرهما من الكفار

(١) ص ٢١٠ فصوص الحكم

وليس من جنس الشياطين والملائكة ، وما يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه^(١) » انتهى .

رأى ولد العراقي في الفصوص والتائية

وقال الإمام ولي الدين أحمد العراقي^(٢) ابن الشيخ زين الدين المذكور في المسألة الحادية والعشرين من فتاويه المكية مانصه : « لاشك في اشتغال الفصوص المشهورة عنه على البكفر الصريح الذي لاشك فيه ، وكذلك فتوحاته المكية ، فإن صح صدور ذلك عنه ، واستمر إلى وفاته ، فهو كافر مخلد في النار بلا شك ، وقد صح عندي عن الحافظ المزى^(٣) أنه نقل من خطه في تفسير قوله تعالى : (٢ : ٦) إن الذين كفروا سواء عليهم [أأنذرتهم ، أم لم تنذرهم لا يؤمنون] (٤) كلاما ينبو عنه السمع ، ويقتضى الكفر ، وبعض كلماته لا يمكن تأويلها^(٤) ،

(١) الغزالي نفسه في كتبه المضمون بها على غير أهلها من أشد المفرطين الغالين في التأويل ، بل من أشدهم جرأة على تجريد الألفاظ من معانيها ، ثم تحميل الألفاظ معاني باطنية ، لا تقرها دلالة من الدلالات اللغوية

(٢) كنيته : أبو زرعة . ولد سنة ٧٦٢ هـ ، وتوفي سنة ٨٢٦ هـ .
(٣) هو الحافظ الجليل يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن عبد الملك ، أبو الحجاج جمال الدين . ولد سنة ٦٥٤ بالمقلية بظاهر حلب . سمع منه ابن تيمية — وقد أودى المزى بسببه — والنهبي ، وابن سيد الناس . توفي سنة ٧٤٢ هـ .
(٤) جاء بهامش الأصل : « قال — يعني ابن عربي — عليه من الله ما يستحق . قال الله تعالى : (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ، أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، حتم الله على قلوبهم ، وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم) . . . إيجاز البيان فيه : يا محمد إن الذين كفروا ستروا محبتهم في عنهم ، فسواء عليهم أأنذرتهم بوعيدك الذي أرسلناك به ، أم لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك ، فإنهم لا يعقلون غيري ، وأنت تنذرهم بخلقى ، وهم ما عقلوه ، ولا شاهدوه ، وكيف يؤمنون بك . وقد ختمت على قلوبهم . فلم أجعل فيها متسعا لغيري . وعلى سمعهم . =

والذي يمكن تأويله منها كيف يصار إليها مع مرجوحية التأويل ، وأن الحكم إنما يترتب على الظاهر ، وقد بلغني عن الشيخ علاء الدين القونوي - وأدراكنا أصحابه - أنه قال في مثل ذلك : إنما يؤول كلام المعصومين ، وهو كما قال « [٣٦] ثم ذكر كلام الذهبي^(١) فيه ، وساق الأسانيد إلى ابن [عبد] السلام^(٢) بما يأتي عنه من تكفيره ، ثم قال : « وأما ابن الفارض ، فالإتحاد في شعره ، وأمرنا أن نحكم بالظاهر ، وإنما تؤول كلام المعصومين ، لكن علماء عصره من أهل الحديث رووا عنه في معاجمهم ، ولم يترجموه بشيء من ذلك ، فقال الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذرى^(٣) في معجمه : الشافعي الأديب^(٤) سمع من

= فلا يسمعون كلاما إلا منى . وعلى أبصارهم غشاوة من [بهائي عند] مشاهدتي . فلا يبصرون غيرا . ولهم عذاب عظيم عندي أردم بعد هذا المشهد السني إلى إنذارك . وأحجبهم عنى كما فعلت بك بعد قاب قوسين أو أدنى [قربا] وأنزلتك إلى من يكذبك . ويرد [ما جئت به إليه من] الكلام في وجهك . وتسمع في ما يضيق به صدرك . فأين ذلك الشرح الذي شاهدته في إسرائيل . فهكذا إيمانى على خلق الدين أجنبيهم رضائى ، فلا أسخط عليهم أبدا - إلى آخر ما ذكره بعده ذكر ذلك في الباب الخامس من الفتوحات المكية « انتهى .. وأقول : وقد راجعت هذا على الفتوحات ، وأثبت عنها ما سقط من كتاب الهامش ، ووضعته بين هذين [] (١) هو الحافظ الجليل محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله شمس الدين الذهبي ولد سنة ٦٧٣ يقول عنه طاش كبرى زاده : كان إمام الوجود حفظا ، وذهب العصر لفظا ومعنى ، شيخ الجرح والتعديل ، ورجل الرجال في كل سبيل . توفى سنة ٧٤٨ هـ

(٢) هو عبد العزيز بن عبد السلام أبو محمد عز الدين . ولد سنة ٥٧٨ ، ومن تلاميذه ابن دقيق العيد - وهو الذى لقب العز بسلطان العلماء - وتوفى سنة ٦٦٠ هـ (٣) ولد سنة ٥٨١ ومن مصنفاته مختصر سنن أبي داود - نشرته مطبعة السنة المحمدية في طبعة جيدة التحقيق والطبع - ومختصر مسلم ، والترغيب والترهيب . توفى سنة ٦٥٦ هـ

(٤) يعنى ابن الفارض

أبي القاسم ابن عساكر ، وحدث : سمعت شيئا من شعره . وقال الحافظ رشيد الدين العطار في معجمه : الشيخ الفاضل الأديب كان حسن النظم متوقد الخاطر ، وكان يسلك طريق التصوف ، وينتحل مذهب الشافعي ، وأقام في مكة مدة ، وصحب جماعة من المشايخ . . . وقال الحافظ أبو بكر بن مسدي^(١) : برع في الأدب ، فكان رقيق الطبع ، عذب النبع ، فصيح العبارة ، دقيق الإشارة ، سلس القيادة ، نبيل الإصدار والإيراد ، وتصرف فتصوف ، فكان كالروض الفوّف ، وتخلق بالزّي ، وتزيا بالخلق ، وجمع كرم النفس كل مفترق . انتهى كلام الشيخ ولي الدين . وما قاله هؤلاء الأئمة ليس فيه مناقضة لكلامه أولا في الحكم عليه بالاتحاد ، فإنهم لم يقضوا على التائبة ونحوها ، وأما قوله : إن صح ذلك عنه ، فهو على طريق من يعتبر في الكتب المشهورة إسنادا خاصا ، وهي طريقة غير مرضية^(٢) ، والصحيح أنها لا تحتاج إلى ذلك ، بل الشهرة كافية^(٣) ، والله الموفق .

رأى السكوتى

وقال الإمام أبو علي ابن خليل السكوتى في كتابه : تحت العوام ، فيما يتعلق

(١) هو محمد بن يوسف الأزدي الفرناطى قتل بمكة سنة ٦٦٣ . قال عنه

الذهبي : « له أوهام ، وفيه تشيع ، ورأيت جماعة يضعفونه

(٢) في الأصل : غير ضية .

(٣) ثبوت نسبة التائبة إلى ابن الفارض حقيقة لا ينتطح فيها عريان . ونحن

لا يعنينا كونها له ، أو لغيره ، ما دام الصوفية أنفسهم ، يقرون بنسبتها إليه ،

ويدنون بما فيها ، بل ما سموه سلطان العاشقين إلا بها ، ويؤمنون بأنها أروع

تعبير عن الحب الإلهي الذي يجعل الحب عين الحب وعين الحبيب ، ولكن ليغضب

الصوفية لسلطان عاشقهم ما شاءوا ، وليتهموا منتقديه بعمى البصيره ، فكل هذا

الدوى الراعد الجبانة لن يضع دوى الحق معلنا في قوة وشجاعة وإيمان أن تصوف

ابن الفارض ما هو إلا أخبث تعبير عن الزندقة

بعلم الكلام . بعد أن حذر من ابن عربي وأتباعه ، فقال : « وليحترز من مواضع كثيرة من كلام ابن عربي الطائى فى فصوصه وفتوحاته المكية ، وغيرها وليحترز أيضا من مواضع كثيرة من كلام ابن الفارض الشاعر وأمثاله ، مما يشيرون بظاهره إلى القول بالحلول والاتحاد ، لأنه باطل بالبراهين القطعية - ثم قال : وكل كلام وإطلاق يوهم الباطل ، فهو باطل بالإجماع ، فأحرى وأولى بطلانه إذا كان صريحا فى الباطل ، فإن قالوا : لم نقصد بكلامنا ورموزنا وإشاراتنا الاتحاد ، والحلول ، وإنما قصدنا أمرا آخر يفهم عنا ، قلنا لهم : الله أعلم بما فى الضمائر ، وما يخفى فى السرائر ، وإنما اعتراضنا نحن الألفاظ والإطلاقات التى تظهر فيها الإشارات إلى الإلحاد ، والحلول ، والاتحاد ^(١) » انتهى .

حكيم من يؤول للصوفية كلامهم

والفيصل فى قطع التأويل من أصله أن محقق زمانه وصالحه علاء الدين محمد البخارى الحنفى ذكر عنده ابن عربى هذا ، فقال قاضى المالكية إذ ذاك شمس

(١) الذى لا يحاسب على ما ينطق به هو المكروه ، أو المجنون ، وهؤلاء ليسوا بمكروهين ، فما ثم من يكرههم على الزندقة ، بل كان ثم من يكرههم على الإيمان ، فلم يحاولوا . وليسوا بمجانين . بإقرار عابديهم ، وبديل تلك الامة المستلثة فى الكيد للإسلام ابتغاء صرف الأمة عنه ، وابتغاء تمجيد الوثنية والإباحية ، وإعلاء شهواتهما . كل هذا وهم يلبسون مسوح القديسين والزهاد ، زاعمين أنهم الأرواح المطلقة التى تفرد فى أقداس الجمال المطلق . فلم يبق إلا أن يكون لهم باعث وغاية ، تلك هى القضاء على الإسلام . ألم تر إلى الزنادقة ، كيف ياجون فى دعوة الناس إلى عبادة القبور ، والضراعة إلى الرمم ؟ وكيف لا يشغلون ليالهم الساهرة على الإلحاد إلا بهذا ، ولا الناس معهم إلا بتلك الوثنية . كل هذا ليدكوا - وما هم ببالغيه - أساس الإسلام المتين ، وهو التوحيد ؟

الدين محمد البساطي^(١) : يمكن تأويل^(٢) كلامه . فقال له البخاري : كفرت . وسلم له أهل عصره ممن كان في مجلسه ، ومن غيرهم ، وما طعن أحد منهم فيه بكلمة واحدة ، وقد كان منهم حافظ العصر قاضي الشافعية بها شهاب الدين أحمد ابن [٣٧] حجر ، وقاضي القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهني ، وقاضي القضاة محمود العمري الحنفي ، والشيخ يحيى السيرامي الحنفي ، وقاضي القضاة محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادي الحنبلي ، وزيد الدين أبو بكر القمعي الشافعي ، وبدر الدين محمد بن الأمانة الشافعي ، وشهاب الدين أحمد بن تقي المالكي^(٣) ، وغيرهم من العلماء والرؤساء ، وما خلص البساطي من ذلك إلا بالبراءة من اعتقاد الاتحاد ، ومن طائفة الاتحادية ، وتكفيره لمن يقول بقولهم .

(١) هو محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله شمس الدين . ولد سنة ٧٦٠ هـ وتولى القضاء بمصر عشرين سنة . توفي سنة ٨٤٢ هـ

(٢) في محاولة الدفاع عن الصوفية بالتأويل حجة بالغة على أن كلام الصوفية يخالف الحق من الكتاب والسنة ، وإلا ما لجأ أحلاسهم إلى دعوى إمكان التأويل

(٣) هو كما يقول صاحب الشذرات : شيخ الإسلام علم الأعلام حافظ العصر شهاب الدين أبو الفضل الشهير بابن حجر نسبة إلى آل حجر الكنتاني العسقلاني الأصل المصري المولد والدار والنشأة والوفاة . ولد سنة ٧٧٣ هـ وتوفي سنة ٨٥٢ هـ

والتفهني نسبة إلى تفهين قرية بمصر . ولد سنة ٧٦٥ هـ تقريبا ، وتوفي سنة ٨٣٥ هـ والعيني ولد سنة ٧٦٢ هـ تولى منصب قاضي القضاة الحنفية بمصر توفي سنة ٨٨٥ هـ والسيرامي شيخ الشيوخ بمدرسة الظاهر برقوق . ولد قبل الثمانين وسبعائة وتوفي سنة ٨٣٣ هـ . والبغدادي كان شيخ الحنابلة في عصره ومفتي الديار المصرية ولد سنة ٧٦٥ هـ . وتوفي سنة ٨٤٤ هـ

والقمعي ولد سنة ٧٥٨ هـ ولى تدريس الصلاحية بالقدس والمنصورية والشريفية وتوفي سنة ٨٣٣ هـ . الحنفي ، المعروف بـ الحنفي ، ولد سنة ٧٥٨ هـ وتوفي سنة ٨٣٣ هـ

والمفتي المالكي ولد بـ قفة سنة ٧٨٥ هـ تقريبا . وتوفي سنة ٨٤٢ هـ

أوهام الصوفية في الحكم بإيمان فرعون

ثم قال ابن عربي : « وأما قوله : (٤٠ : ٨٥ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ، سنة الله التي قد خلت في عباده) ، (إلا قوم يونس^(١)) فلم يدل ذلك على أنه لا ينفعهم في الآخرة ، بقوله في الاستثناء : إلا قوم يونس . فأراد أن ذلك لا يرفع عنهم الأخذ في الدنيا ، فلذلك أخذ فرعون مع وجود الإيمان منه^(٢) »
ثم قال : « فأمن بالذي آمنت به بنو إسرائيل على التيقن بالنجاة ، فكان كما تيقن ، لكن على غير الصورة التي أراد ، فنجاه الله من عذاب الآخرة في نفسه ، ونجى بدنه ، كما قال تعالى : (١٠ : ٩٢ فالיום ننحيك بيدنك] لتكون لمن خلفك آية) لأنه لو غاب بصورته ربما قال قومه : احتجب ، فظهر بالصورة المعهودة مَيِّتاً ، ليعلم أنه هو [فقد عمته النجاة حساً ومعنى ، ومن حقت عليه كلمة العذاب الأخرى^(٣) لا يؤمن ، ولو جاءت كل آية (حتى يروا العذاب الأليم) أى يذوقوا العذاب الأخرى^(٤) ، فخرج فرعون من هذا الصنف . هذا هو الظاهر الذى ورد به القرآن ، ثم إنا نقول بعد ذلك : والأمر فيه إلى الله ، لما استقر في نفوس عامة الخلق من شقائه ، وما لهم نص في ذلك يستندون إليه^(٥) » انتهى - وقد تقدم النص المنتج قطعاً بديهية أنه من أهل النار . ثم قال : « ثم لتعلم^(٦) أنه

(١) يعنى قوله سبحانه : (١٠ : ٩٨ فلولا كانت قرية آمنت ، فنفعها إيمانها إلا قوم يونس . لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ، ومتعناهم إلى حين)

(٢) ص ٢١١ فصوص

(٣) ، (٤) في الأصل : الأخرى

(٥) ص ٢١٤ فصوص ، وليس بعجيب أن ينكر الزنديق وجود نص في القرآن يدل على أن فرعون من أصحاب النار !! وقد ذكر في هذا النص نفسه أن فرعون

هو الرب الأعلى ، وأنه أعظم من موسى

(٦) في الأصل : وليعلم

ما يقبض الله أحداً إلا وهو مؤمن، أي مصدق بما جاءت به الأخبار الإلهية، أعني من المحتضرين ، ولهذا يُكره الموت الفجاءة ، وقتل الغفلة^(١) « ثم قال : « وأما حكمة التجلي والكلام في صورة النار ، فلأنها كانت بغية موسى ، فتجلى له في مطلوبه^(٢) » ثم قال : كمنار موسى، رآها^(٣) عيرة حاجته وهو الإله، ولكن ليس يدريه .

افتراء على الرسول صلى الله عليه وسلم

وقال في فص حكمة فردية في كلمة^(٤) محمدية : « وإنما حجب إليه النساء ، فحنَّ إليهن ؛ لأنه من باب حنين الكل إلى جزئه^(٥) ، فأبان بذلك عن الأمر

(١) ، (٢) ص ٢١٢ فصوص

(٣) في الأصل : يراها

(٤) نسبة لا إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، بل إلى الحقيقة المحمدية التي يزعم الصوفية أنها هي الذات مع اليقين الأول ، وأنها هي اسم الله الأعظم ، وإذا كان كل شيء عند الصوفية هو أحد تعينات الذات الإلهية ، فإن محمدم - وحاشا رسولنا الأمين صلى الله عليه وسلم - هو صور الحق كلها ، لتحقيقه بالحقيقة الأحادية والواحدية (٥) محمد كما سبق هو صور الحق كلها عند الصوفية ، والنساء عند الصوفية هن أجمل تعينات الذات الإلهية ، لهذا حن محمد الذي هو الكل إلى بعض تعيناته أو أجزائه ، هكذا يصور الصوفية العلاقة بين ربهم المتعين في محمد ، وبين ربهم المتعين في صور النساء ، ولحب عندهم ناحيتان . إحداهما شوق الحق إلى الخلق ، وأخرهما : شوق الخلق إلى الحق ، وشوق الحق له اعتباران أو مظهران . أحدهما : اشتياقه إلى الظهور بعد البطون ، أو التقييد بعد الإطلاق ، وهذا يكون بتعيينه في صور بدنية عنصرية . وأما آخرهما . فاشتياقه إلى العودة إلى الإطلاق ، أو التجرد بعد التعيين ، فربهم دائماً مشدود العاطفة بين الإطلاق ، وبين التقييد ، أو بين المرتبتين : الحقيقة والخلقية . أما شوق الخلق إلى الحق فله مظهر أو اعتبار واحد ، هو التجرد من الصور الخلقية ، ليعود حقا ، أو وجودا مطلقا كما كان قبل تعيينه ، وليس اشتياق أحدهما اشتياق الشيء إلى غيره ، بل إلى نفسه ، ودأما ترى زعماء =

في نفسه من جانب الحق في قوله في هذه النشأة الإنسانية العنصرية : ونفخت فيه من روحي . ثم وصف نفسه بشدة الشوق إلى لقائه ، فقال للمشتاقين : ياد اود إلى أشد شوقاً إليهم^(١) .

التليث عند الصوفية

ثم ذكر العبد المؤمن ، وأنه لا يرى ربه إلا بعد الموت ، فاشتاق الحق لوجود هذه النسبة ، يعنى رؤية المؤمن له تعالى بالموت ، ثم قال : « فلما أبان أنه نفخ فيه من روحه ، فما اشتاق إلا إلى نفسه ، ألا تراه خلقه على صورته ، لأنه من روحه ، ولما كانت نشأته من هذه الأركان الأربعة المسماة [٣٨] في جسده^(٢) أخلاطاً حدث عن نفخة اشتعال بما في جسده من الرطوبة ، فكان روح الإنسان ناراً ، لأجل نشأته ، ولهذا ما كلم الله تعالى موسى إلا في صورة الذار [وجعل حاجته فيها ، فلو كانت نشأته طبيعية ، لكان روحه ناراً] ، وكفى عنه بالنفخ يشير إلى أنه من نفس الرحمن^(٣) ، فإنه بهذا النفس الذى هو النفخة ظهر عينه [وباستعداد المنفوخ فيه كان الاشتغال ناراً لا نوراً] فبطن نفس الرحمن فيما كان

== الصوفية يلهجون بذكر النساء ، ويرونهن أكمل وأجمل وأتم تعيينات الذات الإلهية ومجالها ، كما رأيت من ابن الفارض وابن عربي ، وكما سترى بعد . وهذا يجعلك تؤمن بأن هناك في أعماق التصوف حيواناً ضارياً يستعبده الشبق والغلة الداعرة ، ويستعلن دائماً بالصريح الملتب عما يزلله من رجفات الشهوات العارمة ، وينزو بعربده على كل مقدسات الدين ومحارم الفضيلة ، وتؤمن كذلك أن من مقومات التصوف عبادة المرأة ، وتعرف عن يقين لماذا يبحث الصوفية عن درويشات يسلكن معهم طريق القوم !!

(١) ص ٢١٥ فصوص

(٢) في الأصل : جسده

(٣) في الأصل : الحق

[به] الإنسان إنساناً ، ثم اشتق له [منه] شخصاً على صورته سماه : امرأة ، فظهرت بصورته ، فحن إليها حنين الشيء إلى نفسه ، وحنفت إليه حنين الشيء إلى وطنه ، فحببت^(١) إليه النساء ، فإن الله أحب من خلقه على صورته ، وأسجد له ملائكته [النوريين على عظم قدرهم ومنزلتهم ، وعلو نشأتهم الطبيعية] فن هناك وقعت المناسبة ، والصورة أعظم مناسبة ، وأجلها وأكملها ، فإنها زوج أي شفعت وجود الحق ، كما أن هناك المرأة شفعت بوجودها الرجل ، فصيرته زوجاً ، فظهرت^(٢) الثلاثة : حق ورجل وامرأة^(٣) . فحن الرجل إلى ربه الذي هو أصله حنين المرأة إليه ، فحبب إليه ربه النساء ، كما أحب الله من هو على صورته^(٤) « انتهى وقد علم من هنا قطعاً أنه يريد بالصورة في خلق آدم على صورته معناها المتعارف^(٥) !!

رب الصوفية امرأة

ثم قال : « فإذا شاهد الرجل الحق في المرأة كان شهوداً في منفعل ، وإذا شاهده في نفسه من حيث ظهور المرأة عنه شاهده في فاعل ، وإذا شاهده في نفسه من [غير] استحضار صورة ما كان شهوداً^(١) في منفعل عن الحق بلا واسطة ، فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل ، لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل

(١) ، (٢) في الأصل : فحبت - ظهره

(٣) هذا هو التثليث عند ابن عربي ، وهو بعض ما استمده من المسيحية للفلسفة ، بيد أنه زاد الكفر شناعة ، فقال بثالوث هو « حق ورجل وامرأة » الثلاثة إله واحد

(٤) ص ٢١٦ فصوص

(٥) لا بل يريد بالصورة غير هذا ، يريد بها هوية الذات ، يعنى أن هوية آدم وماهيته عين هوية الحق وماهيته

(٦) في الأصل : شهوده

منفعل^(١) ، ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة ، فلهذا أحب صلى الله عليه وسلم النساء ؛ لسكمال شهود الحق فيهن ، إذ لا يشاهدُ الحق مجرداً عن المواد أبداً^(٢) ، فإن الله بالذات غنى عن العالمين ، وإذا^(٣) كان الأمر من هذا الوجه ممتنعاً ،

(١) الرجل والمرأة عند ابن عربي صورتان من صور الله ، يعني حقيقته تتجلى في صورتى رجل وامرأة ، وفي حال الواقعة يسمى الرجل فاعلاً ، والمرأة منفعلة . ويدين الزنديق بأن ربه فاعل منفعل معاً ، فهو فاعل لتعينه في صورة رجل ، وهو منفعل لتعينه في صورة امرأة مع رجل . ولما كانت المرأة - هكذا يصور الزنديق - تعتبر فاعلة ، لشدة تأثيرها في الرجل في تلك الحال العاصفة بالشهوة ، فإن شهود الإله الصوفي في المرأة المملوك أتم وأكمل ، إذ يشاهد فيها في صورة فاعل ومنفعل . وهنا يبدو خطر التصوف الجامح على الخلق والعرض والأمة ، ماذا يفعل الصوفي وهو يؤمن أن المرأة هي أتم وأكمل مجالى الإله ؟ ماذا سيحدث منه وهو يوقن أن ربه امرأة يواقعها رجل ؟ ! اعفنى من الجواب ، لأنك ستدرك الجواب ، ستدرك أن التصوف دعوة ملحة إلى الإباحية الملاجئة ! ! وهذا يؤكد لك ما قررته من قبل ، وهو أن لحيوان الشهوة المعربد في أعماق ابن عربي أثراً بعيداً في تصوفه ، فقد تدله - وهو بمكة حين زارها سنة ٥٩٨ هـ - بحب غانية هي ابنة الشيخ مكين الدين الأصفهاني ، ولكنها لم تهتد من نزوانه الفواجر ، ولم ترد غلة ذئبه الظامىء إلى الدم ، فنظم - يستدرجها إلى الغواية - فيها ديوان شعره المسمى : ترجمان الأشواق ، وابن عربي نفسه يقر بأنه نظم ديوانه هذا تشبياً بتلك الغانية القتول ، وحين عصفت الفضيحة بهواه ، فرها ربا من مكة ، حتى لا يجابه عار الفضيحة ، بيد أن الهوى ظل يعصف به ، ويلهبه . وثمت نفس عن جسيمه بخيالات زندقته ، فراح يصور ربه في صورة امرأة ، ويزعم أنه يتجلى - أجمل وأحلى ما يتجلى - في صورة امرأة تقترف . كل هذا من أجل امرأة لم تستطع شهوته أن تضرس منها اللحم ، وتعرق العظم

(٢) أى لا بد للاله الصوفي من جسد يتعين فيه ، فتأمل ! !

(٣) في الأصل : فإذا

(٣) في الأصل : فإذا

ولم تكن الشهادة إلا في مادة ، فشهود الحق في النساء أعظم الشهود (١)
وأكمله [وأعظم الوصلة النكاح (٢)] وهو نظير التوجه الإلهي على من خلقه
على صورته ، ليخلفه ، فيرى فيه نفسه ، فسوّاه ، وعدّله ، ونفخ فيه من روحه
الذي هو نفسه ، فظاهره خلق ، وباطنه حق (٣) .
وهذا يدلّك على أن الإله عنده كالسكلى الطبيعي (٤) ، لا وجود له إلا في
ضمن جزئياته ، والله الموفق .

ثم قال : « فمن أحب النساء على هذا الحد ، فهو حب إلهي ، ومن أحبهن
على جهة الشهوة الطبيعية خاصة نقصه علم هذه الشهوة ، فكان صورة بلا روح
عنده ، وإن كانت تلك الصورة في نفس الأمر ذات روح ، ولكنها غير مشهودة
لمن جاء لامرأته ، أو لأثني حيث كانت مجرد الالتذاذ ، ولكن لا يدري : لمن ؟!
فجهل من نفسه ما يجهل الغير منه ما لم يسمه هو بلسانه حتى يعلم ، كما قال بعضهم :
صح عند الناس أني عاشق غير أن لم يعرفوا عشقي لمن
كذلك هذا . أحب الالتذاذ ، فأحب [٣٩] المحل الذي يكون فيه ،
وهو المرأة ، ولكن غاب عنه روح المسألة ، فلو علمها ، لعلم بمن التذ ، ومن
التذ ؟! (٥) وكان كاملا ، وكما نزلت المرأة عن درجة الرجل بقوله : (٢ : ٢٨٨

(١) في الأصل : شهود

(٢) يعني به : ماله من معنى في أذهان العامة ، لا الزواج

(٣) ص ٢١٧ فصوص الحكيم

(٤) السكلى هو ما لا يمنع نفس تصويره من وقوع الشركة فيه ، كالإنسان ،
ويسمى كليا طبيعيا باعتبار وجوده في الخارج أي في الطبيعة ، والسكلى الطبيعي
جزء جزئي ، فلا وجود له إلا في ضمن جزئياته ، أعني ليس له وجود خاص به ،
فإن بذاته ، وإنما يوجد بوجود أفراد . وهكذا الإله الصوفي .

(٥) يقول : لو تأمل الرجل الملتذ بالمرأة ، لعلم أنه ليس مع امرأة ، بل مع
الإله الصوفي ، وأنه ليس هو الملتذ ، بل الإله الذي تعين فيه ، وأعتذر للقراء عن =

وللرجال عليهن درجة) نزل المخلوق على الصورة عن درجة من أنشأه على صورته ، مع كونه على صورته ، فبتلك الدرجة التي تميز عنه بها كان غنياً عن العالمين ، وفاعلاً أولاً ، فإن الصورة فاعل ثان ، فماله الأولية التي للحق ، فتميزت الأعيان بالمراتب ، فأعطى كل ذي حق حقه كل عارف ، فلهذا كان حب النساء لمحمد صلى الله عليه وسلم عن تحجب إلهي [وأن الله أعطى كل شيء خلقه ، وهو عين حقه ، فما أعطاه إلا باستحقاق استحققه بسماءه أي بذات ذلك المستحق] وإنما قدم النساء - أي في قوله صلى الله عليه وسلم - [حبب إلي من الدنيا] النساء والطيب ، وجعلت قرّة عيني في الصلاة ^(١) . . . لأنهن محل الانفعال كما تقدمت الطبيعة على من وجد منها بالصورة ، وليست الطبيعة على الحقيقة إلا النفس الرحماني ، فإن فيه انفتحت صورة العالم أعلاه وأسفله ^(٢) .

الألوثة صفة الإله الصوفي

ثم قال : إنه عليه الصلاة والسلام غلب في هذا الخبر التأنيث على التذكير ، لأنه قصد التهميم بالنساء فقال : ثلاث ، ولم يقل : ثلاثة بالهاء الذي هو لعدد الذكران ؛ إذ فيها ذكر الطيب ، وهو منكر ، وعادة العرب أن تغلب التذكير

ذكر هذا التن الإباحي الصوفي ، فإننا بصدد هتك القناع عن فاحشة آثمة تترأى في شف من القدسية والروحانية ، وتمزيق الستر عن خبيث يقترف الجريمة وهو ريان السجود في المحاريب ، وتبصير المسلمين بمجوسية التصوف ، وما تكيد به لهم ، حتى يعتصموا بحبل الله وحده

(١) أخرجه أحمد والنسائي والحاكم والطبراني والبزار وابن أبي شيبة ، وقد أعلاه ابن عدي والدارقطني والعقيلي ، وليس في شيء من طرقه لفظ ثلاث . انظر تخریج أحاديث الكشاف لابن حجر ، وتميز الطيب من الخبيث للشيباني ، وبهذا ينهدم كل ما بناه الزنديق ابن عربي من التثليث ، وما هول به من تأنيث الإله على لفظ « ثلاث » التي ليست في الحديث قط على ضعفه .

[على التأنيث] ^(١) « ثم قال : « ثم إنه جعل الخاتمة نظيرة الأولى في التأنيث وأدرج بينهما المذكر ، فبدأ ^(٢) بالنساء ، وحكم بالصلاة ، وكتابها تأنيث ، والطيب بينهما « كهُوَ ^(٣) » في وجوده ، فإن الرجل مُدرَج بين ذات ظهر عنها وبين امرأة ظهرت عنه ، فهو بين مؤنثين تأنيث ذات ، وتأنيث حقيقي ، كذلك النساء تأنيث حقيقي ، والصلاة تأنيث غير حقيقي ، والطيب مذكر بينهما ، كآدم بين الذات الموجود هو عنها ، وبين حواء الموجودة عنه ، وإن شئت ، قلت : القدرة ، فمؤنثة أيضاً ، فكان على أى مذهب شئت ، فإنك لا تجد إلا التأنيث يتقدم ، حتى عند أصحاب العلة الذين جعلوا الحق علة في وجود العالم ، والعلة مؤنثة ^(٤) »

الإله الصوفي بين التقييد والإطلاق

ثم قال : « و ^{ثم} مرتبة يعود الضمير على العبد المسيح فيها في قوله : (١٧ : ٤٤) وإن من شيء إلا يسبح بحمده) أى بحمد ذلك الشيء ^(٥) ، فالضمير الذى فى

(١) ص ٢١٩ فصوص وكل ما بين هذين [] ساقط من الأصل ، وأثبتته عن الفصوص .

(٢) فى الأصل : فبدأ . ويظهر أن الناسخ كان يرسم الهمزة التى من هذا القبيل هكذا دائماً .

(٣) الهو عند الصوفية : هو اعتبار الذات بحسب الغيبة والفقده

(٤) ص ٢٢٠ فصوص

(٥) معنى الآية : ما من شيء إلا ويسبح بحمد الله رب العالمين ، ولكن ابن عربى يرجع الضمير فى قوله : بحمده ، على لفظه شيء ليتواءم هذا البهتان الزنديقى ، ومذهبه فى الوحدة ، فيكون معنى الآية عنده : ما من شيء إلا ويسبح بحمد نفسه لأن الله سبحانه عنده عين كل شيء ، فإذا سبح شيء ، فالمسبح عنده والمسبح له هو الله سبحانه عما يقول الصوفية (٧)

[قوله] : بحمده ، يعود على الشيء ، أى بالثناء الذى يكون عليه ، كما قلنا فى المعتقد أنه [إنما] يثنى على الإله الذى فى معتقده ، وربط به نفسه ، وما كان من عمله ، فهو راجع إليه ، فما أثنى إلا على نفسه ، فإنه من مدح الصنعة ، فإنما مدح الصانع بلا شك ، فإن حسنها وعدم حسنها راجع إلى صانعها ، وإله^(١) المعتقد مصنوع للناظر فيه ، فهو صنعه^(٢) ، فثناؤه على ما اعتقده ثناؤه على نفسه ولهذا يذم معتقد غيره ، ولو أنصف لم يكن له ذلك ، إلا أن صاحب هذا المعبود الخاص جاهل بلا شك^(٣) فى ذلك لاعتراضه [٤٠] على غيره فيما اعتقده فى الله ، إذ لو عرف ما قال الجنيد : لون الماء لون إنائه ، لسلم لكل ذى اعتقاد ما اعتقده وعرف الله فى كل صورة ، وكل معتقد ، فهو ظان ليس بعالم ، ولذلك^(٤) قال : « أنا عند ظن عبدى بى^(٥) » . أى لا أظهر له إلا فى صورة معتقده ، فإن شاء أطلق ، وإن شاء قيّد ، فإنه المعتقدات تأخذ الحدود ، وهو الإله الذى وسعه قلب عبده ، فإن الإله المطلق لا يسمعه شئ ، لأنه عين الأشياء^(٦) ، وعين نفسه^(٧)

(١) فى الأصل : والإله

(٢) فى الأصل : صنعه

(٣) يحذر المؤمن أن يذم دين الكافر ، والموحد أن يذم دين المشرك ، والمسلم أن يذم دين وثنى أو يهودى ، أو نصرانى ، أو مجوسى ، فذم أى دين — وإن كان سداه الأسطورة ، ولحمته الخرافة — جهل عميق بالحقيقة ، فهؤلاء جميعا دينهم واحد ، ومعبودهم فى الحقيقة — وإن اختلفت نسبة أو إضافاته ، أو أسماؤه — واحد ، بل إنهم جميعا عين واحدة ، إذ كل واحد منهم أحد تعينات الذات الإلهية ، ومعبوداتهم فى حقيقتها الرب الواحد ، لأنها الحق تجلى فى صور هذه المعبودات ، ودينهم واحد لأن الحق المتعين فى كل واحد منهم هو الذى شرع هذا الدين وارتضاه . ذلك البهتان هو دين الزنديق ابن عربى ، وهذا هو نص ما يريد

(٤) فى الأصل : فلذلك

(٥) متفق عليه عن أبى هريرة مرفوعا . بيد أن تفسير الزنديق له إفاك أثم

(٦) باعتبارها تعيناته أو ظاهره

(٧) باعتبارها وجودا مطلقا ، أو حقا أو باطنا

والشيء لا يقال فيه : يسع نفسه ، لا يسعها ، فافهم^(١) .
قلت : وهذا أراد ابن الفارض بقوله :
فلو أنتى وَحَدَّتْ ، أَلْحَدْتُ ، وانسلخ
تُ مِنْ أَى جَمْعِي مُشْرِكًا بِي صَنَعْتِي

دعاء ومباهلة

هذا آخر الكتاب^(٢) ، المباعد للصواب ، المراد للشك والارتياب ، لعنة^(٣)
الله على معتقده ، ورحمة الله : على منتقده ، قد تم - والله الحمد - ما أردت اختقاده
منه ، مُتَرَجِّمًا بسوء السيرة وقبح السريرة عنه ، وانتهى ما وقع انتقادي عليه ،
وأداني اجتهادي إليه : من واضح كفره ، ودقيق مكبره ، وَجَلِيَّ شره ، أعاذنا الله
بجوله وقوته من شكوكه ، وعصمنا من زيغ طريقه ، وباعدنا من سلوكه ، ورأيت
أن أختم ذلك بحكاية طالما حدثنا بها شيخنا شيخ الإسلام حافظ العصر ، قاضي
القضاة ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر الكفاني ، العسقلاني
الأصل ، المصري الشافعي . ثم رأيتها منقولة عن كتاب الحافظ تقي الدين الفاسي^(٤)
في تكفير ابن عربي ، وقد أصلح شيخنا بعضها بخطه ، قال : « كان في أيام
الظاهر برقوق^(٥) شخص يقال له : ابن الأمين شديد التعصب لابن عربي
صاحب هذا الفصوص ، وكنت أنا كثير البيان لعواره ، والإظهار لعاره وعثاره ،

(١) ص ٢٢٦ فصوص

(٢) يقصد فصوص الحكم

(٣) في الأصل : لعنه

(٤) هو محمد بن أحمد بن علي ولد بمكة سنة ٧٧٥ ، وتوفي سنة ٨٣٢ هـ

ولي قضاء المالكية بمكة

(٥) مؤسس دولة المماليك البرجية ، واستمر يحكم من سنة ٧٨٤ إلى أن

توفي عن ٦٠ عاما سنة ٨٠١ هـ

وكان بمصر شيخ يقال له : الشيخ صفا ، وكان مقر با عند الظاهر ، فهددني المذكور بأنه يعرفه بي ، ليذكر للسلطان أن بمصر جماعة أنا منهم ، يذكرون الصالحين بالسوء ، ونحو ذلك . وكانت تلك الأيام شديدة المظالم والمصائب والمغارم ، وكنت ذا مال^(١) ، فخفت عاقبته ، وخشيت غائلته ، فقلت إن هنا ما هو أقرب مما تريد ، وهو أن بعض الحفاظ قال : إنه وقع الاستقراء بأنه ما تباهل اثنان على شيء ، فخال الحول على المُبْطِل منهما ، فهَلُمَّ ، فلنْتَبَاهِل ، لِيَعْلَمَ الْمَحِقُّ مَنَا مِنْ الْمُبْطِلِ ، فتباهلت أنا وهو ، فقلت له : قل : اللهم إن كان ابن عربي على ضلال ، فالعني بلعنتك ، فقله ، فقلت أنا : اللهم إن كان ابن عربي على هدى فالعني بلعنتك واقتربنا ، وكان يسكن الروضة ، فاستضافه شخص من أبناء^(٢) الجند جميل الصورة ، ثم بدا له أن يتركهم ، فخرج في أول الليل ، فخرجوا يشيعونه فأحس بشيء مرّ على رجله^(٣) ، فقال لأصحابه : مرّ على رجله شيء ناعم ، فانظروا ما هو ؟ فنظروا [٤١] فلم يجدوا شيئا ، فذهب ، فما وصل إلى منزله إلا وقد عمى ، ولم يصبح إلا وهو ميت ، وكان ذلك في ذى القعدة سنة سبع وتسعين وسبعائة ، وكانت المباهلة في رمضان منها ، قال : وكنت عند وقوع المباهلة عرفت من حضر أن من كان مُبْطِلا في المباهلة لا تمضي عليه السنة ، فكان والله الحمد ذلك ، واسترحت من شره ، وأمنت من عاقبة مكره .

المكفرون لابن عربي

وقد صرح بكفر هذا الرجل^(٤) ، ومن نحائمه في مثل هذه الأقوال الظاهرة

(١) كذا بالأصل ولعلها : مال

(٢) في الأصل : ابنا

(٣) لعلها رجلى ، إلا أن تكون على سبيل الحكاية

(٤) يقصد ابن عربي

في الضلال جماعة من العلماء الأعلام مشايخ الإسلام ، كما نقل عنهم الإمام شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أنى حجلة التلمساني الحنفي في كتابه الذي صنعه في ذلك ، وكذا نقل بعض ذلك الإمام سيف الدين عبد اللطيف بن بلبان السعودي^(١) الصوفي في جزء نقله عنه أحمد بن أقش الحراني ، قال : « وقد كتب كل من راقب الله تعالى ، وخشيه ، وامتنع كل من التبسه مخافة غيره ، وغشيه ، فالذي كتب قام لله تعالى بلوازم فرضه ، والذي امتيح^(٢) فهو المسئول عن ذلك في يوم عَرَضِهِ ، فإن زعم أنه ترك خوف الفتنه من المخالفين ، فتلك محنة في الدين بما وجب على كل عالم من التبيين » .

وكذلك نقل الفتاوى العلامة بدر الدين حسين بن الأهدل ، شيخ أبيات حسين ببلاد اليمن في تصنيفه المسمى : كشف الغطاء عن حقائق التوحيد ، فالمنكرون منهم سلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القسم السلمي الشافعي ، كما نقل ذلك عنه شيخ الإسلام تقي الدين محمد بن دقيق العيد ، قال الحافظ شمس الدين محمد الذهبي في معجمه^(٣) : « حدثني محمد المفيد . حدثنا أبو الفتح اليعمرى ، سمعت أبا الفتح محمد بن علي القشيري ، سمعت شيخنا ابن عبد السلام يقول - وجري ذكر ابن العربي الطائي - فقال : هو شيخ سوء كذاب^(٤) » وقال الصلاح خليل الصفدي في تاريخه : « سمعت أبا الفتح ابن سيد الناس^(٥) يقول : سمعت ابن دقيق العيد يقول : سألت ابن عبد السلام

(١) ولد سنة ٦٥٠ تقريبا ، وتوفي سنة ٧٣٦

(٢) لعلمها : امتنع

(٣) ذكر هذا في ميزان الاعتدال

(٤) في الميزان : شيعي سوء كذاب

(٥) هو محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس أبو الفتح فتح الدين الحافظ

الأديب . ولد سنة ٦٧١ هـ وتوفي سنة ٧٣٤ هـ

عن ابن عربي ، فقال : هو شيخ سوء كذاب ، يقول بقدم العالم ، ولا يحرم فرجا »
وقال شيخنا العلامة محمد^(١) بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف [ويعرف^(٢)]
بابن الجرزي الشافعي في جواب أجاب فيه بكفره ، كما حكاه عنه ابن الأهدل :
ولقد حدثنا شيخنا شيخ الإسلام الذي لم تر عيناي مثله عماد الدين إسماعيل بن عمر
ابن كثير من لفظه غير مرة ، حدثني شيخ الإسلام العلامة قاضي القضاة تقي الدين
أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي^(٣) ، حدثنا الشيخ العلامة شيخ الشيوخ
قاضي القضاة تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق^(٤) العيد
القائل في آخر عمره : لي أر بعون [٤٢] سنة ما تكلمت بكلمة إلا أعددت لها
جواباً بين يدي الله تعالى ، قال : سألت شيخنا سلطان العلماء عز الدين أبا محمد
عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي عن ابن عربي ، فقال : شيخ سوء كذاب ،
يقول بقدم العالم ، ولا يحرم فرجا » انتهى . وقال ابن تيمية^(٥) في جواب السيف

(١) ولد الجرزي بدمشق سنة ٧٥١ هـ وتوفي سنة ٨١٤ هـ

(٢) ساقطة من الأصل ، وأثبتها عن الضوء اللامع

(٣) ولد سنة ٦٨٣ ، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٥٦ ولى قضاء دمشق والخطابة
بالجامع الأموي ، وكان من خصوم ابن تيمية ، غير أنه عاد فأثنى عليه ثناء مستطاباً
(٤) ولد بناحية ينبع سنة ٦٢٥ وتوفي سنة ٧٠٢ هـ يقول عنه الذهبي : كان

إماماً متقناً مجوداً مديماً السنن والجمع وله اليد الطولى في الفروع والأصول

(٥) أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية
الحراني ثم الدمشقي علم الأعلام الإمام الصبار الشكور . يقول عنه خصمه تقي الدين
السبكي - وقد عاتبه الحافظ الذهبي على ما نال به من قدر ابن تيمية : « المملوك
» يعني نفسه « يتحقق كبير قدره ، وزخارة بحره ، وتوسعه في العلوم النقلية
والعقلية » يعني بكل هذا ابن تيمية « وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك
المبلغ الذي يتجاوز الوصف ، وقدره في نفسى أكبر من ذلك وأجل ، مع ما جمعه
الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام به ، لا لغرض سواه ، =

السعودي « فكفره الفقيه أبو محمد بذلك ، ولم يكن بعدُ ظَهَرَ من قوله : إن العالم هو الله ، والعالم صورة الله ، وهوية الله » قال السيف المذكور : ثم تابعه في الإنكار الشيخ الإمام بركة الإسلام قطب الدين ابن القسطلاني ، وحذر الناس من تصديقه ، وبين في مصنفاته فساد قاعدته ، وضلال طريقه في كتاب سماه : بالارتباط . ذكر فيه جماعة من هؤلاء الأنماط . ومنهم قاضي القضاة قدوة أهل التصوف إمام الشافعية بدر الدين محمد بن جماعة قال : « وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأذن في المنام فيما يخالف ، أو يضاد قواعد الإسلام ^(١) ، بل ذلك من وسارس الشيطان ومحنته ، وتلاعبه برأيه وفتنته ، وأما إنكاره - يعني ابن عربي - ما ورد في الكتاب والسنة من الوعيد ، فهو كافر به عند علماء التوحيد ، وكذلك قوله في نوح وهود عليهما السلام قول لغو باطل مردود ^(٢) » والقدوة العارف عماد الدين أحمد بن إبراهيم الواسطي ^(٣) ، وقال إنه علق في ذم هذه الطائفة ^(٤) ثلاث كراريس ، الأول سماه : البيان المفيد في الفرق بين الإلحاد والتوحيد ، الثاني : لوامع الاسترشاد في الفرق بين التوحيد والإلحاد ، والثالث : أشعة النصوص في هتك أستار الفصوص . كل ذلك ليبيتي المؤمنين منهم على بصيرة . يحذرون من طرقهم وزندقتهم . وحاصل ذلك كله بكلام وجيز مختصر :

= وجريه على سنن السلف ، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى ، وغرابة مثله في هذا الزمان ، بل من أزمان» انتهى نقلا عن الدرر الكامنة لابن حجر . ولد ابن تيمية سنة ٦٦١ هـ ، ومات سجين بالبغي بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ

(١) رد على ما زعمه ابن عربي في خطبة الفصوص أنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في النوم ، وأنه قال له : هذا كتاب الفصوص خذها وأخرج به إلى الناس ينتفعون به ، وعلى ما زعمه ابن الفارض من مثل هذا بالنسبة للتائبة الكبرى

(٢) انظر نص هذه الفتوى في العلم الشامخ للمقبلي ص ٤٩٤

(٣) ولد سنة ٦٥٧ وتوفي سنة ٧١١ هـ

(٤) طائفة ابن عربي ومن دان دينه

« أن هؤلاء جميع ما يبدونه من الكلام الحسن في مصنفاتهم إنما هو ربط واستجلاب ، فإن الدعاء إلى البدعة إن لم يكونوا ذوى بصيرة يستدرجون الخلق في دعوتهم ، حتى يحلوم عن أديانهم لا يستجاب لهم . هذا ابن عربي عنده في أصوله : أنه يجعل المعدومات أشياء ثابتة - علويها وسفليها - قبل وجودها ، فهي عنده ثابتة في القدم ، لكن ليس لها وجود ، ثم أفاض الحق عليها من وجوده الذاتي فقبل كل موجود من وجود عين الحق بحسب استعداده ، فظهر الـكون بعين وجود الحق ، فكان الظاهر هو الحق ، فعنده : أنه لا وجود إلا للحق ، ويستحيل عنده أن يكون ثم وجود محدث ، كما يقوله أهل الحق ، فإنهم يقولون وجود قديم ، ووجود حادث^(١) ، وهذا عنده ، وعند أصحابه : أنه ليس بوجود حادث ، وليس ثم إلا وجود الحق الذاتي ، وهو الذي فاض على الأعيان والممكنات

(١) ليس هذا التقسيم من صنع أهل الحق ، وإنما هو بدعة الفلسفة ومخانيثهم علماء الكلام ، والله العليم الحكيم الخبير لم يسم نفسه بالقديم ، ولا وصف وجوده أو ذاته بالقدم ، وما ورد أحدهما - الاسم والصفة - على لسان أحد من رسله ، ولا استعملت في كتاب الله فيما استعملتها فيه الفلسفة ، وإليك مواردها في القرآن : (قالوا : تالله إنك لفي ضلالك القديم) ، (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) ، (وإذ لم يهتدوا به فسيقولون : هذا إفك قديم) ، (قال : أفأرأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآبائكم الأقدمون) فهل تجد آية من هذه الآيات أعطت مفهوم القدم ، والقديم كما هو في الفلسفة والكلام ؟ وهل تجده بحيث يصح إطلاقه على الله ووجوده ؟ قارن بين القدم في الفلسفة والكلام ، وبينه في القرآن إذ يصف الإفك والعرجون والضلال بالقدم ، وستخرج من هذه المقارنة بأنه لا يجوز وصف الله به وفي اللغة تقول عن شيء سلف زمانه : إنه قديم ، وعن الثوب الرث : إنه قديم . هذا مدلول الكلمة في اللغة التي نزل بها كتاب الله ، والتي يجب أن تفسر بها وحدها القرآن . فليقولوا : خالق ومخلوق ، وليقولوا عن الله ما قاله عن نفسه « هو الأول والآخِر والظاهر والباطن » .

[٤٣] فهو موجود بعينه^(١)، ومن شك أن هذا اعتقاده، فليراجع كتبه الفصوص وغيرها، وعنده أنه لما فاض على الأكيوان عين وجود الحق، كان هو الظاهر فيها بحكم الوجود، وكانت هي الظاهر فيه بحكم الأسماء، فإنها كثيرة متعددة^(٢)، وعنده أن السكون افتقر إلى الحق بسبب إفاضة الوجود، وأن الحق أيضا افتقر إلى السكون لظهور أسمائه، وكل منهما يعبد الآخر.

فتوى الجزري

ومنهم العلامة شمس الدين محمد بن يوسف ابن الجزري جد شيخنا العلامة شمس الدين، قال: ^(٣) «وحكمه بصحة عبادة قوم نوح للأصنام كفر، وقوله: إن الحق المنزه هو الخلق المشبه كلام باطل متناقض، وهو كفر، وقوله في قوم [هود^(٤)]: وحصلاوا في عين القرب افتراء على الله تعالى، ورد لقوله فيهم، وقوله زال البعد وصيرورة^(٥) جهنم في حقهم نعيما كذب، وتكذيب للشرائع، وأما من يصدقه فيما قال، فحكمه حكمه في التزليل والتكفير إن كان عالما، وإن كان ممن لا علم له: فإن قال ذلك جهلا عرف بحقيقة ذلك، ويجب تعليمه وردعه عنه، مما أمكن» ومنهم الإمام القدوة برهان الدين إبراهيم بن معضاد الجعبري^(٦)، ومنهم العلامة زين الدين عمر بن أبي الحرم الـكتناني^(٧) الشافعي

(١) لم يحسن التعبير، وإليك نص الفصوص ص ٧٦ «وهو من حيث الوجود عين الموجودات». وفي الأصل: فهي موجودة

(٢) قال القاشاني في شرح الفصوص: «للذات بحسب كل عين اسم، وتلك الأعيان أيضا أسماء، لكونها عين الذات مع التعيين» ويقول ابن عربي «فأسمائنا أسماء الله تعالى»

(٣) انظر نص فتواه في العلم الشامخ ص ٤٩٥

(٤) أثبتنا عن الفصوص

(٥) لعلها: صارت، أو بصيرورة

(٦) توفي في سنة ٦٨٧ هـ عن ثمانين سنة

(٧) كان شيخ الشافعية في عصره. ولد سنة ٦٥٣ وتوفي سنة ٧٣٨ هـ وانظر =

ومن جوابه : « وقوله في قوم هود كفرة » ، لأن الله تعالى أخبر في القرآن العظيم عن عاد : أنهم كفروا بربههم ، والكفار ليسوا على صراط مستقيم ، فالقول بأنهم كانوا عليه ، مكذب لصريح القرآن ، ويأثم من سمعه ، ولم ينكره إذا كان مكلفاً ، وإن رضى به كفر .

رأى أبي حيان

والإمام أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي^(١) . ذكر ذلك في تفسير سورة المائدة عند قوله تعالى (١٧:٥) لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم) الآية في أوائلها : « ومن بعض اعتقاد النصارى استنبط من أقر^(٢) بالإسلام ظاهراً ، وانتمى إلى الصوفية حلول الله في الصور الجميلة ، ومن ذهب من ملاحظتهم إلى القول بالانحداد والوحدة : كالحلاج والشعوذي وابن أحلي وابن عربي المقيم بدمشق ، وابن الفارض ، وأتباع هؤلاء كابن سبعين - وعد جماعة^(٣) - ثم قال :

= نص فتواه في العلم الشامخ ص ٤٩٦ ، وفي الشذرات لقب بالكتاني نسبة إلى الكتان

(١) ولد سنة ٦٥٤ هـ . قال عنه الذهبي : « حجة العرب وعالم الديار المصرية »

كان من خلاء ابن تيمية ، حتى لقد امتدحه بقصيدة منها :

قام ابن تيمية في نصر شرعتنا مقام سيد تيم إذ عصت مضر
وفي مناظرة بينهما خطأ ابن تيمية سيويه ، فلم يطقها منه أبو حيان ، فكان أن بهته أبو حيان في تفسيره البحر .

(٢) في البحر : تستر .

(٣) هم كما جاء في البحر : « والتستري تلميذه وابن مطرف المقيم بمرسية ، والصفار

المقتول بقرناطة ، وابن اللباج ، وأبو الحسن المقيم كان بلورقة ، ومن رأيناه يرمي بهذا المذهب الملعون : العفيف التلمساني ، وله في ذلك أشعار كثيرة ، وابن عياش المالقي الأسود الأقطع المقيم كان بدمشق ، وعبد الواحد بن المؤخر المقيم كان بصعيد مصر ، والأيكى العجمي الذي كان تولى المشيخة بخانقاه سعيد السعداء بالقاهرة من =

وإنما سردت هؤلاء نصحاء لدين الله ، يعلم الله ذلك ، وشفقة على ضعفاء المسلمين ،
وليحذروا ، فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون الله ورسله ، ويقولون بقدوم العالم
وينسكرون البعث ، وقد أولع جهلة ممن ينتمى إلى التصوف بتعظيم هؤلاء ،
وادعائهم أنهم صفوة الله ^(١) .

رأى التقى السبكي والفاقي والزواوي

والعلامة قاضي القضاة شيخ الإسلام تقى الدين علي بن عبد الكافي السبكي
الشافعي ، فقال : « ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرين كابن عربي وغيره ،
فهم ضالّالٌ جهّال ، خارجون عن طريقة الإسلام ، فضلا عن العلماء » قال ذلك
في باب الوصية من شرح [٤٤] المنهاج ونقله السكّال الدميري ، والتقى الحصني ،
وقال الخافظ تقى الدين الفاسي في كتابه فيه : « وقد أحرقت كتب ابن عربي
غير مرة » . ويمن صنع ذلك من العلماء المعتبرين : الشيخ بهاء الدين السبكي ،
والعلامة القاضي شرف الدين عيسى بن مسعود الزواوي ^(٢) المالكي شارح صحيح
مسلم ، فقال : « وأما ما تضمنه هذا التصنيف من الهديان ، والكفر والبهتان ، فهو
كله تلبيس وضلال ، وتحريف وتبديل ، فمن صدق بذلك أو اعتقد [صحته] ^(٣) »

= ديار مصر ، وأبو يعقوب بن مبشر تلميذ التستري المقيم كان بحارة زويلة « انتهى
تقلا عن تفسير البحر لأبي حيان . وزاد في تفسيره النهر : « والشريف عبد العزيز
المنوفي ، وتلميذه عبد الغفار القوصي » .

(١) ورد بعد هذه في البحر : « وأولياؤه ، والرد على النصاري والحلولية
والقائلين بالوحدة هو من علم أصول الدين » انظر تفسير سورة المسائدة من البحر
لأبي حيان .

(٢) ولد سنة ٦٦٤ هـ ، وتوفي سنة ٧٤٣ هـ انتهت إليه رياسة الفتوى في المذهب
المالكي بمصر والشام ، وقد شرح صحيح مسلم في اثني عشر مجلداً وسماه : إكمال
الإكمال .

(٣) ساقطة من الأصل ، وأثبتها عن العلم الشامخ ، فقد ورد فيه نص هذه
الفتوى ص ٤٩٨ .

كان كافراً ملحداً ، صادداً عن سبيل الله ، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ملحداً في آيات الله ، مُبدلاً لكتابه ، فإن أظهر ذلك ، وناظر عليه ، كان كافراً
يستتاب ، فإن تاب ، وإلا قُتِل ، وإن أخفى ذلك ، وأسره كان زنديقاً ، فيقتل
متى ظهر عليه ، ولا تقبل توبته إن تاب ؛ لأن توبته لا تعرف ، فقد كان قبل
أن يظهر عليه يقول بخلاف ما يبطن ، فعلم بالظهور عليه خبث باطنه ، وهؤلاء
قوم يسمون الباطنية ، لم يزالوا من قديم الزمان ضاللاً في الأمة ، معروفين بالخروج
من الملة ، يقتلون متى ظهر عليهم ، وينفون من الأرض ، وعادتهم التَّمَصُّلُح
والتدين ، وادعاء التحقيق ، وهم على أسوأ طريق [فالحذر كل الحذر منهم فإنهم
أعداء الله ، وشر من اليهود والنصارى ، لأنهم قوم لا دين لهم يتبعونه ، ولا رب
يعبدونه ، وواجب على كل من ظهر على أحد منهم أن ينهى أمره إلى ولاية
المسلمين ، ليحكموا فيه بحكم الله تعالى ^(١)] ويجب على [من ^(٢)] [ولي الأمر ^(٣)]
إذا سمع بهذا التصنيف البحث عنه ، وجمع نسخه حيث وجدها وإحراقها ، وأدب
من اتهم بهذا المذهب ، أو نسب إليه ، أو عرف به ، على قدر قوة التهمة عليه
حتى يعرفه الناس ويحذروه .

رأى البكرى

ومنهم الشيخ الإمام المحقق الزاهد القدوة العارف نور الدين علي بن يعقوب
البكرى الشافعي ، قال : « وأما تصنيف تذكر فيه هذه الأقوال ، ويكون
المراد بها ظاهرها ، فصاحبها العن وأقبح من أن يُتَأَوَّلَ له ذلك ، بل [هو ^(٤)]

(١) ما بين هذين [ساقط من الأصل . وأثبتته عن العلم الشامخ ص ٤٩٨ .
(٢) أثبتتها عن المصدر السابق .
(٣) في الأصل : الأمراء ، وهي كما أثبتتها في العلم الشامخ .
(٤) أثبتتها عن المصدر السابق .

كاذب فاجر ، كافر في القول والاعتقاد ، ظاهراً وباطناً ، وإن كان قائلها لم يرد
ظاهرها ، فهو كافر بقوله ، ضال بجمله ، ولا يعذر في تأويله لتلك [الألفاظ] إلا
أن يكون جاهلاً بالأحكام جهلاً تاماً عاماً ، ولا يُعذر في جهله لمعصيته ، لعدم
مراجعة العلماء والتصانيف^(١) على الوجه الواجب من المعرفة في حق من يخوض
في أمر الرسل ومتبعيهم ، أعني معرفة الأدب في التعبيرات ، على أن في هذه
الألفاظ ما يتعذر ، أو يتعسر تأويله ، بل كلها كذلك ، وبتقدير التأويل على
وجه يصح في المراد ، فهو كافر بإطلاق اللفظ على الوجه الذي شرحناه . وأما
دلائل ذلك فهي مذكورة في تصانيف العلماء ، وفيما ألفتها أيضاً في بعض المسائل
وليست هذه الورقة مما تسع الكلام على أقوال هذا المصنّف^(٢) لفظة لفظة .

مسألة الوعيد

لكن مسألة الوعيد - يعني التي قال فيها ابن عربي : وما لوعيد الحق عين
تُعابن^(١) - لا بد فيها من نبذة لطيفة للضرورة . اعلم [٤٥] أنه ثبت بالدلائل العقلية
والسمعية ، وإجماع المسلمين أن قول الله حق ، وخبره صدق ، وذلك واجب له
لذاته سبحانه وتعالى ، ومن أنكر أن خبر الله حق ، أو أن وعده ووعيده صدق
فهو كافر بإجماع المسلمين ، وإنما قال بعض الناس من الأصوليين : إنه لا يجب
وقوع الوعيد بتأويل مقرر في الأصول ، وحقيقته ترجع إلى أن كلام الله تعالى
مُنزّل على عادة العرب في مخاطبتها ، وعادتها إذا أوعدت بالعقوبة - وإن كانت

(١) ما دام قادراً على مراجعة التصانيف ، فالواجب عليه قبل كل شيء : تدبر
آيات الله سبحانه ، ففي قبس واحد من نوره ما يبدد باطل التصوف وضلاله ، أما
أن ندعوه إلى مراجعة التصانيف دون الكتاب والسنة ، فهي دعوة إلى اتخاذ
أرباب من دون الله ، وهي بعينها دعوة التصوف .

(٢) يقصد فصوص الحكم لابن عربي .

(٣) يعني : إنكار ابن عربي وقوع العذاب على الشركين والكافرين يوم القيامة

صورتها الوعيد الجازم - فإنما تريد : إذا لم تعف ، وأصرت على الانتقام ، وأدعى
أن ذلك مركز في طباعها ، وأن حقيقة اللفظ الحمل عليه ، سواء أراده حالة
التخاطب ، أو لم يرده . وقال فيه آخرون : إن الرب سبحانه وتعالى علق الأشياء
بمشيئته في غير موضع ، وأن الوعد المطلق مقيد بالمشيئة ، فجوز أن يقع الوعيد
بشيء ، فلا يحصل المتوعد : إما لأن حقيقة اللفظ مقيدة بعدم العفو ، وإما لأن
مطلق اللفظ مقيد بنصوص آخر مع أمور أخرى يحتملها اللفظ مطلقاً من غير
دليل خاص : من تقييد المطلق ، وتخصيص العام ، واحتمال الإضمار والمجاز .
وجوز أن يضع الله تعالى اللفظ وضعاً جديداً لمعنى آخر لان فهمه العرب عند بعض
الناس إلى غير ذلك . ومع هذا كله ، فإنما هو كلام في أصل الوعيد من حيث
الجملة . وأما خصوص مسألة وعيد الكافرين ، فلا خلاف أن المراد به قد علم ،
وأن من ادعى أن الكفار لا يعذبون أصلاً ، فهو كافر ، إلا أن يكون ممن لم
تبلغهم الدعوة ، أو في معناه . والمراد في وعيد الكافرين المعلوم : هو أنهم
يُعذبون في النار العذاب الشديد ، ولا يغفر كفرهم المغفرة المنزلة للعقوبة بعد
بلوغ الدعوة ، على الوجه الذي تقوم به الحجة . والعلم بالمراد في هذه القضية متلني
بوجهين : أحدهما : أخبار التواتر . الثاني : فهم الصحابة لذلك عن المعصوم فهما
قطعياً منقولاً إلينا بالتواتر المعنوي^(١) ، وإنما تكلموا في مسألة الخلود دون أصل

(١) ورد الخبر عن عذاب الله للكفار وغيرهم بصيغة الماضي في بعض الآيات ،
ومثاله : (٧١ : ٢٤) مما خطيئاتهم أغرقوا ، فأدخلوا ناراً) والتعبير عما سيقع بصيغة
تفيد أنه وقع بغير تحقق الوقوع ، وأنه سيقع لا محالة ، ثم إن ابن عربي إنما ينكر
العذاب ؛ لإيمانه بوحدة الوجود ، وبالتالي إلى وحدة الأديان . فالترديد يدعى بأن
الله سبحانه عين كل شيء ، ويدعى بأن كل دين هو عين الحق ، فكيف يعذب الله
كافراً ، أو مشركاً ؟ والكافر عنده هو الله ، وكذلك المشرك . والكافر دين حق
وكذلك الشرك . لا يمكن وقوع العذاب ، وإلا قلنا : إن الله يعذب نفسه . هذا سر
إنكار ابن عربي وقوع العذاب ، فهو في واد ، وما ذكره المؤلف هنا عن الوعيد
في واد آخر .

التعذيب ، فمن حاك^(١) الخلاف عن السلف ، ومن حاك^(٢) الإجماع في مثله ،
ففيها نظر . والله أعلم .

فتوى البالسي وابن النقاش

ومنهم العلامة نجم الدين محمد بن عقيل البالسي^(٣) الشافعي ، فقال : « من
صدق هذه المقالة الباطلة أو رضىها ، كان كافراً بالله تعالى يراق دمه ، ولا تنفعه
التوبة عند مالك وبعض أصحاب الشافعي ، ومن سمع هذه المقالة القبيحة تعيّن
عليه إنكارها بلسانه ، بل يجب عليه منع قائلها بالضرب ، إن لم ينزجر باللسان ،
فإن عجز [٤٦] عن الإنكار بلسانه أو ييده ، وجب عليه إنكار ذلك بقلبه ،
وذلك أضعف الإيمان » .. ومنهم نادرة زمانه العلامة أبو أمامة محمد بن علي
ابن النقاش^(٤) المصري الشافعي في تفسيره^(٥) ، وأجاد جداً في تقرير مذهبهم ،
وبيان عواره ، فقال : « وقد ظهرت أمة ضعيفة العقل ، نزرة العلم ، اشتغلوا بهذه
الحروف ، وجعلوا لها دلالات ، واشتقوا منها ألقاظا ، واستدلوا منها على مُدَدٍ
وسموا أنفسهم بعلماء الحروف^(٦) ، ثم جاءهم شيخ وقح من جهة العالم يقال له :

(١) لعلها حكى .

(٢) ولد سنة ٦٦٠ هـ . ولى قضاء بلبيس ، ولازم ابن دقيق العيد . وتوفي
سنة ٧٢٩ هـ .

(٣) ولد سنة ٥٧٢٠ هـ . وتوفي سنة ٥٧٦٣ هـ .

(٤) سماه السابق واللاحق ، والتزم أن لا ينقل فيه حرفاً من تفسير أحد ممن
تقدموه .

(٦) يقول ابن خلدون في مقدمته ص ٤٠٤ عن علم الحروف : « حدث هذا
العلم في الملة بعد صور منها ، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة ، وزعموا أن السكّال
الأسمائي مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب ، وأن طبائع الحروف وأسرارها
سارية في الأسماء ، فهي سارية في الأكوان على هذا النظام ، تعددت فيه تآليف =

البونى ، ألف فيها مؤلفات ، وأتى فيها بطامات ، ومن الحروف دخلوا للباطن ، وأن للقرآن باطناً غير ظاهر ، بل وللشرائع باطناً غير ظاهرها ، ومن ذلك تدرجوا إلى وحدة الوجود ، وهو مذهب الملحدين كابن عربي وابن سبعين وابن الفارض ممن يجعل الوجود الخالق هو الوجود المخلوق ، وقد لا يرضى هؤلاء بلفظ الاتحاد بل يقولون بالوحدة ؛ لأن الاتحاد يكون افتعالاً بين شيئين ، وهم يقولون : الوجود واحد لا تعدد فيه ، ولم يفرقوا بين الواحد بالعين ، والواحد بالنوع ، فإن الموجودات مشتركة في مُسمى الوجود ، ولكن ليس وجودُ هذا وجودَ هذا . والقدر المشترك هو كُليّ ، والسكلى المطلق لا يوجد كلياً مطلقاً إلا في الأذهان ، لافي الأعيان ، بل كل موجود ، من المخلوقات له وصف يختص [به] لا يشاركه فيه غيره في الخارج ، وأنقص المراتب عند هؤلاء مرتبة أهل الشريعة — ثم قال : وهم متأهلون للخيال ، معظمون له ، ولا سيما ابن عربي منهم ، ويسميه : أرض الحقيقة ، ولهذا يقولون بجواز الجمع بين النقيضين^(١) ، وهو من الخيال الباطل ، وقد علم المعتنون بحالهم من علماء الإسلام كالشيخ عز الدين بن عبد السلام ،

= البونى وابن عربي وغيرهما» ويعرف طاش كبرى زادة هذا العلم في مفتاح السعادة ص ٤١٨ ج ٢ ط الهند : (هو علم باحث عن كيفية تمزيج الأعداد ، أو الحروف على التناسب والتعادل ، بحيث يتعلق بواسطة هذا التعديل أرواح متصرفة تؤثر في القوالب حسب ما يراد ويقصد من ترتيب الأعداد والحروف وكيفياتها » وانظر ص ٦٨ من كتاب نقض المنطق لابن تيمية . وما زال كثير منهم يهول بهذه الأساطير يمدونها شركاً لمال يتيم يراد استلابه ، أو عرض يتبغى استلابه .

(١) قولهم بهذا الجبل راجع إلى إيمانهم بوحدة الوجود ، حتى زعموا أن ذات الإله : جامعة بين النقيضين ، وبين الضدين ، وأن هذا الجمع أول مقوماتها وأبين خصائصها ، قال الجيلي في كتابه الإنسان الكامل ص ٦٩ ج ١ : « الألوهية في نفسها تقتضى شمول النقيضين ، وجمع الضدين بحكم الأحدية » هذا لإيمانهم بأنه سبحانه عين كل شيء وكل معلوم .

وابن الحاجب وغيرهما: أن الجن والشياطين تمثلت لهم ، وألفت كلاما يسمعونه ، وأنواراً يرونها^(١) ، فيظنون ذلك كرامات ، وإنما هي أحوال شيطانية ، لارحمانية وهي من جنس السحر . ولقد حكى سعيد الفرغاني في شرح قصيدة ابن الفارض أن رجلاً نزل دجلة ، ليغتسل لصلاة الجمعة ، فخرج من النيل ، فأقام بمصر عدة سنين ، وتزوج ، وولد له هناك ، ثم نزل ليغتسل لصلاة الجمعة ، فخرج من دجلة فرأى غلامه ودابته والناس لم يصلوا بعد الجمعة ، ومن المعلوم لكل ذى حسن أن يوم الجمعة ببغداد ليس بينه وبين يوم الجمعة بمصر يومٌ فضلاً عن أكثر منه ولا الشمس توقفت عدة أعوام في السماء ، وإنما هو الخيال ، فيظنونه لجهلهم في

(١) جرى مثل هؤلاء الشيوخ على تصديق ما يهرف به خيال الصوفية من رؤية أنوار وسماع كلام ، ثم يحاولون تعليل هذا الباطل بغير علته الحقة ، فيزعمون أن ذلك النور والكلام هما أويل جن تجسدت لهم ، وخيالات شياطين تبدت في صور إنسية . هذا ليردوا إفاك الصوفية فيما زعموه من رؤية نور الله وسماع كلامه . والحق أن الصوفية لم يروا نورا ، ولم يسمعوا كلاماً ، والحق أنهم كاذبون كاذبون مفترون ، يدعون هذا بغية استعباد الخيائل والمفاليك لشهوات الجريمة التي تلتظ على أنيابهم ، وينزوي قبحها من صدورهم . وفي الكتاب والسنة ما يشهد بكذبهم ، ويدمغهم بأنهم أحلاس إفاك وبهتان ، فموسى عليه السلام خر صعقاً حين تجلى الله للجبل ، وربنا سبحانه ، ما يكلم إلا رسله وحيا ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء ، أفهؤلاء الدعاة إلى الإثم والوثنية من رسل الله ؟ أتراهم أقوى روحاً من موسى عليه السلام ؟ ألا فلنقتص الكذب والزور نفسه ، أما تصديق دعاويهم ، ثم تعليلها بمثل ما عللها به هؤلاء الشيوخ ، ففيه مشايعة للباطل في بعض ما يفتره ، ومساندة له في أدنأ بهتانه . فالله سبحانه يقول عن الشيطان : إنه يراكم هو وقييله من حيث لا ترونهم ، والرسول الكريم ما رأى الجن وهم يستمعون القرآن ، وعذر الشيوخ أنهم كانوا يعيشون في عصر امتلاء بهذه المؤتفكات ، حتى صارت - وكأنها من مسلمات البديهة - فردوا الباطل بما مكن لهم عصرهم أن يردوه به .

الخارج^(١) . ثم قال^(٢) : وحقيقة قولهم : إن ما تم وجودا [٤٧] إلا هذا العالم ، لا غير ، كما قاله فرعون ، لكن هم يقولون : إن العالم هو الله ، وفرعون أنكر وجود الله - ثم قال - : قيل لبعض أكابره^(٣) : ما الفرق بينكم وبين النصارى ؟ قال : النصارى خصصوا^(٤) ، وهذا موجود في كلام ابن عربي ، وغيره . ينكرون على المشركين تخصيصهم عبادة بعض ، والعارف عندهم يعبد كل شيء^(٥) - ثم قال : ومن المعتقدين الحلول الخاص طائفة من أتباع العبيدية^(٦) الباطنية الذين ادعوا أنهم علويون - ثم قال : وقد اعتقدت طائفة منهم الإلهية في الحاكم^(٧) كالدرزية

(١) أى : يظنون ما تخيلوه حقيقة واقعة ، وما ظنهم هذا عن جهل ، وإنما هو عن خيال يمس الكلب فيخال نفسه أسدا ، والشيطان فيظن نفسه ملاكا .

(٢) أى : ابن النقاش .

(٣) فى الأصل : لما .

(٤) أى جعلوا عيسى وحده رباً وإلهاً ، وكان الواجب - هكذا يفترى الزنادقة -

أن يتخذوا من كل شيء رباً وإلهاً ، لأن الإله عين كل شيء !!

(٥) نص ابن عربي : « والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد

فيه » ص ١٨٥ ط الحلبي .

(٦) نسبة إلى عبيد الله أبى محمد سعيد بن الحسين بن عبد الله القداح من سلالة

ميمون ، وعبيد . هو إمام الشيعة الإسماعيلية فى عصره ، ومؤسس الدولة الفاطمية

ولد سنة ٥٢٦ هـ وآلت إليه زعامة الإسماعيلية سنة ٥٢٨ هـ وتوفى وله من العمر نحو

ثلاث وستين سنة .

(٧) منصور بن عبد العزيز بن المعز الفاطمى ، ادعى الإلهية ، وكان غدورا

سفاكا للدماء ، تثير تصرفاته المتناقضة دهشة بالغة ، تدفع إلى الظن بأنه كان

نهب لوثة عقلية جامحة . ولد سنة ٥٣٧٥ هـ ولقى مصرعه سنة ٥٤١١ هـ على يد عبد بن

لابن دواس ، تنفيذاً لمؤامرة دبرتها له أخته ست الملك للخلاص منه ، وما زال أتباعه

البروز حتى اليوم ينتظرون رجعتهم ؛ إذ يؤمنون بأنه لم يقتل ، وإنما اختفى وسيعود

مرة ثانية .

أتباع شهنكير^(١) الدرزي الذي كان من موالى الحاكم، وأضل أقواما بالشام في وادي تيم الله بن ثعلبة « انتهى .

رأى ابن هشام ، وابن خلدون

ومنهم العلامة جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام^(٢) صاحب المغني وغيره من المصنفات البديعة ، وكتب على نسخة من كتاب الفصوص .

هذا الذي بضلاله ضلّت أوائل مع أواخر

من ظن فيه غير ذا فليناً عنى ، فهو كافر

هذا كتاب فصوص الظلم ، ونقيض الحكم ، وضلال الأمم ، كتاب يعجز الذم عن وصفه ، قد اكتنفه الباطل من بين يديه ومن خلفه ، لقد ضل مؤلفه ضلالاً بعيداً ، وخسر خسراً مبيهاً ؛ لأنه مخالف لما أرسل الله به رسوله ، وأنزل به كتبه وفطر عليه خليقته « انتهى . وقال العلامة قاضي القضاة أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون^(٣) : « إن طريق المتصوفة منحصر في طريقتين^(٤) ، الأولى : وهي

(١) يعني محمد بن إسماعيل المعروف بأنوشتكين البخاري ، أقوى رسل حمزة ابن علي بن أحمد الزوزني المؤسس الحقيقي لمذهب الدرزي ، وقد شرح أنوشتكين أصول مذهبه القائم على أساس تأليه الحاكم في رسالة قدمها إلى هذا ققر به واصطفاه فقوى واشتد نفوذه ، وقد سمي أنوشتكين نفسه بسند الهادي وحياة المستجيبين ، وتذهب بعض الروايات إلى أنه قتل سنة ٤١٠ هـ . وأخرى إلى أنه فر إلى الشام ، وهناك نشر دعوته ، فكانت هي نحلة الدرزي الضالة .

(٢) ولد سنة ٧٠٨ هـ وتوفي سنة ٧٦١ هـ . يقول عنه ابن خلدون : « ما زلنا - ونحن بالمغرب - نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له : ابن هشام ، أنحى من سيويوه » .

(٣) ولد سنة ٧٣٢ هـ وتوفي سنة ٨٠٨ هـ تولى قضاء المالكية بمصر ، يقول عنه المستشرق ديور في كتابه تاريخ الفلسفة في الإسلام : « مفكر مترن يحارب صناعة النجوم بالأدلة العقلية ، وكثيراً ما يعارض النزعة الصوفية العقلية عند الفلاسفة بمبادئ الدين » .

(٤) صوابها : طريقتين . وهكذا ذكرت في العلم الشامخ الذي وردت فيه هذه الفتوى

طريقة السنة ، طريقة سلفهم الجارية على الكتاب والسنة ، والاقتداء بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين^(١) - والطريقة الثانية : وهي مشوبة البدع ، وهي

(١) ما كان من الصحابة ، ولا من التابعين صوفي ، ولم يسم واحد منهم بهذا الاسم المرادف للزنديق ، والصوفية منذ نشأوا وحيث كانوا عصابة تناهت الكتاب والسنة ، لا يفترق في هذا سلفهم عن خلفهم في هذا ، غير أن بعضهم كان أشد جرأة من بعض في البيان عن زندقته ، ودليلنا ما سجله التاريخ الحق ، وما خلفوه هم في كتبهم من تراث وثني طافح بالمجوسية الغادرة ، فتقسيم ابن خلدون هذا مجاف للصواب ، ولكنه خدع كثيره فيما يشقشق به الصوفية من زور النفاق ، إذ يزعمون كاذبين أن طريقهم طريق الكتاب والسنة !! وابن خلدون نفسه يقر بأنه بدعة ، إذ يقول في مقدمته عن التصوف : « هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ! ثم هل في الكتاب والسنة أن قبر الكرخي يقسم به على الله فيستجيب ، ويستشفى به فيهبو الشفاء ، وأن الصوفية هم غياث الخلق ؟ كما زعم القشيري في رسالته ، وهو من سلف الصوفية المتقدمين ، وأقلهم شناعة في إفك التصوف . أجا في السنة أن العزوية تباح لهذه الأمة بعد المائتين من الهجرة ، وأن تربية الجرو أفضل من تربية الولد كما زعم أبو طالب المكي في قوته ، ونسب فريته المانوية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ أفها أن الدين شريعة وحقيقة ، وأن هذه أفضل من تلك ؟ أفها أن المريد لا بد له من شيخ ، وأن من لا شيخ له فشيخه الشيطان ؟ أفها أن قلب المريد بيد شيخه يصرفه بهواه ؟ أفها أن غضب الشيخ من غضب الله ؟ أفها أن المريد يجب أن يكون بين يدي شيخه كجثة الميت بين يدي الغاسل ؟ أفها أن الولي أفضل من النبي ؟ أفها أن العارف يسمع كلام الله كما سمعه موسى ؟ أفها أن الذريات تسبح بحمد الأولياء ، وأن هؤلاء يفقهون تسبيحها ؟ كما زعم الغزالي ؟ تلك بعض مفتريات سلف الصوفية الأقدمين ، بهتوا بها الحق والهدى منذ سمي أول رجل منهم بالصوفي في منتصف القرن الثاني للهجرة وبعده ، وتلك بعض ضلالات أولئك الأول الذين يزعم لهم ابن خلدون - وغيره - أن طريقهم مؤيد بالكتاب والسنة !! أفتنسم على روحك بما نقلته عنهم نسبات حق ، أو عيبر هدى ؟ كلا بل إنه يحموم كفرومجوسية ألا فلنقل الحق : ما من صوفي إلا وهو يسلك طريق الشيطان وحده من سلف ومن خلف . والتقسيم الصحيح للصوفية أن يقال : إنه قسمان : عملي ونظري ، وأن =

طريقة قوم من المتأخرين ، يجعلون الطريقة الأولى وسيلة إلى كشف حجاب الحس لأنها من نتائجها ، ومن هؤلاء المتصوفة ابن عربي وابن سبعين ، وابن برجان وأتباعهم ممن سلك سبيلهم ، ودان بنحلتهم^(١) ، ولهم تواليف كثيرة يتداولونها مشحونة بصريح [الكفر^(٢)] ومستهجن البدع ، وتأويل الظاهر لذلك على أبعاد الوجوه ، وأقبحها مما يستغرب الناظر فيها من نسبتها إلى الملة ، أو عدها في الشريعة ، وليس ثناء أحد على هؤلاء حجة ، ولو بلغ المثني ما عسى أن يبلغ [من^(٣)] الفضل ؛ لأن الكتاب والسنة أبلغ فضلا ، أو شهادة من كل أحد^(٤) وأما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة ، وما يوجد من نسخها بأيدي الناس مثل الفصوص والفتوحات المكية لابن عربي والبد لابن سبعين وخلق النعملين لابن قسي [وعين اليقين لابن برجان ، وما أجدد الكثير من شعر ابن الفارض والعميق التلمساني^(٥) ، وأمثالهما أن يلحق بهذه الكتب ، وكذا شرح ابن الفرغاني للقصيدة الثائية من نظم ابن الفارض^(٦)] فالحكم في هذه = هذا وليد ذلك ، فالنظرية وليدة التطبيق ، ثم نبين خصائص كل من النوعين ، مقارنين بينهما وبين الحق من الكتاب والسنة ، وسترى بعد هذه المقارنة أن التصوف في نشأته وتطوره في سلفيته وخلفيته لا ينتسب إلى الإسلام برحم : دانية ، أو نائية .

(١) في الأصل بتخلقهم ، والتصويب من العلم الشامخ .

(٢،٣) ساقطتان من الأصل ، وأثبتهما عن العلم الشامخ .

(٤) هذا قول يحمد الحق لابن خلدون .

(٥) داعر من زنادقة الصوفية ، لا يحرم فرجاً ، ويبيح نكاح الأم والأخت ، ويرى القرآن كله شركا ، وما عنده غير ولاسوى بوجه من الوجوه . هلك سنة ٦٩٠ هـ أما ابن سبعين فمن القائلين بالوحدة المطلقة ، ولد بمرسيا سنة ٦١٣ هـ . وهلك سنة ٦٦٧ هـ بمكة .

(٦) ما بين هذين [] لم يرد في الأصل ، وأثبتته عن ص ٥٠٠ من العلم الشامخ إذ أورد فيه مؤلفه القبلي نص فتوى ابن خلدون .

الكتب وأمثالها إذهاب أعيانها متى وجدت بالتحريق بالنار ، والغسل بالماء حتى ينمحي^(١) أثر الكتاب ؛ لما في ذلك من المصلحة العامة [٤٨] في الدين بمحو العقائد المختلفة ، فيتعين على ولي الأمر إحراق هذه الكتب دفعاً للمفسدة العامة ، ويتعين على من كانت عنده التمكين منها للإحراق .

رأى الشمس العيزري

ومنهم العلامة شمس الدين محمد العيزري الشافعي في كتاب سماه : الفتاوى المنتشرة . قال عن الفصوص : « قال العلماء : جميع ما فيه كفر ؛ لأنه دائر مع عقيدة الاتحاد^(٢) ، وهو من غلاة الصوفية المحذّر من طرائقهم ، وهم شعبان^(٣) : شعب حلولية يعتقدون حلول الخالق في المخلوق ، وشعب اتحادية لا يعتقدون تعدداً في الوجود في زعمهم أن العالم هو الله ، وكل فريق منهم يكفر الآخر ، وأهل الحق يكفرون الفريقين . ثم قال . ومنهم ابن الفارض صاحب الديوان - وعد جماعة معه - ثم قال : ذكّر هؤلاء بالحلول والاتحاد جماعة من علماء الشريعة المتأخرين ، كالشيخ عز الدين بن عبد السلام وأبي عمرو بن الصلاح ، وابن دقيق العيد ، وشيخ الفقهاء الزين الكتنائي ، وقاضي القضاة الشيخ تقي الدين السبكي ، وحكم بتكفيرهم القضاة الأربعة : البدر بن جماعة ، والزين الحنفي ، والشرف الزواوي ، والسعد الحنبلي^(٤) - ثم ذكر كلام الشيخ أبي حيان فيهم

(١) في الأصل : يتمحي . والتصويب من العلم الشامخ .

(٢) صوابها : الوحدة . فهذا هو دين ابن عربي .

(٣) الحق أنهم ثلاثة : حلوليون ، واتحاديون ، وأهل الوحدة ، ولعل العيزري يستعمل الاتحاد في الدلالة على الوحدة أيضاً .

(٤) تقدم ذكر بعض هذه الفتاوى ، وقد أوردها صاحب العلم الشامخ فطالعتها فيه من ص ٤٩٥ وما بعدها .

من تفسيره البحر^(١) إلى أن قال : - وقد انتدب بعض المغالطين من أهل العلم
ممن يحسن الظن ببعضهم ، ولا صواب معه ، وصنّف تأويلات لنظم السلوك^(٢)
وتعسف بما لا يصح الأخذ به لقوة ظواهر الألفاظ المخارقة جزماً لسياج عصمة
الديانة ، وانتهاك حرمة الربوبية - ثم قال : - ويحوم^(٣) بظاهر كلامه على أنه
هو الله ، وأن الله هو ، وهذا بهتان قبيح ، وكفر صريح - ثم قال : - وكان ابن
الفارض يقول : إنما قتل الحلاج لأنه باح بسرّه ، إذ شرط هذا التوحيد
الكلّم^(٤) .

رأى لسان الدين ابن الخطيب ، والموصلي

ومنهم العلامة لسان الدين محب بن الخطيب الأندلسي المالكي^(٥) في كتابه
روضة التعريف بالحلب الشريف ، وأجاد في تقرير مذهبهم ، ورد ما شاء ، فقال
« الفرع الخامس في رأى أهل الوحدة المطلقة - ثم قال - : وحاصله : أن الباري
- جل وعلا - هو مجموع ما ظهر ، وما بطن ، وأنه لا شيء خلاف ذلك ، وأن
تعدد هذه الحقيقة المطلقة والآنية الجامعة التي هي عين كل آنية ، والمهوية التي هي

(١) سبق ذكر قول أبي حيان :

(٢) هي التائية الكبرى لابن الفارض .

(٣) لا ، بل يسف إسفافاً ، ويصرح بهذا غير موار ولا موارب .

(٤) يعني توحيدهم القائم على أساس اعتقاد أن الحق عين الخلق ، ويجنب بعض
الصوفية عن التصريح المبين بهذا مخافة القتل ، ولذا يقول الغزالي عن هذه المرتبة ،
مخذراً لإخوانه الصوفية : إنها سر الربوبية . وإفشاء سر الربوبية كفر ، ويقول
السهروردي المقتول :

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء العاشقين تباح

(٥) هو ذو الوزارتين مضرب المثل في الكتابة والشعر والطب ومعرفة العلوم

ولد سنة ٧١٣ هـ بقرناطة ، وتوفي سنة ٧٦٦ هـ .

عين كل هوية^(١) إنما وقع بالأوهام من الزمان والمكان والخلاف والغيبية والظهور والألم واللذة والوجود والعدم . قالوا : وهذه إذا حُقِّقت إنما هي أوهام راجعة إلى أخبار الضمير ، وليس في الخارج شيء منها ، فإذا سقطت الأوهام صار مجموع العالم بأسره ، وما فيه واحداً ، وذلك الواحد هو الحق ، وإنما العبد مؤلف من طرفي حق وباطل ، فإذا سقط الباطل - وهو اللازم بالأوهام - لم يبق إلا الحق [٤٩] وصرحت بذلك أقوال شيوخهم ، فنه قول ابن أحلي : حق أقام باطلا ببعض صفاته ، وقال الحلاج وابن العربي : وقد تعرض لما به وقع التعدد ، وأنه وهم ، فالكل واحد وإن كان متفرقاً . فسبحان من هو الكل ، ولا شيء سواه الواحد بنفسه ، المتعدد بنفسه .

ومنهم الحافظ الرحلة شمس الدين أبو عبد الله محمد الموصلي الشافعي ، نزيل دار الحديث بدمشق . فقال . « وفي كلام ابن عربي من الكفر الصريح الذي لا يمكن تأويله شيء كثير يضيق هذا الوقت من وصفه ، ومنه تفسير اسمه : العليّ بأن قال : العليّ على من ؟ وما تمَّ إلا هو^(٢) ! ! وهو المسمى أباسعيد [الخرّاز] .

رأى البساطي

ومنهم شيخنا علامة زمانه قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد البساطي المالكي قاضي مصر . قال في أول كتاب له في أصول الدين في المسألة السادسة في حدوث العالم : « وخالفنا في ذلك طوائف . الأولى : الدهرية ، والثانية :

(١) يعني : أنهم يدينون بأن الله سبحانه عين كل ما بطن ، وعين كل ما ظهر . فالآنية عندهم هي تحقق الوجود العيني من حيث مرتبته الذاتية ، وتدل مواردها على أنها تستعمل في مقابل الماهية : أي المرادفة لمجرد الوجود ، وقد سبق تعريف الهوية .
(٢) في الأصل : العلاء عن من ، وليس ثم غيره ، والتصويب من الفصوص

متأخرو الفلاسفة كأرسطو^(١) ، ومن تبعهم من ضلال المسلمين كابن سينا
والفارابي^(٢) ومن حلى كلامه ، وزخرفه بشعار الصالحين كابن عربي وابن سبعين
ثم قال في الكتاب الثاني في المسألة السادسة في أنه سبحانه ليس متحداً
بشيء : واعلم أن هذه الضلالة المستحيلة في العقول سرت في جماعة المسلمين ،
نشأوا في الابتداء على الزهد والخلوة والعبادة ، فلما حصلوا من ذلك على شيء صفت
أرواحهم ، وتجردت نفوسهم ، وتقدست أسرارهم ، وانكشف لهم ما كانت
الشواغل الشهوانية مانعة من انكشافه^(٣) ، وقد كانت طرق أسماعهم من

(١) أعظم فلاسفة اليونان على الإطلاق ، ولد بمدينة استاجيرا سنة ٣٨٤ قبل
الميلاد ، أستاذه إفلاطون ، ومن تلاميذه اسكندر المقدوني . توفي سنة ٣٢٣ قبل
الميلاد .

(٢) الفارابي : هو محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ أبو نصر ، يقول عنه
ابن خلكان : « أكبر فلاسفة المسلمين ، ولم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه » .
ولد في وسيج قرية تقع في فاراب من بلاد الترك فيما وراء النهر ، حصل علومه في
بغداد على يوحنا بن خيلان ، ومات في دمشق سنة ٣٣٩ هـ عن ثمانين عاماً . أما
ابن سينا فولد في أفشنة على مقربة من بخارى سنة ٣٧٠ هـ . في بيت تسوده تقاليد
فارسية معارضة للإسلام . تقلد الوزارة لشمس الدولة في همدان . وتوفي سنة ٤٢٨ هـ
وهو أشهر وأكبر فلاسفة عصره .

(٣) ما هذا الذي انكشف لهم ؟ لعله صور ما في أذهانهم الخبولة من تهاويل
الجنون . ثم إن الإسلام ليس دين رهبانية ، ولا زهادة تطوى الذات على نفسها
الولهي ، حتى تخمد فيها جذوة الحياة الشاعرة ، وتخبو وقدات الشعور والإحساس
بواجب الدين والنفس والحياة ، وهي طريحة الوهم في غيابة كهفها الساهم المظلم
الحزين ، إنما الإسلام دين العمل والجد ، مع الإيمان المشرق والتقوى ، وانطلاق
النفس في رحاب الوجود ومجاليه ، كادحة في سبيل الله ، لتحقيق الغاية الكبرى ، هي
أن يكون الناس أمة واحدة تتجاوب أرواحهم بالإيمان والمحبة ، وتتجه مشاعرهم في
كل هزة إلى الله وحده ، وتتوحد بواعثهم وغاياتهم في عبادة الله رب العالمين ، معتصمة
بالحق والهدى من الكتاب والسنة .

خرافات النصراني ، أنه إذا حل روح القدس في شيء نطق بالحكمة ، وظهر له أسرار مافي هذا العالم ، مع تشوّف النفوس إلى المناصب العلية ، فذهبوا إلى هذه المقالة السخيفة ، فمنهم من صرح بالاتحاد على المعنى الذي قالته النصراني (١) ، وزادوا عليه أنهم لم يقصروه على المسيح ، كما ذهب إليه الغلاة من الروافض في على رضى الله عنه ، وكذا ما ذهب إليه جماعة في خاتم الأولياء (٢) عندهم من

(١) يرى اليعاقبة من النصراني أن اللاهوت والناسوت يؤلفان في المسيح طبيعة واحدة ، ويزعمون أن الكلمة انقلبت لحما ودمًا ، فصار الإله هو المسيح ، وهو الظاهر بجسده ، بل هو هو ، فإرادة الله وفعله هما إرادة المسيح وفعله ، هذا على حين كان الملكانيون يميزون بين طبيعتين في المسيح اللاهوت والناسوت، ويزعمون أن مريم ولدت لها أزلما ، وأن القتل والصلب وقع على اللاهوت والناسوت ، وأطلقوا اسم الأبوة على الله ، والبنوة على المسيح ، أما النسطوريون ، فكان أكثر تدقيقا من الملكانيين في التمييز بين الطبيعتين ، فأثبتوا للمسيح خصائص الإنسان في الوجود والإرادة والفعل ، ممييزين بين هذا وبين ما للعنصر اللاهوتي ، زاعمين أن الله سبحانه ذو أقانيم ثلاثة : الوجود والعلم والحياة ، ويدعون أن هذه الأقانيم ليست هي زائدة على الذات ، ولا هي هو « قارن بين هذا وبين رأى الأشاعرة في الصفات » وأن الكلمة اتحدت بجسد عيسى لا على طريق الامتزاج كالملكانية ، ولا الظهورية كاليعاقبة ، ولكن كإشراق الشمس على بللور أو النقش في الخاتم .. هذا معتقد النصراني ، ولعلك موقن بعده أن الصوفية أشد إيفالا في الكفر من هذا ، فكل ما نسبته المسيحية المفسفة إلى المسيح من ربوية وإلهية ونبوة نسبته الصوفية إلى كل شيء ، قالت المسيحية : إن الله هو المسيح ابن مريم ، وقالت الصوفية : إن الله هو عين كل شيء . قالت الأولى : إن الله ثالث ثلاثة ، وقالت الصوفية : إن الله هو مالا يحصى ولا يتناهى من الأبدان والعناصر ، فأيهما أدخل في الكفر الحبيث من الآخر ؟

(٢) يدين الصوفية بأن النبوة أعلى من الرسالة ، وبأن الولاية أعلى من النبوة ، فيكون الولي عندهم أسمى مقاما من النبي والرسول ، ولذا يقول ابن عربي :
مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ، ودون الولي

== واستدلوا على إفكهم بأساطير : أولا : للولى يعلم الشريعة والحقيقة ، خبير بالظاهر والباطن ، والنبي والرسول لا يعلمان سوى الشريعة أو الظاهر بحسب . ثانياً : الرسالة والنبوة محددتان بالزمان والمكان ، ولذا تنقطعان ، وقد انقطعتا فعلا ، أما الولاية فلا تحدها مكانية ولا زمانية ، بل هى صنو الديمومة والسرمدية والانطلاق . ثالثاً : الرسول لا يستمد معرفته عن الله مباشرة . بل بواسطة ملك يبلغه الوحي الإلهى ، أما الولى فيستمد الحقيقة فيضا مباشراً من باطن الحقيقة الحمديّة : أى ذات الله مع التعيين الأول . رابعاً : أفضل أسماء الله هو الولى ، وكل موجود هو إسم إلهى تعين فى صورة هذا الموجود ، فيكون الموجود الذى تعين فيه الله باسمه الولى ، أفضل من الذى تعين فيه باسمه الرسول أو النبي ، ولما كان للنبيين خاتم ، فكذلك للأولياء خاتم ، وهو يستمد فيوضات علم الحقيقة مباشرة عن الروح الحمدي ، وهو أشبه ما يكون بالعقل الأول عند أفلوطين ، أو بالكلمة فى المسيحية الفلسفة .

وإليك ما يذكره ابن عربى عن خصائص الولاية وخاتم الأولياء « واعلم أن الولاية هى الفلك المحيط العام ، ولهذا لم تنقطع ، وأما نبوة التشريع والرسالة ، فمقطعة ، والرسول من حيث هو ولى آتم من حيث هو نبي ورسول ، فرجع الرسول والنبي إلى الولاية والعلم » ثم يقول عن علم الحقيقة « ما يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولى الخاتم ، حتى إن الرسل لا يرونه — متى رأوه — إلا من مشكاة خاتم الأولياء » ثم يقول عن الخاتم : « وخاتم الأولياء الولى الوارث الآخذ عن الأصل المشاهد للمراتب » . أنظر ص ١٣٤ ، ص ٦٢ ، ص ٦٤ من فصوص الحكم ط الحلبي ولعل أول من زمزم لهم بهذه الأسطورة السكهنوتية : هو محمد بن على بن الحسن بن بشر المعروف بالحكيم الترمذى — وهو غير صاحب السنن — وألف فيها كتابا سماه ختم الولاية زعم فيه أن خاتم الأولياء يكون فى آخر الزمان ، وأنه أفضل ممن تقدمه من الأولياء ، ومن أبى بكر وعمر ، ومن خصائصه عند اشتغاله بالأعمال القلبية أكثر من اشتغاله بالعبادة ، ولذا زعم الحكيم الترمذى : أن الولاية أفضل من النبوة ، ووضوح الباطل فى هذه الأساطير بين لا يحتاج إلى بيان . وقد رد الإمام ابن تيمية عليها فى الجزء الرابع ص ٥٧ مجموعة الرسائل والمسائل . هذا دين الصوفية فى الولاية والولى وخاتمهم ، ومنه توقن : لم يضيف الصوفية إلى أوليائهم قدرة الله وعلمه ==

الحلول ، ولهم في ذلك كلمات يعسر تأويل كلها لمن يريد الاعتذار عنهم ، بل منها
ملا يقبل التأويل ، ولهم في التأويل خلط وخبط ، كما أرادوا أن يقربوا من
المعقول ازدادوا بعداً ، حتى أنهم استنبطوا قضية حلت لهم الراحة ، وقنعوا في
مغالطة الضرورة بها بالمغيب ، وهي أن ما هم فيه ، ويزعمونه وراء العقل ، وأنه
بالوجدان يحصل ، ومن نازعهم محجوب مطرود عن الأسرار الإلهية ، وفي هذا
كفاية . والله أعلم « انتهى .

البساطى وشرحه للتائية

وقد قام في زماننا ناس حدثان الأسنان سفهاء الأحلام ، أرادوا [٥٠]
إظهار هذا المذهب ، ثم أخزاهم الله تعالى ، فقلقلوا كل مُقلِّل ، وكان مما قالوه :
أن الشمس البساطى هذا منهم ، وأنه شرح تائية ابن الفارض ، فاستبعد هذا منه .
وإن كان ما قالوه صحيحاً ، فقد قضى على نفسه في كلامه هذا ، بأنه خرج من
دائرة العقل . ثم يسّر الله - وله الحمد - الاطلاع على الشرح المنسوب إليه ، فإذا
هو برىء مما فرقوه به كما كنت أظن ، فرأيتك قال في أوله : « أما بعد : فهذا
كتاب شرح قصيدة ابن الفارض ، ولباب فتح ، وصيد الحنّ [ابن] الفارض
على وجه أنا نبين مراده من كلامه بقدر فهمنا المقصوده منه ، ولا يلزمنا صحة
ماقاله في العربية لفظاً ، أو في الشريعة معنى ، أو استحساناً ، عقلاً أو شرعاً أو
عرفاً » ثم تسكّم على الأبيات على وجه يظهر منها حملها على موافقة الشرع
ما أمكنه ، فإذا عجز صرّح في ذلك الموضوع بما يليق به من الحكم عليه من غير

= وحكته وربوبيته وإلهيته ؟ وتوقن : لم نحارب هذه الولاية المزعومة ؟ وسنظل
بعون الله ندمر هذه الطواغيت والأصنام ، داعين الناس إلى أن يكونوا من أولياء
الله الذين وصفهم رب العالمين : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ،
الذين آمنوا وكانوا يتقون » .

محاكاة ، ولا تحامل ، فظن الجهمية الذين جُلُّ اعتقادهم في تدرّيج ضلالهم على الكذب مكرراً منهم كما قال ابن عربي تبعاً لقدماء الباطنية أن الدعوة إلى الله مكر - أنه^(١) ليس في الشرح ما يدل على عوار مذهبهم الخبيث إلا في الخطبة ، فقطعوا الورقة الأولى من النسخة التي بخطه ، وكتبوا عوضها من غير خطبة ، ففضحهم الله بهذه النسخة التي ظفرت بها . وقال^(٢) في شرح قوله :

وهأنا أبدى في اتحادى مبدئى وأنهى انتهائى في تواضع رفعتى
إلى أن قال :

فإن لم يجوز رؤية اثنين واحدا
سأجلو إشارات عليك خفية
وأثبت بالبرهان قولى ضاربا
بمتبوعة^(٣) ينبئك في الصرع غيرها
مانصه^(٤) : « ومن ظن هذا برهانا ، فجنونه أعظم من جنون المتبوعة » .

وقال في شرح قوله :

ولى من أتم الرؤيتين إشارة تنزه عن دعوى الحلول عقيدتى

(١) أن ومعمولاها مفعولا ظن في قوله قبل : فظن الجهمية

(٢) أى البساطى

(٣) المرأة التي تزعم الأساطير أن لها تابعا من الجن «راكبها عفريت» ، وعلى فرض أن الأسطورة حق ، فإنها لا تصلح وهما من دليل لابن الفارض ، فالجن حين يتلبس بالمرأة يكون حالا فيها - هكذا تقول الأسطورة - وهو ينكر الحلول ، ثم إن التابع يفارق أحيانا متبوعته ، وهذا يستلزم كونها غير إله في وقت ما وهو ينكر الغيرية ، ثم إن جنى هذه ليس جنى تلك ، وهذا يستلزم الغيرية أيضا وهو يزعم أن هوية الحق في بكر عينها في خالد . واعجب لدين يجعل الأساطير برهانه ، والخرافة من مقوماته !! وماذا يكون غير دين الصوفية ؟ !

(٤) مقول قوله قبل : وقال في شرح

وما قبله ، وما بعده مما ادعى فيه أن الله يتجلى به ، ويتجلى بصورته من غير
حلول ، مانصه^(١) : « ولسكن دعوى تجلى الله بصورة ما مكفّر^(٢) بها شرعاً
بإجماع المسلمين والكافرين من آمن به^(٣) ، وإن لم يكن حلولا »

رأى ابن حجر والبلقيني وغيرها

ومنهم شيخنا شيخ الإسلام حافظ عصره قاضي القضاة أبو الفضل بن حجر ،
وشيخه شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني^(٤) ، فقال في ترجمة
عمر بن الفارض في لسان الميزان بعد أن ذكر ترجمة الذهبي له بأنه شيخ الاتحادية
وأنه ينطق بالاتحاد الصريح في شعره : « وقد كنت سألت شيخنا سراج الدين
البلقيني عن ابن العربي ، فبادر بالجواب بأنه كافر ، فسألته عن ابن الفارض ،
فقال : لا أحب التكلم فيه ، فقلت : فما الفرق بينهما ، والمهيم واحد ؟ !
وأشدته من التائية [٥١] فقطع على بعد إنشاد عدة أبيات بقوله : هذا كفر ،
هذا كفر » .

ومنهم الشيخ ولي الدين العراقي وأبوه كما تقدم في الفص الموسوي وغيره ،
ومنهم العلامة برهان الدين السفايني صاحب الإعراب ، ونظم قصيدة طويلة
يتحرق فيها ، ويندب أهل الإسلام لهؤلاء الضلال ، فقال فيها :

فشيخهم الطائي^(٥) في ذاك^(٦) قدوة يرى كل شيء في الوجود هو الحق^(٧)

(١) مقول قوله قبل : وقال في شرح

(٢) في الأصل : مكر . والنصويب من الأصل نفسه ، إذ ورد فيه هذا النص
مرة أخرى .

(٣) أي : من آمن بتجلى الله في صورة ما في الدنيا

(٤) ولد سنة ٨٠٥ هـ ، ولى إفتاء دار العدل وقضاء دمشق ، ثم عاد إلى القاهرة
توفي سنة ٨٠٥ هـ .

(٥) يعني : ابن عربي .

(٦) في الأصل : ذلك . وهو خطأ يختل به وزن البيت

(٧) أي الله سبحانه

وكم من غويّ كابن سبعين مثله وكأهم بالكفر قد طوّقوا طوقا
وكالشترى القونوي ، وابن فارض ، فلا برّد الله تراهم ، ولا أسقى
ومن كفر ابن الفارض بصريح اسمه شيخنا محقق عصره ، قاضي القضاة
شيخ الإسلام محمد بن علي الغاياتي الشافعي^(١) . أخبرني عنه بذلك الثقة من غير
وجه ، وأخبرني الثقة عن الشيخ مدين^(٢) أنه قال : الثائية هي الفصوص ،
لا فرق بينهما ، وقد كان المذكور رأس صوفية عصرنا .

مقتل الحلاج

ومنهم الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي الشافعي ، وقال : « هؤلاء
كلهم يقتفون في مسالكهم هذه طريقة الحسين بن الحلاج الذي أجمع الفقهاء
في زمانه على كفره وقتله ، قاله الإمام أبو بكر المازري الفقيه المالكي » قلت :
وما قاله القاضي عياض كما تقدم نقله عنه في مقدمة هذا الكتاب . والله الموفق .
قال : « وقد بسطت سيرته في التاريخ بعد الثلاثمائة ، وذكرت صفة قتله ،
 واجتماع الكلمة على تكفيره من العلماء والصوفية العباد ، سوى ابن عطاء وابن
خفيف ، حتى أنشدتهما بعضهم من شعره قائلا : ماتقولان في قول بعض الشعراء :

سبحان من أظهرنا سوته^(٣) سرّاً سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهرا في صورة الآكل والشارب

(١) ولد سنة ٧٨٥ تقريبا . وتوفي سنة ٨٥٠ هـ

(٢) هو مدين خليفة الأشموني ، نسبة إلى أشمون جريس من أعمال المنوفية
ولد بها سنة ٧٨١ تقريبا ، وتوفي في ربيع الأول سنة ٨٩٢ هـ يقول عنه السخاوي :
« وأما في تحقيق مذهب القوم فهو حامل رأيه ، والخصوص بصريحه وإشاراته
مع أنه لم يكن يتكلم فيه إلا بين خواصه »

(٣) تقرأ بالضم وبالفتح ، وهي بالضم أدق في الدلالة على دين الحلاج

حتى لقد عاينه خلقه كحظفة^(١) الحاجب بالحاجب
فقالا : هذا شعر الزنادقة^(٢) ، فقال : هذا شعر الحسين بن منصور الخلاج ،
فلعنا الخلاج ، ورجعا عنه « انتهى .

رأى الذهبي

وَمَنْ صرَحَ بكفره ، وأحسن في بيان أمره حافظ عصره شمس الدين محمد بن
أحمد بن عثمان الذهبي ، فقال في كتابه تاريخ الإسلام بعد خط الحافظ سيف الدين
ابن المجد على الحريري المتصوف : « فكيف لو رأى الشيخ كلام ابن عربي
الذي هو محض الكفر والزندقة ، لقال : هذا الدجال المنتظر ، ولكن كان
ابن العربي^(٣) منقطعاً عن الناس ، إنما يجتمع به آحاد الاتحادية^(٤) ، ولا يصرح
بأمره لكل أحد ، ولم تشتهر كتبه إلا بعد موته ، ولهذا تمادى أمره ، فلما كان
على رأس السبعائة جدد الله لهذه [الأمة] دينها بهتكه وفضيحتة ، ودار بين
العلماء كتابه الفصوص ، وقد خط عليه الشيخ القدوة الصالح إبراهيم بن معضاد
الجمبري فيما حدثني به شيخنا ابن تيمية عن التاج [٥٢] البارباري أنه سمع الشيخ
إبراهيم يذكر ابن عربي : كان يقول بقدوم العالم ، ولا يجرم فرجا ، وحكى عنه
ابن تيمية أنه قال لما اجتمع^(٥) بابن عربي رأيت شيخاً نجساً يكذب بكل كتاب
أنزله الله ، وبكل نبي أرسله الله^(٦) . »

(١) في الأصل : كخطة ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبتته

(٢) أي من أنشدهما من شعر الخلاج

(٣) اصطلاح أهل المشرق على تسميته بابن عربي ، أي من غير آل ، تمييزاً له من

أبي بكر بن العربي القاضي الفقيه المالكي

(٤) ابن عربي زعيم وحدة الوجود لا الاتحاد

(٥) أي ابن معضاد

(٦) انظر مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٧٦ ، ففيها نص ما ذكر هنا

رأى ابن تيمية وغيره من العلماء

وقال الإمام أبو العباس أحمد ابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : « وقد صنف بعضهم - أي أهل الاتحاد - كتباً وقصائد على مذهبه ، مثل قصيدة ابن الفارض المسماة : بنظم السلوك ، يقول فيها - وذكر منها عدة أبيات^(١) - ثم قال : إلى مثل هذا الكلام - أي الدال على الاتحاد - ، ولهذا كان عند الموت ينشد^(٢) :

إن كان منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيتُ فقد ضيّعت أيامي
أُمْنِيَّةٌ ظفرت روحى بها زمنا واليوم أحسبها أضغاث أحلام
فإنه كان يظن أنه هو الله ، فلما حضرت ملائكة الله لقبض روحه ، تبين له بطلان ما كان يظنه^(٣) » وقال في إفتائه الذي استفقاه فيه الشيخ سيف الدين عبد اللطيف بن بلبان السعودي ، بعد أن حكى جملة من أقوال ابن عربي صريحة في الكفر : « فإن صاحب هذا الكتاب المذكور الذي هو فصوص الحكم ، وأمثاله مثل صاحبه القونوي^(٤) - يعنى صدر الدين - والتلمساني وابن سبعين ، والششتري وابن الفارض وأتباعهم ، مذهبهم الذي هم عليه أن الوجود واحد ، ويسمون أهل وحدة الوجود ، ويدعون التحقيق والعرفان ، وهم يجعلون وجود

(١) مما استشهد به ابن تيمية قول ابن الفارض :

لها صلواتي بالمقام أقيمها وأشد فيها أنها لي صلت
كلانا مصل واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سوى ولم تكن صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

(٢) أى ابن الفارض

(٣) انظر ص ٨٣ وما بعدها من الفرقان ط ١٣٦٦ هـ ، ص ٧٦ ج ٤

مجموعة الرسائل والمسائل

(٤) محمد بن إسحاق من أهل الوحدة . هلك سنة ٦٧٣ هـ

الخالق عين وجود المخلوقات ، فكل ما تتصف به المخلوقات من حسن وقبح ومدح وذم إنما المتصف به عندهم عين الخالق^(١) ، وليس للخالق عندهم وجود مُبَيَّن لوجود المخلوقات منفصل عنها ، بل عندهم ما شَمَّ غير أصلاً للخالق ولا سواه فعباد الأصنام لم يعبدوا غيره عندهم ، لأنه ما عندهم له غير ، وأما العلامة ابن دقيق العيد ، فذكر أنه سمع عز الدين بن عبد السلام يقول في ابن عربي : شيخ سوء كذاب « ومن حط عليه ، وحذر منه الشيخ القدوة إبراهيم الرقي^(٢) - ثم ذكر جماعة ممن تقدم ذكرهم في إفتائهم بأن كتابه الفصوص فيه الكفر الأكبر ، وقد ذكر ابن أبي حجلة أيضاً عن غير هؤلاء ممن كفر هذه الطائفة من علماء الإسلام وذكر في كلام كل منهم في إبطال هذا المذهب ما لا لبس فيه ، وفيما ذكرته مقنع ، وذكر الحافظ تقي الدين الفاسي^(٣) في كتابه فيه : « بمن كفره الإمام أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضري ابن خلدون قاضي المالكية بمصر ، وقال في فتوى ذكرها^(٤) فيه ، وفي أضرابه ، فيتعين على ولي الأمر إحراق هذه الكتب دفعاً للمفسدة العامة^(٥) .

(١) قال ابن عربي في الفصوص : « فالعلى لنفسه هو الذي يكون له السكالم الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية والنسب العدمية ، بحيث لا يمكن أن يفوته نعت منها ، وسواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً ، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً ، وليس ذلك إلا لمسمى الله تعالى خاصة » ص ٧٩ فصوص . فما ينسبه ابن تيمية إليهم صدق وحق في شأنهم

(٢) ولد سنة ٨١٢ هـ وتوفي سنة ٨٨٤ قال عنه السخاوي : ونعم الرجل كان رحمه الله وإيانا

(٣) محمد بن أحمد بن علي . ولد سنة ٧٧٥ هـ بمكة . وتوفي سنة ٨٣٢ هـ

(٤) سبق ذكر هذه الفتوى

(٥) في هامش الأصل جاء ما يأتي : « قلت : رأيت مصر حاربه في كتابه

» يعني ابن خلدون « عيون العبر ، وديوان المبتدأ [والخبر] ، وفصل هناك تفصيلاً زائداً ، وهو كتاب لا نظير له »

ومما ذكره الفاسي أيضاً من مكفره : الإمامان رضى الدين أبو بكر بن محمد بن صالح [٥٣] الجبلي المعروف : بابن الخياط^(١) الشافعي مدرس المعينية بقرن ، ومفتي تلك النواحي ، والقاضي شهاب الدين أحمد بن علي الناشري^(٢) الشافعي مفتي زبيد ، وفاضل اليمن شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المقرئ^(٣) الشافعي ، قال : « وبيّن من حال ابن عربي ما لم يبينه غيره » وقال : وأما من أثنى على ابن عربي ، فلفضله وزهده ، وإيثاره ، واجتهاده^(٤) في العبادة ، ولم يعرفوا ما في كلامه من المنكرات ، لاشتغالهم عنها بالعبادات . وقال الفاسي أيضاً « وبعض المثنيين عليه يعرفون ما في كلامه من المنكرات ، ولكنهم يزعمون أن

(١) من كبار علماء اليمن ولد سنة ٧٧٢ هـ يقول عنه السخاوي « انتهت إليه رئاسة الفقه ، وجرى بينه وبين المجدد الشيرازي مراجعات ، بسبب إنكاره على المشتغلين بكتب ابن عربي » توفي سنة ٨١١ هـ

(٢) ولد سنة ٧٨٩ هـ ، وهو من كبار علماء اليمن ، ولى قضاء زبيد نيابة عن والده . توفي سنة ٨٥٤ هـ

(٣) ولد سنة ٨٠٨ هـ وتوفي سنة ٨٧٥ هـ له قصيدة طويلة يذم فيها الصوفية ويحذر منهم ، منها :

حوتهن كتب حارب الله ربها وغربها من غر بين الحواضر
تجاسر فيه ابن العربي واجترا على الله فيما قال كل المتجاسر
فقال بأن الرب والعبد واحد فربي مربوب بغير تغاير
وأنكر تكليفا ، إذ العبد عنده إله وعبد ، فهو إنكار فاجر
وقال : تجلي الحق في كل صورة تجلي عليها ، فهي إحدى المظاهر
فسبحان رب العرش عما يقوله أعاديه من أمثال هذي الكبائر
فكذبه يا هذا تكن خير مؤمن وإلا فصدقه تكن شر كافر

وتقع هذه القصيدة في ستة وسبعين بيتا ، نقلها القبلي في كتابه العلم الشامخ ص ٥٠٤

(٤) أي فضل لابن عربي ؟ إيمانه بأن فرعون هو الله ؟ أم عشقه بمسكة امرأة زعم لها بعد أنها هي الله ؟

لها تأويلات ، وحملهم على ذلك كونهم تابعين لابن عربي في طريقته ، فنناوهم على ابن عربي مطروح لتزكيتهم معتقدهم .

رأى علاء الدين البخارى

ومن كفر أهل هذا المذهب شيخ مشايخنا نادرة زمانه علاء الدين محمد بن محمد بن محمد البخارى الحنفى ، وصنف فيهم رسالة سماها : « فاضحة الملحدين ، وناصحة الموحدين » ويبيّن أن وحدتهم الوحدة التى قرر أصلها بعضُ الفلاسفة ، لا التى يسميها أهل الله : الفناء^(١) ، ونقل عن القاضى عضد الدين تكفيرهم ، فإنه قال فى وصفه لابن عربى : « يحكى عنه أنه كان كذاباً حشاشاً كأوغاد الأوباش » فقد صح عن صاحب كتاب المواقف عضد الملة والدين ، أعلى الله درجته فى عليين ، أنه لما سئل عن كتاب الفتوحات لصاحب الفصوص حين وصل هنالك قال : « أفتطمعون من مغربى يابس المزاج بجزيرة مكة ، ويأكل الحشيش شيئاً غير ذلك ؟ وقد تبعه - أى ابن عربى - فى ذلك ابن الفارض حيث يقول : أمرنى النبى صلى الله عليه وسلم بتسمية التائمية : نظم السلوك !! إذ لا يخفى على العاقل أن ذلك من الخيالات المتناقضة الحاصلة من الحشيش ؛ إذ عندهم أن وجود الكائنات هو الله تعالى ، فإذن الكل هو الله ، لا غير ، فلا نبى ، ولا رسول ، ولا مرسل إليه ، ولا خفاء فى امتناع النوم على الواجب ، وفى امتناع افتقار الواجب إلى أن يأمره النبى بشيء فى المنام ، لكن لما كان لكل ساقطة لاقطة ، ترى طائفة من الجهال ذلت أعناقهم لها ، خاضعين أفراداً وأزواجاً ،

(١) هذا اصطلاح صوفى ابتدعه الضالون تمهيداً لتقرير وحدة الوجود ، وظنى أن أول من تكلم به هو طيفور بن عيسى البسطامى ، فكيف يكون هذا من تسمية أهل الله ؟ وما قرره فى مفهومه الصوفى الكتاب ولا السنة ، ولا تكلم به صحابى ولا تابعى

(٢) كذا بالأصل : ولعلها : حرم مكة

وشرذمة من الضلال يدخلون في فسوق الكفر بعد الإيمان ، زمرأً وأفواجا مع أنهم يرون أنه اتخذ آيات الله ، وما أُنذروا به هزواً ، وأشرك جميع المكفات - حتى الحباث والقاذورات - بمن لم يكن له كفواً أحد .

تحقيق معنى الكافر والملحد والزنديق والمنافق

وقال في آخر رسالته : « إنهم يسمون كفرة وملاحدة وزنادقة ، وذلك أن الكافر اسم لمن لا إيمان له ، فإن أظهر الإيمان من غير اعتراف بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم خص باسم المنافق ، دون الزنديق ؛ لأن الله تعالى لم يسم الذين فاقوا [٥٤] في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زنادقة ، فدروز^(١) الشام - على ما تشهد به كتبهم الملعونة - إنما يظهرون الإيمان ، ولا يعترفون بنبوة النبي عليه الصلاة والسلام ، فهم مباحيون منافقون ، لازنادقة على ما يتوهم ذلك ؛ لعدم التفرقة بين المنافق والزنديق ، وإن طرأ كفره بعد الإيمان خص باسم المرتد ؛ لرجوعه عن الإيمان ، وإن قال بإلهين أو أكثر خص باسم المشرك ؛ لإثباته الشريك في الألوهية ، وإن كان متدينا ببعض الأديان والكتب المنسوخة خص باسم الكتابي ، كاليهود والنصراني ، وإن كان يقول بقدم الدهر ، واستناد الحوادث ، خص باسم الدهري ، وإن كان لا يثبت الصانع خص باسم المعطل ، وإن كان مع اعترافه بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإظهار شعائر الإسلام ، يتبطن عقائدهم ككفر بالاتفاق خص باسم الزنديق ، وهو في الأصل منسوب

(١) واضع نحلتهم محمد بن إسماعيل الدرزي ، وقد تقدمت ترجمته ، والدروز لا يضيفون الألوهية إلا إلى الحاكم ، ويدينون برجعه آخر الزمان ، وينكرون الأنبياء والرسل جميعاً ، وينكرون أصول الإسلام والنصرانية واليهودية ، ويغضون في الباطن جميع أبناء الأديان الأخرى ، ولا سيما المسلمين ، ويستبيحون دماءهم وأموالهم ، ويفترون أن القرآن من صنع سلمان الفارسي ، وهم الآن بالجيل المسمى باسمهم في سوريا ، انظر كتاب الحاكم بأمر الله للأستاذ محمد عبد الله عنان

إلى زند^(١) اسم كتاب أظهره مزدك^(٢) في أيام قباز ، وزعم أنه تأويل كتاب
المجوسى الذى جاء به زرادشت^(٣) الذى يزعم أنه نبيهم ، وإن كان مع تبطن
تلك العقائد الباطلة يستحل الفروج ، وسائر المحرمات بتأويلات فاسدة ، كما
يزعم الباطنة والوجودية^(٤) خص باسم الملحد . والزنديق فى عرف الشرع : اسم
لما عرفت^(٥) ، لا لسكل من صدر عنه فعل ، أو قول يوجب الكفر على ما هو

(١) ليس من وضع مزدك ، وإنما هو شرح زرادشت لكتابه هو المسمى أفستا
(٢) ظهر مزدك بفارس سنة ٤٨٧ م ، وهو ثنوى يدين بالنور والظلمة . أما
دعوته الاجتماعية فيتحدث عنها الشهرستانى بقوله : « أحل النساء ، وأباح الأموال
وجعل الناس شركة فيها » وحين اشتدت وطأة بعض الخلفاء العباسيين على المزدكيين
فر زعمائهم إلى أوروبا . وتستطيع بهذا إدراك ما بين المزدكية والشيوعية من صلة ،
وتعرف المصدر القديم لهذه

(٣) يزعم الفرس أنه نبي ، ولد حوالى سنة ٦٦٠ قبل الميلاد ، وقد وضع دينا
ليس بمجديد كل الجدة ، بل أرسى أصوله على أسس من الديانة الفارسية القديمة ،
ومات حوالى سنة ٥٨٣ ق م . وكتابه الذى يزعم أنه أوحى إليه به يسمى : أفستا ،
أو أبستاق كما يسميه المسعودى فى مروجه ، وزرادشت بمن يدينون بأصلين ،
أحدهما : أصل الخير ، ويسميه « أهورا مزدا » والآخر : أصل الشر ، ويسميه
« أهرمن » ويزعم زرادشت أن بين الأصلين نزاعا دائما ، بيد أن الخير سيهزم
الشر فى النهاية ، لذا كانت نزعته تفاؤلية ، غير مبالغ فى دعوته إلى الزهد ، بل
أباح التمتع بالطيبات ، وفى ديانته ما يوحى بأنه كان يؤمن بالبعث والجزاء على
تصور وتصوير خرافيين ، ويرى بعض الباحثين أن زرادشت كان موحدًا يؤمن
بأن مافى العالم من خير وشر أثران للاله الواحد . انظر الملل والنحل ، ومروج
الذهب ج ١ ، والكامل لابن الأثير ج ١ ، وتاريخ ابن خلدون ج ١ .

(٤) القائلون بوحدة الوجود

(٥) ذكر الشهاب الحفاجى فى شفاء الغليل أن لفظ الزنديق ايس عربيا ،
وذكر عن أبى حاتم أنه فارسى معرب « زندکرد » أى عمل الحياة ، ثم ذكر كلاهما
طويلا يظهرنا على مدى ما بين أئمة اللغة وغيرهم من اختلاف بين فى تحديد مفهوم =

متعارف أهل عصرنا ، وقد يتوهم بناء على عدم الشعور بمعنى الحلول والاتحاد ، أن الوجودية حلولية ، أو اتحادية ، وليس كذلك ؛ إذ الحلول والاتحاد إنما يكون بين موجودين متغايرين في الأصل ، والوجودية يجعلون الله تعالى عين وجود الممكنات ، فلا مغايرة بينهما ، ولا اثنيانية ، فلا يتصور ههنا الاتحاد والحلول ،

هذه الكلمة .. والحق أنه ليس في الشرع ولا في اللغة تحديد جامع مانع لمفهومها والحق أن الزنديق لفظ غامض مشترك ، لم يطلق بمعنى واحد في كل عصر ، ولا على قوم بخصوصهم ، بل تعددت معانيه ، واختلفت إطلاقاته ، فقرأه أطلق على كل من اعتنق ديناً فارسياً كالمناويين والزرادشتيين والمزدكيين والديصانيين ، أعنى على كل تنوى فارسى ، وقرأه أطلق على كل ملحد ، وكل مبتدع ، وكل ماجن من الشعراء وغيرهم . قال بشار يهجو ابن أبي العوجاء

لا تصلى ، ولا تصوم ، فإن صمت ، فبعض النهار صوماً دقيقاً
لا تبالي إذا أصبت من الخمر عتيقاً ألا تكون عتيقاً
ليت شعري غداة حليت في الجنـد حنيفاً حليت ، أم زنديقاً
وقال أبو نواس : تيه مغن ، وظرف زنديق . قال الصولي « وإنما قال ذلك لأن الزنديق لا يدع شيئاً ، ولا يمتنع عما يدعى إليه ، فنسبه إلى الظرف لمساعدته على كل شيء وقلة خلافه » والتأمل في تاريخ الكلمة يلحظ أنها أطلقت أول ما أطلقت على تنوية الفرس ، وعلى من أعدهم الفرس بتنويتهم من العرب . وهذا يجعلنا نؤمن بالتطور في تاريخ هذه الكلمة ، نؤمن بأنه قصد بها أولاً كل تنوى فارس ، ثم توسع بعد هذا في مفهومها ، فتعددت تبعاً لهذا التوسع إطلاقاتها ، فإنك لتجد صلة قوية بين كل من أطلق عليهم هذا اللفظ بعد ، وبين الثنويين : إما في دين ، وإما في خلق ، وإما في نزعات الشاعر والأحاسيس . والتصوف - بدراسة دقيقة لتاريخه - ما هو إلا امتداد لهذه المؤامرات التي قام بها الزنادقة الأول ، إفساد العقائد ، فيفسد المسلمون ، فلا تكون لهم دولة ولا جامعة ، بيد أن الشيطان أوحى إلى أوليائه تسميتها صوفية !! يا للمجوسية تراءى للمسلمين في وشاح من الربانية ، وشفوف من الروحانية العليا في الإسلام ، وبالللمسلمين بينهم كتاب الله ، ويخضعهم هذا الزيف المجوسى !! انظر أمالى المرتضى ج ١ ، شفاء الغليل للخفاجى ، ضحى الإسلام ، من تاريخ الإلحاد للدكتور بدوى

بل زندقة أخرى أنجس منها باطلة ببديهة العقل ؛ إذ القائلون بها يجعلون الله تعالى أمراً اعتبارياً لا وجود له في الخارج .

بعض مصطلحات الصوفية

وقال^(١) « إن الملاحدة عبروا عن ضلالتهم بعبارات العارفين بالله^(٢) ، يتسترون بها في زندقتهن ، فينبغي الحذر من ذلك ، فأرادوا بالفناء نفي حقائق الأشياء ، وجعلوها خيالا وسرابا على ما هو مذهب السوفسطائية^(٣) ، وبالبقاء ملاحظة الوجود المطلق ، وبالوحدة المطلقة كون ماسوى الوجود من الأشياء خيالا وسراباً ، وكون وجود جميع الأشياء - حتى وجود الحياث والقاذورات^(٤) - إلهاً ، وذلك

(١) أي علاء الدين البخاري

(٢) التسمية بالعارف بدعة صوفية ، تخفى وراءها كيدا خفياً للشريعة ، إذ الغاية عندهم المعرفة وحدها لا العبادة ، معرفة أن الحق عين الخلق . أما الغاية الحقة لكل مسلم ، فهي الإيمان الصحيح مع التوحيد الخالص ، مع التقوى ، وكم من عارف صوفي دينه أساطير ، ودعوته مجوسية

(٣) مشتق من الكلمة اليونانية « سوفيا » أي الحكمة ، والسوفيست هو الحكيم ، وبه لقب رجال هذه المدرسة أنفسهم ، ولكنها تطورت معهم ، وتغير مدلولها بهم ، حتى صارت تدل على المغالطة والتشكيك والممارة . والصيغة العامة لمذهبهم الفكري إنكار الحقيقة المطلقة ، والجزم باستحالة الحكم العام ، فالحقائق عندهم اعتبارية كلها ، ومقياس الحقيقة هو الإحساس الفردي ، فما يراه شخص ما حقاً ، فهو حق ، وإن كان غيره يراه موغلاً في تيه الباطل . وأشهر زعماء هذه المدرسة التي عاشت قبل سقراط « پروتاجوراس ، وجورجياس » أما عقيدتهم في الإلهية فيوضحها قول الأول « لا أستطيع أن أعلم إذا كان الآلهة موجودين ، أم غير موجودين » ونرى شبهة واضحة بين السفسطائية والصوفية في المنهج وفي النتائج فالأولون يرون الإحساس الفردي مصدر المعرفة ومقياسها ، والآخرون يرون الذوق الفردي ، وكلاهما يدين بأن الحقائق اعتبارية

(٤) نسبة هذا إلى الصوفية ثابتة صادقة

غير ما أراده العارفون ، فإنهم أرادوا بها معاني يصدقها الشرع^(١) ، وهم مصرحون بأن كل حقيقة يردّها الشرع فهي زندقة ، وأنه ليس في أسرار المعرفة شيء يناقض ظاهر الشرع ، بل باطن الشريعة يتم بظاهره ، وسره يكمل صريحه [٥٥] ولهذا إذا انكشفت على أهل الحقيقة أسرار الأمور على ما هي عليه^(٢) ، نظروا إلى الألفاظ الواردة في الشرع ، فما وافق ماشاهدوه قرروه ، وما خالف أولوه بما يطابق الشرع ، كآيات المتشابهة^(٣) ، ولا يستبعد وقوع المتشابه في الكشف ابتلاء

(١) ما في الشرع تلك الزمزمات الكهنوتية التي يزعم البخاري أنها من حقائق العارفين ، فما في القرآن ، ولا في السنة ، ولا في قول صحابي ، أو تابعي ، أو مؤمن ما يسمى : الفناء ، البقاء ، الوحدة المطلقة ، فناء الفناء . ما في الشرع مطلقا أثارة من هذه بدلائلها الصوفية ، اللهم إلا إذا شاءوا وصف القرآن بأنه خلى من المعارف الإيمانية الحقّة ، أو الرسول والصحابة والتابعين بأنهم غير عارفين . هنالك في الإسلام مرتبة عليا هي الإحسان : وهي « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك » فلم يبغض الصوفية هذه المرتبة ؟ !

(٢) هذا بهتان صوفي ، فالذي يعلم ويدرك أسرار الأمور على ما هي عليه هو الله رب العالمين وحده ، بيد أن المس الصوفي يجري على لسان العلاء البخاري تهاويل الحرافة والأسطورة

(٣) في قوله بما يطابق الشرع تلبيس ، فالتأويل إنما ابتدعه أصحابه ، ليجعلوا النقل مطابقا للعقل ، إذ القاعدة عندهم : العقل أصل النقل ، والعقل حاكم على النقل ، فما لم يرتضى واحد من المؤولة بعضا من الكتاب والسنة ، أول هذا الذي لم يرتضه ، أو بتعبير أدق : جرده من معانيه الأصلية الصحيحة ، ووضع له معاني من عنده ، حتى يطابق — في زعمه — ما يحكم به العقل !! ولكن عقل من ؟ ! هذا ما نطلب الجواب عنه من المؤولة ، وستظل علامة الاستفهام هذه أمام العقل دون أن يحير عنها جوابا ، ثم إنه لم يبدن بالتأويل سوى من سموهم خلفا ، أما الصحابة والتابعون والسلف الصالحون ، فلم يروا أحدا منهم في آيات الصفات وأحاديثها ما يرعش طمأنينة الإيمان واليقين الثابت في الأعماق المشرقة من قلبه ، ولم يصفها أحد منهم بأنها من المتشابه ، ولم يؤول أحد منهم شيئا منها مطلقا ، =

لقلوب العارفين^(١) ، كما أن وقوع المتشابه في الشرع ابتلاء لقلوب الراسخين ، فأراد بالبقاء التخلق بالأخلاق الإلهية ، والتنصّل عن كدورات الصفات البشرية والفناء عندهم عبارة عن اطمحلال الكائنات في نظرهم مع وجودها ، وعن الغيبة عن نسبة أفعالهم إليهم ، وكذا الوحدة المطلقة عبارة عن مشاهدة الله - لا غير - بين الموجودات لاطمحلالها مع تحققها ووجودها عند ظهور أنوار التجليات ، كاطمحلال الكواكب مع وجودها عند ظهور نور الشمس في النهار ، فإن كان العارف في هذه الحال يرى نفسه ، فذلك هو الفناء في التوحيد ، وهو مرتبة الخواص ، وهو مشوب بكدورة وقصور ، وإن غاب مع ذلك عن مشاهدة نفسه

وأمشاج من الزور ما زعمه البخاري هنا ، ألا تراه يدين بأن الشريعة ، لا يحكم عليها حتى بالعقل ، بل بما يقيم على النفس من خواطر الأوهام ، ويدين على الفكر من غيوم الأهواء ؟ ! يدين بأن الكشف - وهو ألين أسطورة ابتدعها الصوفية لمحاربة الكتاب والسنة - هو مقياس حقائق الشرع ، تقاس بأوهامه يقين الوحي الإلهي ، وقيمه السماوية المقدسة . وأن الكشف هو الذي يحدد لكل حقيقة شرعية مفهومها وغايتها ، أو ما أراده الله منها وبها ؟ ! وهكذا يأتي الحبل الصوفي إلا أن ينطق علاء الدين بهوسه وخرافاته

(١) يعرف الصوفية الكشف بأنه الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية ، والأمور الحقيقية وجودا وشهودا ، والله سبحانه هو القائل « قل : لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله » ، والبخاري - وهو يرد على الصوفية ، ليطل ما يدينون به من الوحدة - يتهاوى في نفس الجمأة ، هذا لأنه صوفي ، لا يجب أن ينسى - وهو يرد على غيره من الصوفية - تصوفه هو ، لا ينسى طريقته التي يود أن يصرف الناس إليها وحدها . ولكن حسبنا منه - وهو أكبر صوفي في عصره - اعترافه الصريح ، وحكمه البين على ابن عربي وابن الفارض بأنهما خارجان عن حقيقة الإسلام ، والأول شيخهم الأكبر ، وكبريتهم الأحمر ، والآخر سلطان عاشقهم !

وعن أحواله الظاهرة والباطنة وعن ذلك الفناء - بحيث لا يشاهد شيئاً غير الله^(١) كما لا يشاهد في النهار من الكواكب غير الشمس - فذلك هو فناء الفناء في التوحيد ، وهو درجة خواص الخواص ، فيصير لهم معنى قوله تعالى (٢٧: ٨٨ كل شيء هالك إلا وجهه) ذوقاً وحالاً ، كما أن حظ غيرهم من المؤمنين منه يكون علماً وإيماناً ، فالذوق نيلُ عين تلك الحال بالحصول الانصافي ، والعلم معرفة ذلك بالبرهان ، ومأخذه القياس بأن ينظر إلى اطمحلال تلك الكواكب عند إشراق الشمس ، فيقاس به اطمحلال وجود الكائنات عند إشراق أنوار التجليات ، والإيمان قبوله بالتسامع والإذعان له ، ولا يخالف هذا قولهم : إن الطريق إلى المعلوم بالكشف ، إنما هو العيان ، دون البرهان ، لأن المراد منا إقامة البرهان ، على تحقق الكشف ، لا على إثبات المعلوم ، فقد عرفت أن معنى الوحدة المطلقة عند العارفين^(٢) بعيد عما يريد به الكفرة الوجودية من الفلاسفة ، ومن تبعهم ممن يدعى الإسلام ؛ ليتمكن من هدمه عند الضعفاء .

(١) هذه هي وحدة الشهود ، وهي النبذة الأولى من وحدة الوجود ، بل هي المدخل إليها ، وسترى البخاري - رغم تكفيره للقائلين بوحدة الوجود - يدور حولها ، ويتسرب في خفية إليها . ولكنه جبان الشطح ، مكبر الخيال والتصوير .

(٢) مافي الرسل جميعاً ، ولا في الأنبياء عامتهم ، ولا في الأولياء الصادقين من هو أعرف بحق الربوبية والإلهية من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما فيهم من أحد أدى هذا الحق كما أداء ، فما جاءنا عنه صلى الله عليه وسلم خرافة الوحدة المطلقة الصوفية ، أو أنه وصل إلى حال لم يشاهد فيها شيئاً غير الذات الإلهية . والصوفية يعنون بالشهود معانية الذات ، وفناء الكائنات جميعها في هذا الشهود حتى في الليلة التي تجلى الله فيها على عبده بأعظم نعمه ، وأراه فيها من آياته الكبرى ليلة الإسراء والمعراج ، قال صلى الله عليه وسلم لما سئل : هل رأى ربه : نور . أتى أراه ! ، وفيها كان يشهد غير الله : الأنبياء ، وجبريل ، والجنة ، والبيت المعمور وسدرة المنتهى ، وغير ذلك ، وسمى لنا كل شيء باسمه ، فأين منه البيان عن شهود =

أسطورة الكشف

ويروجون تلك السفسطة بإحالتها على الكشف ، ويتفهمون بأن مرتبة

== الذات فنيت فيها الكائنات؟! ولكن لعل البخارى وأضرابه يفترون أنهم يصلون إلى ما لم يستطع أن يصل إليه خير البشرية وخاتم النبيين ، ثم إنه صلى الله عليه وسلم أخبرنا خبر صدق وحق أن أحدا لن يرى ربه حتى يموت . وكان صلى الله عليه وسلم يتجاوب قلبه الظهور المشرق بنور الإيمان الأسمى مع كل حق عليه ، فيؤديه أتم وأكمل وأوفى أداء ، حق الله سبحانه ، حق النفس ، حق الحياة ، حق الأهل والولد ، فيأترى هل لم يبلغ الرسول الأعظم فى الدين والمعرفة مرتبة البخارى وأحلاس الصوفية ؟ فما أبان لنا عن البقاء ، والفناء وفناء الفناء والوحدة وما فى عمله ولا قوله ما يحدد مفاهيم هذه الأساطير الصوفية . والله سبحانه يذكر لنا أن خليله إبراهيم رأى — منة من الله — ملكوت السموات والأرض ، فأين البيان من الخليل عن الفناء وفناء الفناء والوحدة المطلقة ؟ ! وداود عليه السلام فى تسايحه كانت الطير تؤوب معه ، والجبال سخرها الله له يسبحن معه بالعشى والإشراق فما جاءنا عنه أنه كان فى فناء ، أو فناء فناء ، أو شهود ذات فنيت فيها الكائنات ، بل كان مع ذلك فى الحديد يعمل . وربنا العليم بذات الصدور يثنى على خير رسله فى أسمى مقاماتهم بأنهم عباده المخلصون المتقون المؤمنون الأوابون ، لا الذين يشهدون الذات فنيت فيها الكائنات ! ويثنى على الملائكة بأنهم عباد مكرمون ، لا الذائقون حال الوحدة المطلقة ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول عن الإحسان — أسمى مراتب الإخلاص فى العبودية « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك » والبخارى وأضرابه يقولون أسمى مرتبة : أن تشهد الذات فنيت فيها الكائنات ! ! وحقيقة التوحيد أن تعبد الله وحده ، وأن لا تعبده إلا بما شرعه ، ولكن البخارى يقول : أن تشهد الذات فنيت فيها الكائنات ، وقد أجهد الصوفى البخارى نفسه فى الرد على باطل الصوفية حتى لهشت أنفاسه . فما بلغ إلا تأييد باطل كان يتمنى الصوفية مثل قلم البخارى للدفاع عنه ، ولو أنه لجأ إلى الكتاب والسنة لاستطاع بحجة واحدة منهما أن يأتى بنيانهم من القواعد ، بل لو لجأ إلى العقل مؤمنا ذلك على الطاغوت هيكله ، ولدمر أضنامه . ولكنه صوفى ! !

الكشف وراء طور العقل ، وأنت خير بأن مرتبة الكشف نيل ما ليس له العقل ينال ، لآ نيل ما هو ببديهة العقل محال ، وذلك أن الله تعالى خلق العباد وبين لهم سبيل الرشاد ، وزينهم بالعقل نوراً يهتدون به إلى معرفته ، وحنة توصلهم إلى محجته بالاستدلال على وجود الصانع بالمصنوعات^(١) ، والنظر فيما يجوز ويستحيل [٥٦] عليه من الأفعال والصفات ، وأن إرسال الرسل من أفعاله الجائزة ، وأنه قادر على تعريف صدقهم بالمعجزة ، وعند ذلك ينتهى تصرف العقل^(٢) : لعدم استقلاله بمعرفة المعاد ، وبما يحصل السعادة والشقاوة هنالك للعباد ، وإنما يستقل بمعرفة الله تعالى^(٣) ، وصدق الرسول ، ثم يعزل نفسه ، ويتلقى من النبي صلى الله عليه وسلم ما يقول ، فى أحكام الدنيا والآخرة بالقبول^(٤) ، إذ لا ينطق

(١) لم لا يقال : الخالق بال مخلوقات ؟ !

(٢) الله سبحانه هو العلم الخبير حقا بما يجب لربوبيته وإلهيته . وقد بين لنا عز شأنه تفضلا منه ورحمة هذا فى كتابه الحكيم أجلى وأتم وأكمل بيان . فما يجوز لامرى الزعم بأن للعقل التصرف فى إثبات ما يجب وما يجوز وما يستحيل على الله سبحانه ، والمؤمن الحق هو من يؤمن صادقا بكل ما وصف الله به نفسه إثباتا ونفيا . فيثبت خاشعا ما أثبت الله سبحانه لنفسه . وينفى منزها ما نفاه عنها جل وعلا . هو من يوحد الله توحيدا قوليا . وعمليا وعمليا واعتقاديا فى الربوبية والإلهية بما ورد فى الكتاب والسنة .

(٣) فرية فلسفية ، وإفك صوفى ، فالعقل حينما استقل بمعرفة الله سماه سبحانه ووصفه بما لا يجب الله أن يسمى أو أن يوصف به ، أثبت له ما أوجب الله نفيه ، ونفى عنه ما أوجب الله إثباته ، نفى عنه كونه خالقا مديرا يعلم كل خافية ، وأثبت له ما عربد من الشهوة ، وما ضل من العاطفة ، فسماه عاشقا ولاذا وملتنا ، ألا فليؤمن العقل دائما بأنه دائما فى قبضة من خلقه ، وأنه الفقير دائما إلى الفنى الخلاق العلم الخبير

(٤) بل يجب عليه قبل هذا أن يتلقى مؤمنا مخلصا ما جاء فى الكتاب والسنة عن صفات الله وأسمائه ، دون لمسة من ريب تدفعه إلى التأويل ، أو همسة من فكر تلوذ به إلى التعطيل ، أو تجاوب مع الحس يهيم به فى التجسيم أو التمثيل

بما يحيل العقل بالبدئية والبرهان ؛ لامتناع ثبوت ما تحكم حجة الله عليه بالبطلان فلا مجال في مورد الشرع ، ولا في طور الولاية والكشف لما يحكم العقل عليه بأنه محال ، بل يجب أن يكون كل منهما في حيز الإمكان والاحتمال ، غير أن الشرع يَرِدُ بما لا يدركه العقل بالاستقلال ، وبالكشف يظهر ما ليس له العقل ينال^(١) لأن الطريق إليه الكشف والعيان ؛ دون بدئية العقل والبرهان ، لكن إذا عُرِض عليه لا يحكم عليه بالبطلان ، لسكونه في حيز الإمكان ، ولا ينبغي متوهم أن ما يتستر به الوجودية من دعوى الكشف من قبيل ما ليس له العقل ينال ، بل هو مستحيل وللعقل في إبطاله تمكن ومجال ؛ إذ الطريق إليه التصور ثم التصديق بالبطلان ، وذلك وظيفة العقل بالبدئية أو البرهان ، وأما الأمور الممكنة الكسبية ، فيجعلها العقل في حظيرة الإمكان ، ولا يحكم عليها بالبطلان ثم إن ما يناله الكشف ، ولا يناله العقل الممكن الذي الطريق إليه العيان^(٢) ، دون البرهان ، لا المحال الممتنع الوجود في الأعيان ؛ إذ الكشف لا يجعل الممتنع متصفا بالإمكان ، موجوداً في الأعيان ؛ لأن قلب الحقائق بين الامتناع والبطلان فلو تخايل حصول المحال بالكشف ككون الوجود المطلق واحداً شخصياً ، وموجوداً خارجياً ، وكون الواحد الشخصي منبسطاً في المظاهر ، متكرراً عليها

(١) جعل من الشرع قسماً لا يناله العقل ، بل الكشف ، فمن قال هذا ؟ وسيزعم أن الطريق إليه كذلك معاينة الذات ؟ فمن أين جاء بهذا ؟ وهل في مقدور كل مسلم الكشف والمعاينة ؟ يجيبون هم بأن هذا لخواص الخواص ! ! وهذا يستلزم أن الخواص والعوام لا يمكن أن يصلوا إلى معرفة أهم حقائق الشرع ! ! ثم ما هذا الذي لا يظهر إلا بالكشف ؟ إن كان هو عين مافي الشريعة ، فما للكشف فائدة إذا . وإن كان غير ما فيها ، قالوا بجواز عبادة الله بغير ما شرعه الله ، وتلك هي الطاعة الكبرى ، فما صنع البخاري شيئاً سوى أن فر إلى ما فر منه ، وحارب ما يحارب هو من أجله ! !

(٢) يريد الصوفية بها معاينة الذات الإلهية ، ومشاهدة أسرار الربوبية والإلهية

بلاخاطئه، متكثراً مع النواظر بلا انقسام، فذلك شعوذة الخيال، وخذية الشيطان
وقال بعد ذلك : « إنهم صرّحوا بأن التّكثّر في الموجودات ليس بتكثّر
وجوداتها ، بل تكثّر الإضافات والتّعيّنات » ثم قال : « فقالوا : معنى قولنا :
الواجب موجود ، أنه ^(١) وجود ، ومعنى قولنا : الإنسان ، أو الفرس موجود ،
أنه ذو وجود ، بمعنى أن له نسبة إلى الوجود ، لا أنه متصف بالوجود ، على ما هو
معنى الوجود لنة و عرفاً و شرعاً ؛ احترازاً عن شفاعة التصريح بكون الواجب صفة
الممكن ، وأنت خبير بأن جواز الإطلاق فرع صحة الاشتقاق ، ولو سلم فما ذكروا
في بيان معناه في الواجب والممكن ليس معناه ، لا لغة ، ولا عرفاً ، ولا شرعاً
ومنشأ الغلط فيما يكشفه الشرع بما يقصر عنه العقل ، وما يدعيه هؤلاء مما يُحيله
[٥٧] عدم التفرقة بين ما أحاله العقل كهذه المذكورات ، وبين ما لا يناله العقل
كاطمحلال وجود الكائنات عند سطوع أنوار التجليات ، وإنما ينال ذلك
بجذبة الإلهية ^(٢) ، أو رياضة في متابعة الحضرة النبوية في الوظائف العلمية والعملية

(١) في الأصل : موجوداته ، بدل : موجود أنه .

(٢) عجب أن يجعل البخارى هذا مما لا ينال إلا بجذبة ، فالمؤمن الحق يدرك
باللمحة الهافية من الفكر والوجدان والشعور ، أن بين وجود الله ، ووجود العالم
فرق ما بين رب السموات والأرض ، وبين عبد خلق من طين ، بيد أن البخارى
يريد بالاطمحلال عند التجلى فناء وجود السوى ، فلا يشهد العارف ثم إلا وجوداً
واحداً هو الواجب ، أو المطلق ، يعنى يرى الكثير واحداً ، والظاهر عين المظاهر
فإن يك هذا ، فقد هوى في غيابة صوفية ، إذ ينفي الوحدة من جهة ، ويثبتها من
جهة أخرى ، فالصوفية يريدون بالتجلى ما ينكشف للقلب من أنوار الغيوب ، أو
ظهور الذات في عين المظاهر ، وفي الأول ادعاء معرفة الغيب وقول على الله بغير علم
وفي الآخر الإقرار بوحدة الوجود ، فأيهما يريد البخارى ؟ ثم ما هذه الجذبة ؟
ما سبيلها ؟ ما دليلها ؟ ما مثالها في الماضى المؤمن ؟ لا يقال : سبيلها العبادة ، فإنه
جعل العبادة قسماً آخر غير الجذبة ، وليس في الكتاب ولا في السنة عليها دليل ،
وما سمعنا عن صحابى أو تابعى ، أو مؤمن صادق أنه نال هذه الجذبة !!

والنيل هو الحصول الاتصافي ، والعلم هو الحصول الإدراكي ، ثم إن كلاً مما لا يدركه العقل بالاستقلال ، وما ليس له العقل ينال ، لما كان مستوقفاً على الإعلام والإرشاد من رب العالمين ، بعث الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ؛ لبيان الأول ، وهو علم الشريعة صريحاً ، والإشارة إلى الثاني ، وهو علم الحقيقة رمزاً وتلويحاً^(١) ، كما يلوح من القرآن المجيد (٢٨ : ٨٨ كل شيء هالك إلا وجهه) إلى درجة الفناء في الفناء في التوحيد .

(١) يدين البخارى كغيره من الصوفية أن الدين حقيقة وشريعة ، وأن الأولى غير الأخرى ، بل أسمى منها وأفضل ، وأن الشريعة لا تتضمن الحقيقة ، وأن البيان عنها في القرآن جلى صريح . أما عن الحقيقة ، فرمز وتلويح !! وبذا أركس البخارى فيما أركس فيه الصوفية . الله سبحانه يصف كتابه بأنه بيان للناس ، ويمن علينا بأنه بعث في الأميين رسولا يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، والبخارى يزعم أن القرآن أشار إلى علم الحقيقة عن طريق الرمز والتلويح ، وما كل الناس يفهمون الدلالة الرمزية ، أو التلويحية ، وما كل أمي يفهمها ، وهذا يستلزم طامتين ، الأولى : اتهام القرآن بالعجز في البيان عن الحقيقة ، فلم يستطع الإفصاح عنها إلا عن طريق الرمز والتلويح ، وهما أغمض وأعجز أنواع الدلالات ، الأخرى : اتهام الأكثرية الغالبة من هذه الأمة بأنها لا تعلم الحقيقة من دينها الحق ، ولا يعبدون الله على بصيرة من الحق ، بل ينسحب هذا الاتهام على الصحابة أجمعين ، وإذا ما كانوا فلاسفة لاصوفيين ، فإن قيل : كانوا يعرفون علم الحقيقة في زعم الصوفية ، قلت : أين الدليل ؟ أجاؤ عن أحد منهم افتراء أن الدين حقيقة وشريعة مغايرة بين القسمين ؟ أتتكلم واحد منهم عن الفناء ، وفناء الفناء ، والوحدة المطلقة ، وهذه هي معارف علم الحقيقة عند الصوفية ؟ بل أقول : إن في قول البخارى ومن دان دينه من الصوفية اتهاماً للرسول بهتانين ، أولهما : كتمان علم الحقيقة في الدين ، أو الجانب الأسمى منه ، إذ لم يرد فيما بلغ إلينا عن الله هذا العلم الذي يدعيه البخارى : علم الفناء ، وفناء الفناء ، ومعاينة الذات !! وآخرهما : أنه كان صلى الله عليه وسلم لا يعلم الحقيقة ، ولم يهتد إلى ما اهتدى إليه البخارى وغيره . واتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بوهم من هذا =

انتهى ما نقله من رسالة الشيخ علاء الدين البخارى ، لسكنى تصرفت فيه
بالتقديم والتأخير ، وقد وضع بذلك محالهم ، وتبين به ضلالهم^(١) والله الموفق .

عَوْدٌ إِلَى مَنْ كَفَرُوا ابْنِ عَرَبِيٍّ

وعن الحافظ تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي المكي في كتابه : تحذير النبيه
والعبي من الافتتان بابن عربي ، أنه قال - وقد سئل عنه وعن شيء من كلامه - :

= كافر خبيث ، وقد اتهمه الصوفية فعلا بالأول: أي السكمان ، اسمع لابن عجيبة
في شرحه لحكم ابن عطاء الله السكندري يقول : « وأما واضع هذا العلم - يعني
التصوف - فهو النبي صلى الله عليه وسلم علمه الله له بالوحي والإلهام ، فنزل جبريل
أولاً بالشرعية ، فلما تقرر نزل ثانياً بالحقيقة ، فخص بها بعضاً دون بعض » ص ٥
ج ١ ط ١٣٣١ هـ . وفي هذا حجة على دين الصوفية مقت للشرعية ، واتهام صريح
للسكندر بأنه لم يبلغ بعض ما أنزل إليه ، وبأنه هوى مع الهوى فخص به بعضاً ،
وحاشا الرسول الكريم .

(١) علاء الدين البخارى رجل أشرب قلبه وفكره التصوف ، وقد خدع البقاعي
بهذره الصوفي ، فكل ما هول به البخارى في الرد على الصوفية لا يباذ لهم باطلا .
بل يواليه ويمالئه . نعم صرح الرجل في قوة وشجاعة وجلاء بتكفير ابن عربي
وأحلاسه ، بيد أن ما حاسبه أدلة تدمغهم بالزندقة هي في حقيقتها أساطير صوفية ،
أو هي بالذات عناكبهم التي يصيدون بها العقول النديبية . وهذا يثبت ما قلته من
قبل ، وهو أن كل من به مس من الصوفية إنما يطوى النفس على أمشاج وثنية .
وإن تراءى بتكفير غيره من لدانه وأقرانه . قارن بين مارد به البخارى الصوفي ،
وبين مارد به الإمام ابن تيمية ، لتدرك البون الشاسع بين الرجلين ، في الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر ، فالبخارى صوفي يرد بتصوفه على تصوف غيره ؛ كي
يؤمن الناس به هو ، وبما يدعو إليه من التصوف ، وابن تيمية يدمغ الباطل بما
دمغه به الحق من الكتاب والسنة ، بل ويبراهين العقل الذي جعل هدى القرآن
مناره ، ولم يافوته دنس صوفي ، ابتغاء مرضاة الله ، والجلاد المستلثم في الجهاد في
سبيل الله . وهذا هو دائماً فرق ما بين المؤمن والصوفي .

شيخنا العلامة أبو عبد الله محمد بن عرفة الورغمي التونسي عالم إفريقية ، قال ما معناه : إن من نُسب إليه هذا الكلام لا يشك مسلم منصف في فسقه وضلاله وزندقته « انتهى . ومنهم شيخنا العلامة إمام القراء شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري الدمشقي نزير بلاد الروم ثم العجم ، قال : « وما يجب على ملوك الإسلام ، ومن قدر على الأمر بالمعروف [والنهي عن المنكر] أن يعدموا الكتب المخالفة لظاهر الشرع المطهر من كتب المذكور^(١) وغيره ، ولا يلتفت إلى قول من قال : هذا الكلام المخالف للظاهر ينبغي أن يؤول ، فإنه^(٢) غلط من قائله . إنما يؤول كلام المعصوم ، ولو فتّح باب تأويل كل كلام ظاهره الكفر ، لم يكن في الأرض كافر » ومنهم العلامة نادرة زمانه علما وعملا بدر الدين حسين بن عبد الرحمن الأهدل^(٣) اليميني الحسيني نسبا وبلداً ، وصنف في ابن عربي وابن الفارض كتاباً كبيراً^(٤) نافعاً جداً ، وذكر فيه أنه كان في اليمن شخص من أكابر أتباعه ، يقال له الكرمانى ، حصلت به في اليمن فتن كبيرة ، وحصل بينه وبين ابن المقرئ خطوب ، وصنف في الرد على ابن المقرئ كتاباً قال فيه عن نفسه ، وأهل مذهبه مالفظه : « إناحيث قلنا : المخلوق ، فرادنا الخالق ، وحيث قلنا : الحجر ، فرادنا الله » انتهى .

(١) يعنى : ابن عربي ، وقرأ نص فتوى الجزري في ص ٤٩٥ من العلم الشامخ للعلامة القبلي .

(٢) أى : القول بالتأويل لكلام الصوفية .

(٣) ولد سنة ٧٧٩ هـ تقريباً ، وتوفي سنة ٨٥٥ هـ . وهو من كبار علماء اليمن في عصره .

(٤) سماه : كشف العطا عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين ، وله كتاب آخر سماه : بيان حكم الشلح والنص على مروق ابن عربي وابن الفارض وأتباعهما من الملحدين . انظر الضوء اللامع للسخاوي .

من مكر الصوفية

ومن مكر هذه الطائفة ، كما شرعه لهم شيخهم^(١) من أن الدعوة إلى الله مكر أن يُخِيلُوا^(٢) كل من ظنوا أنه مال عنهم بأنه يصاب في نفسه ، أو ماله^(٣) ، ويقولون : ما تكلم أحد فيهم إلا أصيب ، ويباهتون [٥٨] بأشياء هي كذب ظاهر . ولا عليهم - وأكثر الناس صبيان العقول ، مَرْضَى الأفكار ، تجد أحدهم إذا سمع هذا نَفَرَ منك نفرة النعام الشارد ، ثم يكون أحسنهم خللاً الذي يقول : التسليم أسلم !! ولا يتأمل أن الشك في الكفر بعد البيان كفرٌ ، وهو مع كونه^(٤) كذباً بمن أنكر عليهم من أكابر العلماء الذين لا يحصون كثرة ، وماتوا على أحسن الأحوال - تشبه باليهود في قولهم في الإسلام لما مات أبو أمية أسعد

(١) يعنى : ابن عربى .

(٢) صوابها : إلى كل ، أو لكل . ففي الذكر (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى)

(٣) كاد لى لئيم فضيع لى ما يسمى : « مسوغات التعيين فى وزارة المعارف »

فتنادى بعض الصوفية : بالسكرامة ، ويال انتقام أوليائنا الرهيب !! فقلت : ياسبحان الله !! لا يتورع القوم حق من اتهم أوليائهم أنهم لصوص بغاة ، يخاربون الناس فى أرزاقهم !!

(٤) لعلها : كذب ، ولو أن الأمر كان تكديماً للعلماء فحسب لها نعت الجريمة ،

ولسكنه تكذيب لله ولرسوله ، وتقوى لغير الله ، ورهب من زنادقة ، فما يطبق أمثال هؤلاء - رغم إخراج الكفر لهم لسانه من كتب الصوفية - النطق بكلمة حق يرضون بها الله سبحانه . سل اليوم كبار الأخبار ، عبيد المتن والحاشية ، عن فصوص ابن عربى ، وتائية ابن الفارض ، وطبقات الشعراى . سلمهم ثم أنصت للجواب الدليل . ستسمع من يقول عن ابن عربى : الشيخ الأكبر ، وعن ابن الفارض : سلطان العاشقين ، وعن الشعراى : الهيكل الصمدانى ! وستسمع من يقول - بمن ينزل الريب يقينهم ، وتغشى الوثنية معتقداتهم : يسلم لهم حالهم ، فالتسليم أسلم ! هذا ما يجيده الأخبار من أساليب الدفاع عن دين الله .

ابن زرارة^(١) الأنصاري رضى الله عنه فإنهم شرعوا يقولون تخميلاً لبعض الضعفاء :
لو كان نبيا ما مات صاحبه . فكان النبي صلى الله عليه وسلم [يقول] : « بئس
الميت أبو أمامة ليهود ! ! يقولون : كذا ، ووالله ما أملك لنفسي ولا لصاحبي
شيئاً^(٢) » وتَسَنُّ^(٣) بالكفرة في قولهم . (١١ : ٧٧ وما تراك اتبعك إلا الذين
[هم] أرازلنا) ، (١٩ : ٧٣ - ٧٥ قال الذين كفروا للذين آمنوا : أيُّ الفريقين
خير مقاما وأحسن ندياً . ومم أهلكتنا قبلهم من قرآنهم أحسن أثاثاً ورثياً .
قل : من كان في الضلالة ، فليمدد له الرحمن مداً) ونحو ذلك من الآيات ، ومتى
مال الإنسان نحو تخميلهم ، كان كمن قال الله تعالى فيه : (٣٢ : ١١ ومن الناس
من يعبد الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن به [وإن صابته فتنة انقلب على
وجهه ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين]) .

من آيات ثبات الإيمان في القلب

مع أن الكتاب والسنة ناطقان بأن علامة صحة الإسلام في القلب المصائب^(٤)
قال الله تعالى : (٢٩ : ١ ، ٢ ألم . أحسب الناس أن يُترَكوا ، أن يقولوا : آمنا ،
وهم لا يفتنون) الآيتين ، وقال الله تعالى : (١٢ : ٢١٤ أم حسبتم أن تدخلوا
الجنة ، ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم . مستهم البأساء والضراء ،

- (١) من أول الأنصار إسلاماً ، ويقال : إنه أول من بايع ليلة العقبة ، وكان
نقيب قبيلته بني النجار ، وأول من صلى الجمعة بالمدينة في هزيمة من حرة بني يياض ،
يقال له : تقيع الخضعات ، وكانوا أربعين رجلاً . مات أسعد رضى الله عنه والمسجد
بني - في السنة الأولى من الهجرة في شوال قبل بدر « أسد الغابة ، والإصابة »
- (٢) هذا لفظه في سيرة ابن هشام . أما في أسد الغابة « بئس الميتة ليهود ! !
يقولون : أفلا دفع عن صاحبه ؟ وما أملك له ، ولا لنفسى شيئاً »
- (٣) معطوفة على قوله قبل : تشبه باليهود .
- (٤) يعني الصبر عليها .

وزُلِّزُوا) الآية . إلى غير ذلك من آيات الكتاب الناطق بالصواب . وقال شخص للنبي : « إني أحبك ، قال : فأعد للبلاء تجحفاً^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم : « من يُرِدِ اللهُ به خيراً يُصِبْ منه^(٢) » ، « أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، يتلى المرء على قدر دينه^(٣) » إلى أمثال ذلك ، وهو كثير جداً ، وأعجب من ذلك أن البيعة على الإسلام كانت - ليلة العقبة - على الصبر على المصائب ، فإن العباس بن نضلة^(٤) رضى الله عنهم قال لقومه قبل المبايعة يثبتهم على البيعة : « إن كنتم ترون أنه إذا نهكت^(٥) أموالكم مصيبة ، وأشرافكم فتلاً أسلمتموه فمن الآن ، فهو الله - إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، قالوا : فإننا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يارسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : الجنة ، قالوا : ابسط يدك ، فبسط يده ، فبايعوه^(٦) » على هذا كانت

(١) التجفاف : آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقيه الحرب ، وجفف

الفرس : ألبسه إياه « القاموس والنهاية » .

(٢) رواه البخارى ومالك .

(٣) من حديث رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم وابن أبى الدنيا . ولم لانفهم

في الحديث معنى آخر ، هو أن أفضل الناس أشدهم بلاء في سبيل الله ، من قولهم : أبلى فلان في الحرب بلاء حسناً ، إذا أظهر بأسه حتى بلاء الناس وخبروه ؟! أو يراد بهما يصيبهم من الناس من بلاء لاستلامهم في الدعوة إلى الله ، والجهاد في سبيله . أقول : هذا لأنه ثبت في أذهان الناس أن الإيمان الصحيح صنو المصائب ، وأن الله يدخر الرزايا للمخلصين من عباده .

(٤) أنصارى خزرجى ، شهد العقبة ، وقيل : العقبتين ، بل قيل : كان مع

النفر الستة الذين لقوا رسول الله ، فأسلموا قبل جميع الأنصار ، خرج عباس رضى الله عنه إلى مكة ، وأقام مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى هاجر إلى المدينة ، فكان أنصارياً مهاجرياً . قتل في أحد ، ولم يشهد بدرًا « أسد الغابة ، الإصابة »

(٥) يقال : نهكت الحمى ، أضنته وهزلته ، وجهده ، ونهكت الناقة حلباً : إذا

لم تبق في ضرعها لبناً « القاموس والنهاية » .

(٦) ص ٢٧٧ ج١ سيرة ابن هشام على هامش الروض الأنف ط ١٩١٤

المبايعة ، وعلى السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمُنشَط والمَمَكْرَه (١) . وقد
شرع لنا [٥٩] رسول الله صلى الله عليه وسلم سنن الهدى ، وتركنا على بيضاء
نقية ، ليلها كنهارها (٢) ، ولم يتغير دينه بعده ، ولم يتبدل ، ولم يزد إلا شدة .
وأخبرنا صلى الله عليه وسلم أن الدين بدأ غريباً ، وأنه سيعود كما بدأ ، وقال :
« فياطوبى للغرباء (٣) » فلا يهتم الإنسان بقله الموافق ، فإن الله معه ، ومن كان
الله معه ، كان كثيراً ، ولا بكثرة المخالف المشاقق ، فإنهم أعداء الله ، فليس معهم
ومن لم يكن الله معه ، كان قليلاً (٣٩ : ٣٦ ، ٣٧ أليس الله بكافٍ عبده ؟
ويخوفونك بالذين من دونه ، ومن يضل الله ، فما له من هاد ، ومن يهد الله ،
فما له من مُضِلٍّ ، أليس الله بعزير ذى انتقام ؟) .

هوان الدين عند الأَكثَرِيَّة

ومما ينبغي أن يكون نصب العين معياراً يعرف به هوان الدين عند
أكثر الناس ، وهو أن أحدهم لو كان مُشْرِفاً على الموت من الجوع ، ووجد

(١) من حديث نسه : عن عبادة بن الصامت « بايعنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكروه ، وعلى أثرة علينا ،
وأن لا تنازع الأمر أهله ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم »
الصحيحان ، الموطأ ، النسائي . المنشط : الأمر الذى ينشط له ، ويخفف إليه ،
الأثرة : الاستيثار بالشيء والانفراد به .

(٢) من حديث رواه ابن ماجة : « وايم الله ، لقد تركتكم على مثل البيضاء ،
ليلها كنهارها » .

(٣) نص الحديث : « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود كما بدأ ، فيا طوبى للغرباء »
مسلم عن أبي هريرة ، والنسائي عن ابن مسعود ، وابن ماجة عنهما وعن أنس ،
وطوبى : فرح وقرّة عين كما فسرها ابن عباس .

طعاما شهياً ، فقال له أحد : إنه مسموم لم يقربه بعد ذلك ، ثم لا يبالي بقول هؤلاء العلماء ^(١) الذين هم القدوة في الدين ^(٢) أن كلام هؤلاء الاتحادية سم حاسم للدين من أصله ، ذابح للإيمان بسيفه ونصله ، فإننا لله ، وإنا إليه راجعون .

من هم الأولياء ؟

هذه نبذة من ذم أهل الحق له ^(٣) ، وهم الأولياء حقيقة ؛ لما شاع لهم من الأنوار التي ملأت الأقطار بمصنفاتهم التي أحيوا بها الدين ، وأيدوا سنة سيد المرسلين ، فقد قال الشيخ محيي الدين النووي ^(٤) في مقدمة شرح المذهب « فصل في النهي الأكيد ، والوعد الشديد لمن يؤذى ، أو يبغض الفقهاء ، والمتفقيين » . وروى الخطيب البغدادي ^(٥) عن الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما أنهما قالوا : « إن لم يكن الفقهاء ^(٦) أولياء لله ، فليس لله ولي » وعن ابن عباس رضي الله

(١) بل لا يبالي بالقرآن والسنة ، وفيهما الفيصل الحق بين الحق والباطل ، والإيمان والكفر ، والهدى والضلال .

(٢) القدوة والاسوة : رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) لابن عربي .

(٤) يحيى بن شرف . ولد سنة ٦٣١ هـ . ومات سنة ٦٧٦ هـ . وكان واسع المعرفة بالحديث والفقهاء واللغة .

(٥) أحمد بن علي بن أبي ثابت أبو بكر الإمام الحافظ المصنف المؤرخ . ولد سنة ٣٩٢ هـ . وتوفي سنة ٤٦٣ هـ ، وقد ترك قرابة مائة مصنف .

(٦) هم الذين يعتصمون في قفهم بالكتاب والسنة ، ويدعون الناس إلى الاعتصام بهما والعمل بما فيهما ، لا أولئك الذين يصفع لهم قفهم الرأي المفتون ، أو يدعون الناس إلى اتخاذ كتبهم أربابا من دون الله ، ويدينون بمذهب فلان . فمثل هؤلاء أولياء الشيطان ، ثم الله سبحانه بين خصائص الولي في قوله : « الذين آمنوا ، وكانوا يتقون » وبينها رسوله الكريم بقوله : « إن أولياء الله المصلون ، ومن يقيم الصلوات الخمس التي كتبها الله على عباده ، ومن يؤدي زكاة ماله طيبة بها =

عنهما^(١) : « من آذى فقيها ، فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد آذى الله عز وجل » انتهى . ومن نابذ كلامهم ، فقد عاداهم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : قال الله « من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب^(٢) » ومن رد أقوالهم^(٣) لأجل توهم أن من حكموا بكفره ولي لشبهة باطلة ، وكلام مُزَوَّق يراد به الإضلال والغرور ، فَمَنْ كَمَنَّ^(٤) أصابه داء ، فوصف له الأطباء العارفون دواء ، فقال له عامي : لا تسمع منهم وخذ هذا فقد قال لي فلان وفلان - وعد جماعة مثله - : أنه نافع ، فاعتمد على مُجَرَّب ، ولا تعتمد على طيب . وأمثال هذا من الخرافات ، فقبل كلامه ، لكونه قريب الطبع من طبعه ، فأعطاه سُمًّا ، فَتَحَسَّاهُ ، فهلك إلى لعنة الله ، فإنه لا عبرة بشبهة أصلا إلا شهرة كانت بين أهل العلم [٦٠] الموثوق بهم ، لأن الاستفاضة والشهرة من العامة ، لا يوثق بها ، وقد يكون أصلها التلبيس ، وأما التواتر فلا يفيد العلم ، إذا لم ينتبه إلى معلوم محسوس ، وأما من مدحه ، فهو أحد رجلين كما مضى عن الغامبي وغيره : رجل بلغه زهده وانقطاعه عن الناس ، ولم يبلغه مافي كلامه من المصائب فالجرح^(٥) مُقَدَّم على ثنائه ، أو رجل كان يعتقد في الباطن ، فهو يناضل

= نفسه ، ومن يصوم رمضان ، ويحتسب صومه ، ويحْتَنِبُ الكِبَارَ ... » الحديث .
رواه أبو داود والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وابن مردويه
كاهم عن عمير الليثي

(١) في الأصل : عنه

(٢) البخاري وأحمد والطبراني وأبو يعلى

(٣) هذا إذا كانت حقا مشرقا من النورين : الكتاب والسنة ، لا كأقوال علماء

الدين البخاري ، فقد رد أساطيرهم بأساطيره

(٤) أي من فعل هذا فهو كمن أصابه داء الخ

(٥) في الأصل : فالجرح

عن نفسه ، فلا عبرة به (١) .

رأى ابن أيوب في الحلاج وابن عربي

وحدثني الفاضل جمال الدين عبد الله بن الشيخ القدوة زاهد زمانه ، والمشار إليه بالصلاح والمعارف والورع ، وحفظ اللسان في أوانه بدمشق الشيخ علي بن أيوب (٢) : أن أباه - الشيخ عليا المذكور - كان يجلس في الجامع مطرقا يقيم إحدى رجليه هيئة المستوفز ، ويضع ذقنه على ركبته ، فلا يكلم لهيئته ، فإذا رفع رأسه ، علم أنه أذن في الكلام ، فسأله من أراد عما شاء ، ففعل ذلك يوما ، فلما رفع رأسه ، سأله شخص عن ابن عربي هذا ، فأطرق زمانا طويلا ، ثم رفع رأسه ، فقال : إنه كفر كفرا ، ما وافق فيه كفر ملة من الملل ، بل خرق بكفره إجماع الملل (٣) ، وزاد عليهم . قال الشيخ جمال الدين : فحكيت ذلك لبعض من يشار إليه بالعلم والميل إلى ابن عربي ، فقال : والله لو سمع ابن عربي هذا الكلام لقال : ما عرفني أحد غير هذا الرجل . قال : ومثل والذي أيضا عن الحلاج ، فقال : لاشك أن الحجاج قتل من العلماء خلائق يتعسر حصرهم ، وشتت شملهم

(١) الحكم على ابن عربي بما حكم الله به على من ألخوا عيسى ، وعبدوا الأوثان وغيرهم ليس في حاجة إلى كل هذا ، فكتابه الفصوص ثابت النسبة إليه ثبوت لعن الله لأبي لهب ، والفصوص - ردغة كفر ، وحمأة زندقة . وما ينفع ابن عربي أن يشهد له ملايين الصوفية بأنه الرياني الأعظم ، فشهادة كتبه عليه شهادة الحق والصدق ، فليشهد الصوفية له بأنه وأنه ، فكذلك الصديد ، لا يشهد له بأنه طعام طيب سوى الميكروب الذي يحيا به وفيه !!

(٢) الإمام الفقيه البارع المتقن المحدث بقية السلف - كما يقول الذهبي . ولد

سنة ٦٦٦ هـ وتوفي سنة ٧٤٨ هـ .

(٣) هذا يدل على فهم دقيق غاية الدقة لمعتقد ابن عربي ، فإنه كفر بكل كفر

ثم أضاف إليه كفره ، ثم جعل من هذا دينا للصوفية

وأبادهم ، وقتل سعيد بن جبير^(١) ، وأهل الأرض محتاجون إلى علمه ، وخلعه العلماء وخرجوا عليه ، وقتلوه ، ومع هذا كله لم يقل أحد منهم : إنه كافر ، بل قالوا : إنه من عصاة المسلمين ، لا تحمل امرأته لذلك . والحلاج ما تعرض لأحد من أهل العلم بأذى في دنياه ، وأجمع جميع أهل زمانه منهم على كفره ، واستباحة دمه ، فلو كان العلماء يقولون بالهوى ، لقالوا في الحجاج الذي ما ترك نوعاً من الأذى حتى رماهم به ، فثبت أنهم لا يقولون بالهوى ، فوجب على الناس اتباعهم^(٢) وقبول كلامهم» وهذا غاية في البيان ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ الضابط المتقن المتقن أستاذ المفسرين نادرة المحدثين ، برهان دين العالمين ، أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط ابن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي ، نزيل القاهرة المحروسة : فرغت من مسودة هذا الكتاب بحمد الهادي للصواب في شوال سنة أربع وستين وثمانمائة . والحمد لله وحده .

وفُرِغ من نسخ هذه النسخة المباركة في وقت العصر من يوم الأربعاء من شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع وأربعين وتسعمائة .

(١) أحد أعلام التابعين ، كان مع عبد الرحمن بن الأشعث لما خرج على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل ابن الأشعث ، فر سعيد إلى مكة ، فظفر به الحجاج ، فقتله في شعبان سنة ٩٥ هـ كما في الوفيات ، أو سنة ٩٤ كما في مروج الذهب والكامل لابن الأثير

(٢) إنما الواجب اتباع الكتاب والسنة ، وتأيد كل داع إلى الله بالحق . وما أركس الناس في فتنة الضلالة سوى اتخاذهم القرآن مهجوراً ، وكتب الناس أرباباً من دون الله !!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّهِ لَسْتِيبِ

تحذير العباد من أهل العناد

ببذعة الاتحاد

للشيخ الإمام العالم العلامة ، الحافظ المحقق الرحلة ، ناصر السنة

قانع البدعة ، محيي العدل ، برهان الملة والدين

إبراهيم بن عمر بن مسن بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي

لطف الله بهم أجمعين

آمين

(١) لفظها للقل ، فكذلك وردت في أول رسالته الأولى

(٢) (١٠٤٣) كلها ساقطة عن الأصل ، والسبب يوجبها

(٣) يقال : لاوت الحية الحية بلاوة : إذا التوت عليها

(٤) جمع حنق وهو الفلك ، وقيل : هي منسوبة إلى الحنق ، وهو قنار

لوت « أساس البلاغة » لعشيرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله الهاد، لأركان الجبارة الشداد، القامع لأهل الإلحاد، بسيوف السنّة الحداد. وأشهد أن لا إله إلا الله المفضل^(١) الهاد، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده [ورسوله^(٢)] الداعي لسائر العباد، إلى سبيل الرشاد. صلى الله عليه، وعلى آله الخيرة الأمجاد، وصحابه الأبطال الأجداد، وسلم تسليما يغلب التعداد، ويبقى على مر الآباد.

وبعد: فهذه رسالة سميتها: «تحذير العباد من أهل العناد، ببدعة الاتحاد أنفذتها إلى العباد في جميع البلاد، الراغبين في الاستعداد ليوم المعاد، بموااة أهل الوداد، وملاواة^(٣) الأشقياء الأضداد، الضالين بنحلة الاتحاد، أرجو أن تكون ضامنة للاسعاد يوم التناد، فقلت: اعلموا أيها الإخوان الذين هم على البر أعوان، حفظكم الله، ورعاكم، وصانكم من كل سوء، وحماكم - أنه لا يقدم على الأمر بالمعروف [والنهي عن المنكر^(٤)] إلا من جعل نفسه هدفا للحتوف^(٥) وتجرع من مر الكلام ما هو أمرٌ من السهام، فإن الناهي عن المنكر، يعانى الهوان الأكبر، بمعااة كل شيطان من الإنس والجان، يقوم عليه الجيلان، ويرشقه بسهام الأذى القبيلان، شياطين الإنس ظاهراً بالمقال والفعال، وشياطين [الجن^(٦)] باطناً بما يوحون إليهم من الضلال.

(١) لعلها المضل، فهكذا وردت في أول رسالته الأولى

(٢) ٤، ٦، ٦ كلها ساقطة من الأصل، والسياق يوجبها

(٣) يقال: لاوت الحية الحية ملاواة: إذا التوت عليها

(٥) جمع حتف وهو الهلاك، وقيل: هي مصدر بمعنى الحتف، وهو قضاء

الموت «أساس البلاغة للزمخشري»

آيات سَلَّى الله بها نبيه

ولصعوبة المقام ، وما فيه من الأخطار والآلام ، سَلَّى الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، فقال تعالى : (١٥ : ٩٧-٩٩) ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون . فسبح بحمد ربك ، وكن من الساجدين . واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وقال الله تعالى : (٦ : ٣٣) قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون ، فإنهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وقال تعالى : (٦ : ١٠٨) كذلك زيننا لكل أمة عملهم ، ثم إلى ربهم مرجعهم ، فينبئهم بما كانوا يعملون) وقال تعالى : (٦ : ١١١-١١٣) ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة ، وكلمهم الموتى ، وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ، ولكن أكثرهم يجهلون . وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن ، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ، ولو شاء ربك ما فعلوه ، فذرهم ، وما يفترون . ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون) وقال تعالى : (٦ : ١٢١-١٢٣) وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوك ، وإن أطعتموهم إنسكم لمشركون . أو من كان ميتاً فأحييناه ، وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ؟ كذلك [٦٣] زين للكافرين ما كانوا يعملون . وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ؛ ليكفروا فيها ، وما يذكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون) إلى غير ذلك من الآيات والدلالات الواضحات ، ففي الأنبياء الذين هم أشرف الخلق عليهم أفضل الصلاة والسلام مسألة لأتباعهم ، واعتبار بأحوالهم ، واعتصام ، وما أنى أحدٌ قط أحداً^(١) بمخالفة هواه إلا ساءه^(٢) وأذاه ، إلا من عصم الله : (٢ : ٨٧) أفكلاما جاءكم

(١) في الأصل : أحد بالرفع . وهو خطأ

(٢) في الأصل : ساء

رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم ، وفريقا تقتلون) وهؤلاء الذين اتسموا بسمَةِ الاتحاد ، وقد ألفهم الطعام^(١) من الأنام ؛ لما غرروهم به من إظهار التصوف ، ليأخذوهم من المأمن ، وما دروا أن الصوفية أشد الناس تحذيرا منهم ، وتنفيرا للعباد عنهم .

الرأى فى سلف الصوفية

فإن المحققين منهم والمحققين^(٢) بنوا طريقهم على الاقتداء بالكتاب والسنة^(٣) ، كما نقل القاضى عياض فى أوائل القسم الثانى من الشفاء فيما يجب من حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم عن الحسن^(٤) رحمه الله أنه قال : « إن أقواما قالوا : يارسول^(٥) الله ، إنا نحب الله ، فأنزل الله تعالى : (٣ : ٣١ قل : إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وعنه أنه قال : « عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة » وعن أبى عثمان الخيرى^(٦) أنه قال : « من أمر على نفسه السنة قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة » ، وقال سهل بن عبد الله التستري^(٧) : « أصول مذهبنا ثلاثة : الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فى الأخلاق والأفعال ، والأكل من الحلال ، وإخلاص النية فى جميع

(١) الأوغاد من الناس ، مفردة طعام ، وهو يتطعم على الناس : يتجاهل عليهم « أساس البلاغة »

(٢) كذا بالأصل : ولعل الثانية زائدة ، أو لعلها : المتحققين

(٣) كتب الصوفية سلفهم وخلفهم تشهد عليهم بنقيض هذه الدعوى الكذوب

وقد سبق بيان هذا

(٤) يعنى : البصرى . ولم يك صوفيا

(٥) فى الأصل : برسول . وهى كما أثبتتها فى الشفاء

(٦) هو سعيد بن إسماعيل بن منصور . توفى سنة ٢٩٨ هـ

(٧) توفى سنة ٢٧٣ هـ

الأعمال^(١) « وفي كتب القوم كالرسالة والعوارف^(٢) من ذلك شيء كثير ،
والشهادة على من قال : الحقيقة خلاف الشريعة بالزندقة^(٣) ، وأن الطرق كلها
مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم^(٤) ، قاله الجنيد^(٥) ،
وقال أبو عثمان الحيري : خلاف السنة في الظاهر علامة رياء في الباطن ، وقال
النوري^(٦) : من ادعى حالا يخرج من حد العلم الشرعي ، فلا تقربن منه ، وقال
الخرازي : كل باطن يخالفه ظاهر ، فهو باطل ، وقال القشيري : حكم الوقت فيما ليس
لله فيه أمر ، إذ التضييع لما أمرت به ، والإحالة على التقدير ، وعدم المبالاة بما
يحصل من التقصير - خروج عن الدين^(٧) ، وقال السهروردي في قوم تسموا

(١) انظر ص ٧ ج ٢ الشفاء ، وإذا كان هذا صحيحا ، فلم يوجبون الاقتداء
بالشيوخ وحدهم ؟ ولم يأكلون السحت من صنديق نذور الأصنام ؟ ولم يقصدون
بالصلاة في مساجدهم وجود الهامدين في الأضرحة ؟ !

(٢) الرسالة لعبد الكريم بن هوازن القشيري . ولد سنة ٣٧٦ وتوفي سنة
٤٦٥ هـ . والعوارف لأبي حفص شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي
ولد سنة ٥٣٩ وتوفي سنة ٦٣٢ هـ

(٣) إن من يقسم الدين إلى حقيقة وشريعة لا يقترف هذا إلا وهو يتصور
المغايرة بين الإثنين ، ويؤمن بهذه الغيرية ، وكتب القوم جميعها طائفة بهذا مفضلة
الحقيقة على الشريعة ، وإلا . فما فائدة التقسيم عندهم ؟

(٤) انظر ص ١٩ من الرسالة للقشيري

(٥) يسمونه سيد الطائفة . توفي سنة ٢٩٧ هـ وكما نقل عنه القشيري هذا ،
فقد نقل عنه أنه سئل عن العارف فقال : من نطق عن شرك وأنت ساكت !!
والله وحده هو الذي يعلم ما تكن الصدور

(٦) أحمد بن محمد أبو الحسين . مات سنة ٢٩٥ هـ

(٧) ولكن اسمع للقشيري يقول في رسالته ص ٣١ : « الكيس من كان

بحكم وقته . إن كان وقته الصحو بقيامه بالشريعة وإن كان وقته الحو فالغالب عليه
أحكام الحقيقة « ألا ترى القشيري هنا يؤكد المغايرة بين الشريعة والحقيقة ، وأن
العارف في الحو ترفع عنه تكاليف الشريعة ؟

بالملامتية^(١) : «إنهم - في غرور - يزعمون أن الارتسام بالشرعية رتبة العوام ، وهذا عين الإلحاد ، وكل حقيقة ردتها الشرعية فهي زندقة^(٢)» وكذا قال الشيخ [٦٤] عبد القادر الكيلاني ، وقال القشيري : « من كان سكره بحظ مشوبا كان صحوه بحظ [صحيح^(٣)] مصحوبا ، ومن كان مُحِقًا في حاله ، كان محفوظا في سكره ، والعبد^(٤) في [حال^(٥)] سكره يشاهد الحال ، وفي حال صحوه يشاهد^(٦) العلم ، إلا أنه في حال سكره محفوظ ، لا بتكلفه ، وفي حال صحوه متحفظ بتصرفه ، ومن شرط الولي أن يكون محفوظا ، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوما » : وإنما نقلت هذه النبذة الماضية من الشفاء^(٧) ، ليعلم أن طريق

(١) اقرأ عنهم كتاب الدكتور عفيفي : الملامتية

(٢) ص ٥٧ عوارف المعارف للسهروردي

(٣) ، (٥) ساقطتان من الأصل ، وأثبتهما عن الرسالة للقشيري

(٤) في الأصل : وهو . والتصحيح من رسالة القشيري

(٦) في الأصل : بشرط ، والتصحيح من رسالة القشيري

(٧) نقل المؤلف هذه النصوص ليقم الحجة على الصوفية بشهادة أئمتهم ، ولكن

ما ينبغي أن نعرفنا بالحق هذه النصوص ، فإنما هي وجه إسلامي لقلب مجوسى ،

يحتدم حنقا على الكتاب والسنة ، فالقشيري الذي يتراءى بتمجيد السنة هو الذي زعم

في رسالته أن قبر معروف الكرخي يستشفى به ، ونقل قول الكرخي للسرى

للسقطي : « يا سرى . إذا كانت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بي » ويكفي هذا

لإخراج المرء من زمرة المسلمين . ويقول السهروردي في عوارفه ص ١٥٨

« وقد تقرر أن الوحدة والعزلة ملاك الأمر ، وتمسك أرباب الصدق » فأين

الجمعة والجماعة والجهاد في سبيل الله ؟ ثم يدعو السهروردي دعوة ما نوبة صرفة

فينسب إلى الرسول زورا أنه أباح العزوبة لأئمة بعد المائتين ، ويقول : سمعنا عن

الجيلي أن بعض الصالحين قال له : لم تزوجت ؟ فقال : ما تزوجت حتى قال لي

رسول الله ، فقال له : الرسول يأمر بالرخص ، وطريق القوم : التزم بالعزيمة »

يلتزم طريق القوم ، ولا يلتزم أمر الرسول !! فهل تشم نفحة من السنة ؟ لا بل =

الفقهاء هي طريق الصوفية^(١) ، هذا ما بنى عليه الصوفية أمرهم ، وأما هؤلاء الذين تشبهوا بهم ، ونبه العلماء - حتى الصوفية - على أنهم ليسوا منهم ، ودلّسوا على الناس ، ولبسوا أحوالهم ، ليقطعوا الطريق على أهل الله ، وهم يظهرون أنهم منهم .

مناجزة الصوفية للعقل والشرع

فأول ما بنوا عليه أمرهم ترك العقل^(٢) الذي بنى الله أمر هذا الوجود على حكمه بشرط استفادته إلى النقل الذي أنزل به كتبه : وأرسل به رساله عليهم الصلاة والسلام ، لئلا يزل العقل بما يغلبه من الفتور والشهوات والحظوظ ، وجعل العقل حاكماً^(٣) لا يعزل بوجه من الوجوه في وقت من الأوقات في ملة من الملل وضموا إلى ذلك^(٤) الداهية الدهياء ، وهي ترك ما عطر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الكون بمدحه ، وملاؤ الوجود بذكر مناقبه وفضائله ، وهو العلم والشرع

= يحموم المانوية الصرفة الداعية إلى القضاء على النوع الإنساني ، وإبادة الجنس البشري كله . وهذا يؤكد لك قوة الصلة ، بين مجوسية ماني وبين التصوف

(١) شتان شتان ما طريق الصوفية ، وطريق الفقهاء ، والصوفية أنفسهم

يقرون بهذا ، ويزعمون أن طريقهم هو الحقيقة لا الشريعة ، وتمسك الفقهاء هي الشريعة ، والصوفية يرون المستمسك بالشريعة محجوباً عن الحقيقة ، ثم ما لابن حنبل يأبى أن يسير في جنازة الحارث المحاسبي؟! إنه اشم من كلامه نين رائحة التصوف!؟

(٢) مقياس الحقيقة ومصدر المعرفة عند الصوفية هو الذوق ، وهذا سر

ترديدهم لأسطورتهم : من ذاق عرف ، أما العقل فيكفرون به ، ويرونه حجاباً يستر الحقيقة ، كل هذا ليغروا من حكم العقل عليهم بالأفن والضلال

(٣) ما للعقل أن يحكم على الحقائق الشرعية ، والقيم الدينية إلا بحكم الكتاب

والسنة ، لا كما يزعم الفلاسفة وغيرهم من علماء الكلام والأصول : وهو أن العقل

أصل النقل وحاكم عليه

(٤) أي إلى تركهم للعقل

وحذروا من اتباع شيء من ذلك غاية التحذير ، فكانوا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا ، وذلك بين جداً في فصوص ابن عربي ، ونظم تائية ابن الفارض اللذين قصد بهما هدم الشريعة ، وكل منهما^(١) ثابت عن نسب إليه عند أهله ثبوتاً رافعا للريب والتائية متصلة بابن الفارض بالآحاد والتواتر .

موقف العلماء من ابن عربي وابن الفارض

وقد كفرها العلماء بسبب ما نقل من حالهما ، وما صدق ذلك من كلامهما . أما ابن عربي ، فالتكلمون فيه كثير جداً ، وكان له علم كثير في فنون كثيرة ، وله خداع كبير غرَّ به خلقاً ، فأثنى عليه لأجل ذلك ناس من المؤرخين^(٢) .

(١) يعنى : الفصوص والتائية الكبرى

(٢) كم سجل الهوى في التاريخ البطولة للرعيد ، والقدسية للداعر ، والعدالة للطاغية ، والجماعة الإنسانية التي تتعدد ، وتباين فيها المقاييس الدينية والحلقية والاجتماعية تختلف على نفسها في تقدير قيم الحقائق والأشياء ، وبالتالي فيمن تنسب إليهم هذه القيم إثباتاً أو نفياً ، لذا أمر الله سبحانه أن يحمل المسلمون كتاب الله وسنة نبيه حكماً بينهم ، يحتكمون إليها كما شجر بينهم خلاف ، حتى يقوموا حقائق الأشياء بالحق والعدل ، ويحكموا في أفضيتهم بالحق والعدل ، فلا يبدد الخلاف وحدتهم ، ولا يذهب بهم الهوى شيعاً وأحزاباً ، وقد حدد الكتاب والسنة مفهوم التوحيد والشرك ، ومفهوم الإيمان والكفر ، بل والخير والشر ، وضرب الله سبحانه لنا أمثالا بمن حكم عليهم بواحد منها . فبجانب نوح عليه السلام ذكر ابنه وبجانب إبراهيم عليه السلام ذكر أباه آزر ، وبجانب موسى وهرون عليهما السلام ذكر الله فرعون وهامان وقارون ، وبجانب محمد صلى الله عليه وسلم ذكر أباه لهاب بالاسم ، وغيره بالصفة ، وبجانب مريم وامرأة فرعون ذكر امرأة نوح وامرأة لوط . ذكر الأولون في مقام الثناء عليهم ، وإسباغ الرضى والرحمة ، وذكر الآخرون في مقام الندم وصب الغضب واللعنة عليهم ، مع ذكر أسباب الثناء وأسباب الندم ، لتكون لنا بالصالحين نعم القدوة ، فنسعى معهم ما استطعنا ، وفي الطالحين العظة =

خفي عليهم أسره، أطبق العلماء على تكفيره وصار أمراً إجماعياً. وأما ابن الفارض فأسره أسهل، وذلك أنه لم يوجد لأحد من أهل عصره الخبيرين بحاله ثناء عليه بدالة، ولا ولاية، ولا ظهر عنه علم من العلوم الدينية، ولا مدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة واحدة على كثرة شعره، فدل ذلك على سوء طويته، ونقل القدح فيه نقلاً قطعياً عن محبيه ومبغضيه، فقد قال شراح تأيية التابعون لطريقته وللمتقدون عليه من أهل السنة: إن أهل زمانه كلهم من أهل الشريعة، وأرباب الطريقة رموه بالفسق والإباحة والزندقة [٦٥] على الإجمال.

المكفرون لابن الفارض

وأما التفصيل والتعيين، فقد رماه بالزندقة بشهادة الكتب الموثوق بها نحو من أربعين عالماً، هم دعائم الدين من عصره إلى عصرنا، فمن أهل عصره سلطان العلماء عز الدين [ابن] عبد السلام الشافعي، والحافظ الفقيه الأصول تقي الدين ابن الصلاح الشافعي، والإمام الفقيه المحدث الصوفي قطب الدين القسطلاني الشافعي، والإمام نجم الدين أحمد بن حمدان الحنبلي^(١) وشرح التأئية، وبين

والعبرة، فنحذر مما أركسوا فيه، وبسببه لعنهم الله وطردهم من رحمته. وبهذه المقاييس القرآنية يجب أن نؤمن، وبها يجب أن نقيس كل ما يعرض علينا من أمور الدين والحياة، فلا نفهم في التوحيد إلا ما بينه الله سبحانه به، وكذلك الشرك وغيرها. ولا نخذعنا عن الحق الجلي من كتاب الله كهان ولا أخبار، ولا رهبان، وعلى هداية الحق ننقد التصوف، دون أن نغير التفاتنا إلى ثناء المشين، أو ذم الدامين، ما دمنا نحمل المشعل الوهاج من القرآن يكشف لنا ما خفي من أمر التصوف. فما بهم بعده ثناء الملايين على ابن عربي وابن الفارض، وكيف، ونحن نعرف قصة فرعون وقصة الوثنية، ونعرف بمحكم الله على الجميع؟! فكل من نجده في دينه منتسباً إلى الفرعونية أو الوثنية، حكماًنا عليه بحكم الله، وإن ضج الملايين من الصوفية!!

(١) من أئمة الفقه والأصول، ولي نيابة القضاء بالقاهرة. ولد سنة ٦٠٣ وتوفي

عواره فيها بيتاً بيتاً - وأبو علي عمر بن خليل السكوني المالكي ، والشيخ جمال الدين بن الحاجب المالكي .

ومن يليهم قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد الصوفي الشافعي ، وقاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الأغر الشافعي ، وقاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة الشافعي ، والشرف عيسى الزواوي المالكي ، والسعد الحارثي الحنبلي ، والإمام أبو حيان الشافعي ، وأبو أمامة ابن النقاش الشافعي ، والحافظ شمس الدين الموصلی الشافعي ، وشيخ الإسلام تقي الدين السبكي الشافعي ، وشيخ الفقهاء الزين ^(١) الكتفاني الشافعي ، والشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي .

ومن يليهم الكمال جعفر الأدفوي ^(٢) الشافعي - ونقل ذم التائبة عن العلماء - والبرهان إبراهيم السفاقي المالكي ، والشهاب أحمد بن أبي حجلة الحنفي ، والحافظ شمس الدين الذهبي الشافعي ، والحافظ عماد الدين ابن كثير الشافعي .

ومن يليهم العلامة شمس الدين محمد العيزري ^(٣) الشافعي ، وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني الشافعي ، وعلامة زمانه علاء الدين محمد البخاري الحنفي الصوفي - وكفر بعض من قال بحضرته : إن ذلك يُؤوّل ^(٤) ، وما أنكر عليه أحد ممن كان حاضره من العلماء تكفيره له ، ولا غيرهم من أهل زمانه من مذهب من المذاهب ، وما وسع المكفر إلا البراءة من الاتحادية ، ومذهبهم .

ومن يليهم قاضي القضاة ولي الدين العراقي ، وقاضي القضاة حافظ عصره

(١) في الأصل : الدين

(٢) ولد سنة ٦٨٥ ، أو سنة ٦٧٥ هـ ، وتوفي سنة ٧٤٨ هـ

(٣) ولد بالقدس سنة ٧٢٤ ، وتوفي سنة ٨٠٨ هـ ومن شيوخه ابن قيم

(٤) من قال بهذا هو شمس الدين البساطي كما ذكر المؤلف من قبل

شهاب الدين أحمد بن حجر الشافعي ، وقاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي
وقاضي القضاة شمس الدين البساطي المالكي ، وعلامة اليمن بدر الدين حسين
ابن الأهدل الشريف الشافعي الصوفي ، كما شهد بهذا النقل عنهم نحو عشرين
كتاباً من مصنفاتهم ، ومصنفات غيرهم من العلماء ، وهي شرح التائية لابن
حمدان ، وديباجة ديوان ابن الفارض ، ولحن العوام لابن خليل ، وتفسير أبي حيان
البحر والنهر والفرقان لابن تيمية^(١) ، وقصيدة السفاقي التي يقول فيها :

وكالشستري القونوي ابن فارض

فلا برّد الله نراهم ، ولا أسقى

والقونوي الذي ذكره . صدر الدين [٦٦] صاحب ابن عربي ، وكتاب
ابن أبي حجة ، والميزان ولسانه لابن حجر ، والتاريخ لابن كثير بخطه ، وناصحة
الموحدين للعلاء البخاري ، والفتاوى المسكية للعراقي ، وتاريخ العيني وشرح
التائية للبساطي ، وكشف الغطاء لابن الأهدل . فهذه ستة عشر كتاباً وقصيدة
شهدت بكفره من بضع وعشرين عالماً ، هم أعيان كل عصر .

موقف شيوخ المذاهب من ابن الفارض

ومن كفره قاضي القضاة سعد الدين الديري الحنفي ، وقاضي القضاة محقق
زمانه شمس الدين القاياتي ، ونادرة وقته عز الدين بن عبد السلام القدسي الشافعي
والعلامة علاء الدين القلقشندي الشافعي ، والشيخ يحيى العجيسي المالكي والعلامة

(١) لا يكاد يخلو كتاب من كتب ابن تيمية من نقد الصوفية ، وبيان عوارهم
ويلاحظ أن البقاعي لم ينقل عن ابن تيمية سوى النذر اليسير ، بل الذي لا يكشف
تمام الكشف عن العبقرية المحلقة للامام الجليل في نقده للتصوف بالعقل والنقل ،
وهذا يثير الدهشة من جانب البقاعي ، أما نحن فيسرنا هذا حتى لا نوضع خصومة
ابن تيمية للتصوف موضع التهمة من الصوفية في هذا الكتاب

شمس الدين البلاطنيسى الشافعى شيخ الشاميين فى وقته ، وشيخ الإسلام عبد
الأول السمرقندى الحنفى ابن صاحب الهداية ، والعلامة الصوفى كمال الدين
ابن إمام الكاملية الشافعى ، والعلامة مهاب الدين ابن قر الشافعى ، والعلامة
أبو القاسم النويزى المالكى ، كما شهد بذلك الثقات من أصحابهم .
فهؤلاء أعيان العلماء فى عصر ابن الفارض ، وفى كل عصر أنى بعده طبقة
بعد طبقة إلى وقتنا هذا ؛ وقد اجتمع فيهم أهل المذاهب الأربعة التى هى عمدة
الإسلام^(١) ، فشهادة هؤلاء العلماء الموثوق بهم حجة على من قال بكفره ، أما
من لم ندركه فبشهادة الكتب الموثوق بصحة نسبتها إلى قائلها . وأما من أدركناه
فبشهادة الكتب فى بعضهم ، وشهادة الثقة فى باقىهم^(٢) ، هذا إلى ما شهدت
به شروح التائية كما يأتى .

تواتر نسبة ابن الفارض إلى الكفر

فقد صارت نسبة العلماء له إلى الكفر متواترة تواتراً معنوياً . وقد علم بهذا
عذر من كفره ، لو لم يكن له سند غير هذا ، فكيف وقد تأيد هذا بما فى كلامه
وكلام ابن عربى من الطامات التى منها منابذة العقل والشرع كما مضى ؟ .

(١) يسير المؤلف مع القافلة الشرود فى المذاهب الأربعة عمدة الإسلام ،
وينسى الكتاب والسنة اللذين أمرنا الله سبحانه أن نرد إليهما كل شىء ، ولو رددنا
أمر الصوفية إلى بعض شيوخ هذه المذاهب — لا الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم —
لوجدناهم يصححون له زندقته ، أما الكتاب الكريم فقد حكم الله فيه بالكفر
على القائل : الله هو المسيح ، وابن عربى يقول : الله عين كل شىء .

(٢) إن من يقرأ نصف بيت من تائية ابن الفارض ، كقوله مثلاً : فى دارت
الأفلاك . أو : وفى الصحو بعد الحو لم أك غيرها . أو : وما زلت إياها . من يقرأ
شيئاً من هذا لا يتردد فى الحكم على ابن الفارض أنه رجل انسلخ عن الإسلام .
يحكم بهذا المسلم ، بل غير المسلم ممن يقارنون بين التوحيد فى القرآن ، وبين
الوحدة عند ابن الفارض . فما بالك ، وقد حكم عليه كل أولئك العلماء ؟ !

الضلال عند الصوفية خير من الهدى

أما مافي الفصوص من ذلك ، فقد قال في الفص النوحى فى أثناء تحريفه لسورة نوح عليه السلام ، التحريف الذى يكفر الإنسان بأذى شئ فيه ^(١) : « (٧١ : ٢٤ وقد ضلوا كثيراً) أى حَيَّرُوهم فى تعداد الواحد (ولا تزد الظالمين) المصطفين الذين أورثوا الكتاب ، فهم أول الثلاثة (إلا ضلالاً) إلا حيرة ، فالحائر له الدور والحركة الدورية حول القطب ، فلا يبرح منه ، وصاحب الطريق المستطيل مائل خارج عن المقصود طالب ما هو فيه ، صاحب خيال إليه غايته ، وله « من » و « إلى » وما بينهما ، وصاحب الحركة الدورية لا بدء له ، فيلزمه « من » ولا غاية له ، فيحكم عليه « إلى » فله الوجود الأتم ، وهو المؤتى جوامع الكلم والحكم » وقال : (٧١ : ٢٢ ومكروا مكرأ كباراً) لأن الدعوة إلى الله مَكْرٌ بالمدعوى ، لأنه ما عدم من البداية ، فيُدعى إلى الغاية ، ادعوا إلى الله ، فهذا [٦٧] عين المكر ^(٢) .

رب ابن الفارض أنى

وأما مافي التائية من ذلك فقال فيها مخاطباً الله تعالى - كما أجمع عليه شراحه - بضمير المؤنث من أولها إلى آخرها وهى نحو سبعمائة ^(٣) بيت ، ولو خاطب أحد من أهل الزمان غيره بمثل ذلك ^(٤) قاتله ، لكن الناس لا يحملون إلا عند حقوق مولاهم سبحانه ، وأما فى حقوقهم ، فهم فى غاية الحدة والمشاححة ^(٥) ، والله الهادى .

(١) فى هامش الأصل : لعله : منه

(٢) سبق نقل هذا عن ابن عربى وتعليق عليه

(٣) بل تقارب الثمانمائة

(٤) أى : بمثل غزله الماخن فى الذات الإلهية

(٥) مثال ذلك حنق الصوفية على كل من يزود عن الكتاب والسنة ، ومن =

تفضيل الزنديق نفسه على الرسل

قال :

وحزنى ما يعقوبُ بثَّ أقـلّه
وكلُّ بلا أيوب بعضُ بليـتى
فضله الشارع على من ذكر في البيت كما هو ظاهر العبارة وعلل ذلك بقوله
« لقوة استعداده ، فسار في خطوة واحدة مالا يستطيعه غيره إلا في أزمنة طوال »
وقال القاضي عياض في أواخر الشفاء : « من قال : صبرت كصبر أيوب ، إن
درى عنه القتل لم يسلم من عظيم النكال » وأقول : فكيف إذا فضل نفسه ،
وكذب نحو قوله صلى الله عليه وسلم : « أشد الناس بلاء الأنبياء ^(١) » ؟ !

الخلاعة سنة ابن الفارض

قال :

وخلع عذارى فيك فرضى وإن أوى اقترا
بى قومي ، والخلاعة سنتى
وليسوا بقومي ما استعابوا تهتكى
فأبدوا قلى واستحسنوا فيك جفوتى
وأهلى فى دين الهوى أهله ، وقد
رضوا لى عارى واستطابوا فضيحتى
فمن شاء ، فليغضب سواك ، فلا أذى
إذا رضيت عنى كرام عشيرتى

يحكم على طواغيتهم بحكم الله ، ثم تمجدهم لما يشتم به ابن عربى الله رب العالمين ،
وهتافهم الساجد لوثنيته الباغية

(١) سبق ذكره ، وتخرجه ومعناه

ذلتُ بها في الحى حتى وجدتنى

وأدنى منالٍ عندهم فوق همتى

وأخلى وها خضوعى لهم ، فلم

يرونى - هواناً^(١) بى - محلا لخدمتى

ومن درجاتِ العزِ أمسيتُ مُخْلِداً

إلى دركاتِ الذلِ من بعدِ نخوتى

فلا باب لى يُعشى ، ولا جاء يُرنجى

ولا جار لى يُحمى لفقدي حميتى

كان لم أكن فيهم خطيراً ، ولم أزل

لديهم حقيراً فى رخاى وشهدتى

فحالى بها حال^(٢) بعقلٍ مدله^(٣)

وصحةٍ مجهود ، وعزِ مدلة

أسرتِ تمنى وصلها النفسُ حيث لا

رقيب حجاً سراً لسرى وخصت

يفالط بعض عنه بعضى صيانة^(٤)

وميتى فى إخفائه صدق لهجتى

أجمع شراح التائية على أن المراد بالأبيات التسعة الأولى : أن طريقه هتك

أستار الحرمة ، والخرق فى بعض النواميس الإلهية ، ونخليته الناس مع ربهم من غير

أمرٍ بمعروف ، ولا نهى عن منكر ، ورضاه بكل ما يقع منهم لشهوده الأفعال

(١) فى الأصل : هو انانى

(٢) أى : متزين

(٣) فى الأصل : لعقل مدلة ، والتصويب من الديوان

(٤) فى الأصل : صباية ، ويقصد ببعضه الأول : نفسه ، وبالآخر : عقله

كلها الواحد^(١) الحقيقي الظاهر في صور الكثرات ، وعدم الالتفات إلى
المُتَرَسِّمِينَ مِنَ الذُّهَادِ وَالْعُبَادِ ، وكسر نواميسهم^(٢) ، والرد عليهم وعدم التقييد
بظواهر العلوم والاعتقادات ، فحملهم ذلك على أن رموه بالفسق والبدعة والكفر
والإباحة والزندقة والخروج عن طريقهم ، فذل بين حى أهل الشريعة والطريقة
وأجمعوا^(٣) على أن المراد من الثلاثة [٦٨] الأخرى أن نفسه أُسْرَتْ تُمَنَّى
الوصول ، وَتَحَقَّقَتْهَا بِحَقِيقَتِهِ حَتَّى غَابَ عَنْهَا رَقِيبُ الْعَقْلِ ؛ خوفاً من اطلاعه على
ذلك ، فيغلب عليه حكم التنزيه ، فيقوم بالمنع والتشنيع ، فيقول^(٤) : ما للراب
ورب الأرباب ، وأنه بالغ في الإخفاء خوفاً من أن يتنبه العقل^(٥) ، فيقوم
يشنع وينكر ، فصار كل واحد من الصفات يغالط الآخر ، وكذبه في هذا
صدق لهجته .

وقال بعد ذلك بكثير :

ولا استيقظت عين الرقيب ، ولم تزل

على حبها في الحب عيني رقيبتي

قال التلمساني : « يعني لما سكرت روحى ، ونامت عين الرقيب - وهو

الشرع والعقل - أظمت عيني رقيبتي على » ، لرعاية آداب حضرة المحبوبة .

ذمه للرسول وللشرع

وقال في ذم الشرع أيضاً .

(١) لعله سقط قبلها : من ، أو : فعل ، أو : صادرة عن

(٢) في الأصل : نواميس

(٣) أى : شراح التائفة

(٤) أى : العقل

(٥) هذا إقرار صريح بأن نتائج التصوف تجافي العقل ، فإذا كان دينهم

يجانب الشرع والعقل . فماذا بقى ؟

منحتك علماً إن ترذ كشفه فرد^(١) سبيل^(٢) ، وأشرع في اتباع شريعتي
فتبّع صداء^(١) من شراب بقيعه^(٢)
لدى^(٣) ، فدعني من شراب بقيعة
ودونك بحرا خضته ، وقف الأولى
بساحله صوناً لموضع حرمتي
قال الشراح : « إن معنى ذلك أنه منع أتباعه علماء كاه صداء ، وهو ماء
يُضرب به المثل في الغزارة والعدوبة ، ونهى عن متابعة غيره من علماء الظاهر
من الأصوليين والفلاسفة والفقهاء ، وغيرهم من أهل العلوم الفكرية ، فإنها تفر
السامع ، وهي كسراب بقيعة ليست شيئاً ، وأنه خاض بحر التوحيد ، وأخرج
منه ما لم ينله أحد من السابقين من الأنبياء والأولياء لوقوفهم في ساحل ذلك
البحر لأجل حفظ حرمة^(٣) » ثم خادعوا^(٤) بأن قالوا : « قال هذا على لسان
الحضرة المحمدية^(٥) ؛ إذ كمال التوحيد مختص بمقام جمعه ، والكامل والتابعين
إياه » انتهى .

وقد وقع من شرحه بذلك - مع الحيدة عما لا يحيد عنه - في الكفر من

(١) في الديوان : صدا بالقصر لضرورة الشعر ، وهي صداء بالمد وتشديد الهمال

(٢) في الأصل : بقيعة

(٣) أى : حرمة ابن الفارض

(٤) أى : شراح التائية

(٥) ظن المؤلف أنهم يقصدون بالحضرة المحمدية محمداً صلى الله عليه وسلم ،
وهذا غير صحيح ، فالصوفية يريدون بالحضرة المحمدية الذات الإلهية مع التعيين
الأول ، ومن باطنها يزعمون أنهم يستمدون الفيوضات الإلهية مباشرة ، فمعنى قول
الشراح إذاً : إنه قال هذا على لسان الله سبحانه . والدليل قولهم : مختص بكمال
جمعه : أى أنه هو الذات الكاملة التي جمعت بين الحق والخلق في أكمل ماهية .

جهة أخرى ، وهي أنه يلزم منه تفضيل أتباع النبي صلى الله عليه وسلم على الأنبياء
الماضين عليهم السلام^(١)

يفضل أتباعه على الرسل ، وزندقته على شرعة الله

ومن نمطه — لكونه لا ينفك عن كفر — قوله عَقِبَهُ :

وأصغرُ أتباعي على عين قلبه
عرائسُ أبكارِ المعسرفِ زفتِ

فإن سبيل^(٢) عن معنى أي بفرائب
من الفهم جلت ، أو عن الوهم دقت
فإنه لا يصح على لسانه ، ولا لسان غيره^(٣) .

ثم قال في ذم الشرع والعلم :

ولأنك ممن طيشته دروسه بحيث استقلت عقله واستفرت
فتم وراء النقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمة
تلقيته مني ، وعنى أخذته ونفسي كانت من عطائي^(٤) ممدتي

(١) بل تفضيل نفسه على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى فرض صحة زعمهم أنه
يتكلم بلسان محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه يكون بهذا قد تعمد الكذب على
رسول الله ، فهو صلى الله عليه وسلم ما قال هذا الشعر الصوفي ، وجزاء متعمد
الكذب على الرسول الكريم معروف

(٢) أي : سئل

(٣) أي . ولا لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، ردا على زعمهم أنه يتكلم بلسان

الْحَضْرَةِ مُحَمَّدِيَّة

(٤) في الأصل : بالعطاء . والتصويب من الديوان . وابن الفارض يختار كلمتي

الإعطاء والإمداد عن عمدة آثم يدل على مبلغ اعتقاده في أنه هو الله . إذ الله
سبحانه هو الذي يقول عن نفسه تعالى « كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك »

قالوا في معناه : « لا يستخفك كثرة دروس العلوم النقلية ، فورها علم
مكونون أخذتُ ظاهره من حسي ، وباطنه من عقلي ، وسِرّه من روحي ،
ومكونه من سرى من حيث أن كل واحد منها عيني وذاتي . ولا وصف ،
ولا نعتَ زائدَ عليَّ حاكمَ بمغائرتي ، وغيريتي إياها ، فكنتُ المعطى ، وكنتُ
المعطى ، وكنتُ المُمدِّ ، وكنتُ المُستَمِدِّ ، والفاعلَ والقابلَ^(١) . »

هذا أمرهم [٦٩] في الانسلاح من العقل .

الصلة بين التصوف والنصرانية

وقد شهد عليهم العلماء بذلك . قال العلامة قاضي القضاة شمس الدين البساطي
في أول كتاب له في أصول الدين في المسألة السادسة من الكتاب الثاني في أنه
سبحانه ليس متحداً بشيء : « واعلم أن هذه الضلالة المستحيلة في العقول سرت
في جماعة من المسلمين ، نشأوا في الابتداء على الزهد والعبادة - إلى أن قال - ولهم
في ذلك - أي الاتحاد بالمعنى الذي قالته النصارى - كلمات يعسرُ تأويلها ، بل
منها ما لا يقبل التأويل ، ولهم في التأويل خَلْطٌ وَخَبْطٌ كلما أرادوا أن يقربوا من
المعقول ، ازدادوا بُعداً ، حتى أنهم استنبطوا قضية حلت لهم الراحة ، وقنعوا في
مغالطة الضرورة بها بالمغيب ، وهي أن ما هم فيه ، ويزعمونه وراء طَوْرِ العقل ،
وأنه بالوجدان يحصل ، ومن نازعهم بحجوب مطرود عن الأسرار الإلهية » وهكذا
قال الشيخ سعد الدين في شرح المقاصد ، والشريف في شرح المواقف^(٢) .

ادعاؤه الربوبية

ولما تمهد له في زعمه^(٣) ادعى أنه الله ؛ عناداً لقوله تعالى : (٥ : ١٧) لقد كفر

(١) لو قرأت بإزاء هذا قول الله (إياك نعبد ، وإياك نستعين) لحكمت

على هذا الرجل بآية واحدة بأنه خارج عن الإسلام

(٢) سبق ذكر نصي العضد والسعد

(٣) أي : في زعم ابن الفارض

الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم) وقوله تعالى : (٣١ : ٩) اتخذوا أحبارهم
ورهبانهم أرباباً من دون الله ، والمسيح ابن مريم) وقوله تعالى : (٦٥ : ١٩) هل
تعلم له سمياً) ولأمر^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتاله لكل من سمى
شيئاً غير الله إلهاً ، فقال شعر :

فِي دَارِتِ الْأَفْلَاقِ فَأَعْجَبَ لِقَطْبِهَا أَلَّا
مُحِيطُ بِهَا ، وَالْقَطْبُ^(٢) مَرْكَزُ نَقْطَتِي

(١) معطوفة على قوله قيل . لقوله تعالى

(٢) زيادة على ما ذكرته قبل عن القطب عند الصوفية أقول هنا : القطب
عندهم نوعان . قطب قديم أو معنوي ، وقطب حادث أو حسي . فإن كان بالنسبة
إلى مافي عالم الشهادة من الخلق ، فهو القطب الحادث أو الحسي ، وهذا يستخلف
بدلاً منه عند موته أقرب الأبدال منه ، إذ كان هو قبل القطبية بدلاً ، ثم استخلفه
القطب الذي كان قبله عند موته ، وإن كان بالنسبة إلى مافي عالم الغيب والشهادة من
تعيينات الوجود المطلق ، فهو القطب القديم ، أو المعنوي . لا يستخلف عنه بدلاً ،
ولا يقوم أحد من الخلائق مقامه ، إذ هو قطب الأقطاب المتعاقبة في عالم الشهادة ،
فلا يسبقه قطب ولا يخلفه آخر ، أي ليس قبله قبل ، ولا بعده بعد . والقطب القديم
هذا هو الروح المصطفوي ، أو الحقيقة الحمديّة ، أو هو الله — وسبحان رب
العالمين — حين عرف نفسه في أول صورة تعين فيها ، وسماها الحقيقة الحمديّة ،
ومن خصائص هذا القطب القديم وجود كل الأفلاك بوجوده ، ودورانها به ،
وحوله ، وإحاطة علمه وقدرته بأقطارها ، وسمو رتبته وشرفه عن ذرى رتبته
وسنام شرفها . وهنا يزعم ابن الفارض أنه هو هذا القطب القديم ، يعني قطب
الأقطاب ، يعني أنه الله سبحانه !! يزعم أن علمه محيط بكل شيء ، وأن قدرته
تصرف لمشيئته كل شيء ، وأنه فوق كل شيء بالشرف والرتبة ، وأنت — ولا ريب —
على ذكر من أن الله سبحانه هو وحده الذي يحيط علمه بكل مافي عالم الغيب والشهادة
وغير هذا مما لا يوصف به إلا الله سبحانه وتعالى وحده . وأنت — ولا ريب —
مدرك من قول ابن الفارض أنه ينسب كل هذه الصفات الإلهية لنفسه ، فهل يجوز
أن يعتربك وهم في أن ابن الفارض يقرر أنه هو الله ذاتاً وصفة وعلماً وقدرة ،
أعنى له الربوبية والإلهية « انظر ص ١٠٣ » كشف الوجوه الغر ، لعبدالرازق =
١٥ - مصرع الصوف

فمن قال ، أو من طال ، أو صال إنما
وما سار فوق الماء ، أو طار في الهواء
وعني من أمدته برقيقة
ومني لو قامت بميت لطيفة
ولا تحسبن الأمر عني خارجا
فلا حيي إلا عن حياتي حياته
[ولولاى لم يوجد وجود ، ولم يكن
ولا قائل إلا بلفظي محدث
هذا لا يصح كونه عنه ، ولا عن الله (٤) !!

زعمه أن صفات الله عين صفاته

ويقول أيضا أن الله يتحد به ، بحيث يصير الذاتان ذاتا واحدة ، فمن ذلك قوله :

ولا منصت بسمي إلا سامع
ولا ناطق غيري ، ولا ناظر ، ولا
ولا باطش إلا بأزلي وشدني
سميع سوائى (٥) من جميع الخليفة

القاشاني المطبوع على هامش شرح ديوان ابن الفارض ط ١٣١٠ هـ المطبعة الخيرية
فعنه بخاصة كتبت ما كتبت عن القطب ، وإن كان لنا شيء فالأسلوب وحده . كل
هذا لتقطع على الصوفية سبيل ادعاء أن ما تقول مفترى عليهم ، فلا والله ما نأخذ
ما نكتبه عنهم إلا من كتب آلهتهم !!

(١) في الأصل : في

(٢) في الأصل : آية . والتصويب من الديوان

(٣) هذا البيت ساقط من الأصل ، وأثبتته عن الديوان

(٤) هذا رد على زعم شراح التائية أن ابن الفارض يتكلم بلسان الحضرة الإلهية

(٥) في الأصل : سواى . وهى فى الديوان كما أثبتتها

وهأنا أُبَدِي في اتحادي مَبْدِي وأنهى انتهائي في تواضع رِفْعَتِي
جَلَّتْ في تَجَلِّيها الوجودَ لناظري ففي كل مرَّتي أراها بروية
وأشهدتُ غيبي إذ بدت فَوَجَدْتِي هنالك إيَّها بِجَلْوَة خُلُوتِي
فَوَصَفِي - إذ لم تَدْعُ باثنين - وصفها وهيئتها - إذ واحد نحن - هيئتي (١)

(١) زعم الزنديق قبل أنه قطب الأقطاب ، وأن له وحده القدرة المهيمنة ،
والعلم المحيط بما في عالمي الغيب والشهادة ، وفي هذه الآيات يوغل أيضا في التزندق
إيغالا فاجرا ، فيزعم أنه السيد لكل سيد ، وأنه مفيض الحياة والوجود ، وأنه
المهيمن على إرادة كل مريد ، فلولاه ما وجد موجود ، ولا خلق كائن ، ولا أخذ
العهد على الآدمية أن تعبد الله ، ولا دعا إلى الله - بالحق - نبي أو رسول . لأنه
الآخذ لهذا العهد على عبيده ، المرسل للرسل ، المانع المعطى كل كائن وجوده
وحياته ، ولما كان ابن الفارض يدين بأن الله سبحانه هو عين خلقه ، وأنه - أي
ابن الفارض - هو الله ، فقد هوى هنا في هذه الآيات مع الزندقة إلى غورها
السحيق ، إذ يزعم أن ما تلفظه الشفاه هو في الحقيقة ألقاظ الله ، وأن ما تسمعه
الآذان ، وتراه العيون ، عين ما يسمع الله ويرى ، بل الآذان والعيون هي في
حقيقتها آذان الله وعيونه - وتعالى الله عما يشركون ، مشيرا في لآمة ما كره إلى
الحديث القدسي « كنت سمعه.. الخ » ملحا بهذه الإشارة إلى أن السنة تؤيد بهتان
مجوسيته . وقد سبق الرد على ما يدندن به الصوفية حول هذا الحديث . كل هذا
يهرف به محبول الزندقة ، ليؤكد لك عشرات المرات أنه هو الله ، ورغم جلاء
الكفر الآثم في شعره ، فإننا ما زلنا نسمع من الأجبار أن ابن الفارض سلطان
العاشقين ، في حين أن كفر ابن الفارض أشد جحودا ، وأخبث وسيلة وغاية من
كفر الشيطان ، فإبليس في لحظة تحدى العبودية الآبقة للربوبية المهيمنة ، لم يذهله
التحدى عن عزة الله ، وأنه سبحانه هو الأعظم الأكبر ، فلم يقسم بغير عزة الله
(٣٨ : ٨٢ قال : فبعزتك ، لأغوينهم أجمعين) وإبليس في لحظة الجحود والعناد
لم يزعم لنفسه القدرة الشاملة ، ولا التصرف الكامل ، فقال : (إلا عبادك منهم
المخلصين) وإبليس في لحظة التخايل بالكبر المقيت ، لم يزعم لنفسه أنه غني عن الله ،
ولا أن حياته طوع إرادته هو ، فدعا الله سبحانه دعاء المفتقر إلى من يؤمن بأنه غني =

فإن دُعيتَ كنتُ الحبيب وإن أكن
مُنَادِي أجابت من دعائي ، ولبت
[٧٠] وإن نطقتُ كنتُ المناجي ، كذلك إن

قصصتُ حديثاً إننا هي قصتُ
فقد رُفِعَت تاء الخطاب بيننا (١) وفي رفعها عن فرقة الفرق (٢) رفعتُ
فإن لم يُجَوِّز رؤية اثنين واحداً حِجَابك ، ولم يُثَبِّتْ لبعث تَثَبُّتْ
سأجلو إشاراتٍ عليك خَفِيَّةَ بها ، كعباراتٍ لديك جَلِيَّةَ
وأثبتُ بالبرهان قولي . ضاربا مثلاً مُحَقِّقَ ، والحقيقة عمدي
بمتبوعة ينيك في الصَّرع غيرها على فمها في مَسْها حين جُنَّتْ (٣)
ومن لغة تبدو بغير لسانها عليه براهين الأدلة صَحَّتْ
وفي العلم حقاً أن مُبْدِي غريباً سمعت سواها، وهي في الحس أبدت

أن ينظره الله إلى يوم البعث . (١٥ : ٣٦ قال : رب فأنظرني إلى يوم يعشون)
فتأمل في كفر إبليس وكفر ابن الفارض ، وثمت تقول مع الحق : وأين من كفر
الزنديق كفر إبليس !!

(١) الخطاب يستلزم الإثنية ، إذ يقتضى وجود مخاطب ، ومخاطب . لذا ينفي
ابن الفارض الخطاب ، ليثبت من وراء نفيه ، أنه ما ثم غيره حتى يخاطبه ، وإنما
هناك ذات واحدة ، هي الذات الإلهية المتعينة في صورة ابن الفارض ، أو لعله يريد
أن تاء الخطاب - وهي مفتوحة - تحولت إلى تاء التكلم وهي مضمومة ، فيدل
أن يقول : أنت خلقت ، أصبح يقول : أنا خلقت

(٢) الفرق عند الصوفية : « شهود قيام الخلق بالحق ، ورؤية الوحدة في
الكثرة ، والكثرة في الوحدة من غير احتجاب صاحبه بأحدهما عن الآخر » جامع
الأصول في الأولياء . فالفرق لا يزال مشوباً بالغيرية ، لذا يزعم ابن الفارض أنه
تسامى عن هذه المرتبة التي يشعر فيها السالك أن تمت بينه وبين الله سبحانه وجهها ما
من وجوه الغيرية ، وأنه في أفق يوقن فيه وتحقق منه أنه هو عين الذات الإلهية
(٣) سبق هذا البيت وتعليقى عليه

قال الإمام شمس الدين البساطي في شرح هذه الآيات : « ومن ظنَّ هذا برهاناً ، فجنونه أعظم من جنون المتبوعة » وقال قبل ذلك :

زعمه أن الله سبحانه يصلي له

ولا غرو أن صلى الأنام إلى أن
لها صلواتي بالمقام أقيمها
ثوت بفوادي ، وهي قبلة قبلي
وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مُصلِّ واحدٌ ساجدٌ إلى
حقيقته بالجمع^(١) في كلِّ سجدة
وما كان لي صلى سوى^(٢) ولم تكن
صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

ثم قال بعد ذلك :

وفارق ضلال الفرق فالجمع ، مُنتججٌ هُدَى فرقةً بالاتحاد تحدث

(١) الجمع عند الصوفية : « شهود الحق بلا خلق ، أو الإشارة إلى حق بلا خلق ، وهو ما يسمى : وحدة الشهود » غير أن ابن الفارض يعني به هنا ما هو أشد كفراً ، إذ يزعم أنه حين يسجد ، فالساجد والمسجود له حقيقة واحدة هي الحق في صورة خلق ، يعني الإله باعتبار الإطلاق ، والإله باعتبار التعيين في صورة ابن الفارض

(٢) فيما قبله عبر بقوله : كلانا مصل وكلا . والضمير الذي بهما يشيران بأنه ثم اثنان يؤديان الصلاة ، - وإن كان قد عقبه بما ينفي الإثنية المفهومة من « كلانا » وهو قوله « واحد ساجد » . غير أنه لم يكتف بهذا في نفي الإثنية ، فنظم هذا البيت « وما كان لي صلى سوى . الخ » توكيدا لنفي ما نفاه من قبل ، وتوكيدا لمعنى الوحدة بينه وبين الله سبحانه ، ومعنى قوله : احذر أن تفهم أن المصلي غير من صلى له ، فأما حقيقة واحدة تجتمع غير العارفين بتجليها في مظهرين غيبي وشهودي ، أو مصلي له ومصل ، المصلي أنا ، والمصلي له أنا !! غير أني أقول للزنديق وعبيده : ما زال ثم غير . هو مكان الصلاة ، فلا يثبت لك نفي الغيرية والإثنية .

رب الصوفية في صور العاشقات

وصرَّح بإطلاق الجمال ، ولا تقل بتقييده مميلاً لزخرف زينة
بها قيسُ لبني^(١) هام ، بل كل عاشق كعجنون ليلي^(٢) ، أو ككثير^(٣) عزة
فكلُّ صبا منهم إلى وصف لبسها بصورة حسن لاح في حسن صورة
وما ذاك إلا أن بدت بمظاهرها فظنوا سواها ، وهي فيها^(٤) تجلت
ففي النشأة الأولى تراءت لآدم بمظهر حواء^(٥) قبل حكم الأمومة
فهام بها كيما يصير بها أبا ويظهر بالزوجين سرُّ البنوة
انظر إلى هذا التجاسر مع الكفر على صفي الله آدم عليه السلام في وصفه

(١) في الأصل ليلي ، وقيس المذكور هو ابن ذريح أحد مشاهير العشاق .
ما زال يشيب لبني بنت الحباب الكعبية ، ويسعى سعيه حق تزوج بها ، ثم طلقها
ثم تزوجها وكانا في أيام معاوية « عن تزيين الأسواق للأنطاكي »
(٢) العجنون هو عامر بن ملوح بن مزاحم ، وصاحبه ليلي بنت مهدي بن سعد
سلبه عشق ليلي رشده . وكانا في أيام مروان ومن شعره فيها :

أراني إذا صليت يعمت نحوها بوجهي وإن كان المصلي وراثيا
وما بي إشراك ولكن حبها وعظم الجوى أعياء الطيب المداويا
(٣) هو كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الأسود بن عامر كنيته أبو صخر
الشاعر المشهور ، كان رافضيا شديدا التعصب لآل أبي طالب . توفي سنة ١٥٠ هـ
وصاحبه عزة بنت جميل بن حفص بن إباس ، ومن شعره فيها :

الله يعلم لو أردت زيادة في حب عزة ما وجدت مزيدا
رهبان مدين والدين عهدتهم سيكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها خروا لعزة ركعا وسجودا
والميت ينشر أن تمس عظامه مسا ، ويخلد أن يراك خلودا
(٤) في الأصل : فيهم ، والتصويب من الديوان ، فالضمير يعود على المظاهر

(٥) يفترى أن الذات الإلهية تعينت لآدم في صورة حواء

AMERICAN UNIVERSITY IN SAHRA

بالهيام بالذات الأقدمين^(١) كما لا يخفى ولما لا يخفى :

وما برحت تبدو وتخفى لعله على حسب الأوقات في كل حَقبة
وتظهر للعُشاق في كل مظهر من اللبس في أشكال حسن بدِعة
ففي مرّة لبني ، وأخرى بثينة وأونة تدعى بعزّة . عزّة
ولسّن سواها ، ولا كُن غيرها^(٢) وما إن لها في حُسْنها من شريكة
كذلك بحكم الاتحاد ، حُسْنها كما لي بدت في غيرها ، وزيت
بدوّت لها في كل صبّ مُتيم بأيّ بديع حسنه ، وبأيت
وليسوا بغيري في الهوى لتقدم عليّ بسبق في الليالي القديمة
وما القوم غيري في هوى ، وإنما ظهرت بهم لللبس في كلّ هيئة

(١) في الكلام خلل فعله سقط منه شيء ، ويعجب المؤلف من جسارة ابن الفارض على آدم ، وليس بعجيب هذا من رجل قال قبل ذلك : إن الله هو جسد حواء !! وسبحان الله رب العالمين

(٢) يفترى الزنديق أن لبني وبثينة وعزة وليلى ما هن إلا الذات الإلهية تعينت في صور هؤلاء العوانى العاشقات ، وأن قيسا وجميلا وكثيرا وعامرا عشاق أولئك النسوة ، ما هم إلا الذات الإلهية تعينت في صور هؤلاء العشاق ، فمن خصائص الإله الصوفي أنه يتجلى في صورة رجل عاشق ، وفي صورة امرأة هالوك عاشقة ، وأنه حين يعشق فإنما يعشق نفسه ، فهو العاشق والعشق والمعشوق . وابن الفارض يختار لفظ العشق عن عمد تثيره الغزيرة الملتببة ، فالعشق كما يعرفه صاحب القاموس « إفراط الحب ، ويكون في عفاف وفي دعارة ، أو عمى الحس عن إدراك عيوبه أو مرض وسواس يجلبه إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور » والصوفية المعاصرة تعيب علينا الإيمان بصفات الله كما هي في الكتاب والسنة ، وترجف بنا باغية في كل ناد أننا نجسم الله !! ومعاذ الله أن ننسب إليه إلا ما نسب هو سبحانه إلى نفسه . ألا فليظنوا إلى ربهم الذي صنعت زندقة ابن الفارض ، إنه يصوره شهوة عارمة النزوات ، وبهذا لقبوه بسلطان العاشقين !!

ففي مَرَّتِ قَيْسًا ، وأخرى كَثِيرًا وَأَوْنَةَ أبدو جَمِيلًا بئِينَةَ (١)
 [٧١] تَجَلَّيْتُ فِيهِمْ ظَاهِرًا ، واحتجبت با طنا بهم ، فأعجب إكشِفِ سِتْرَةَ (٢)
 وَهَنَّ ، وَهَمَّ (٣) - لا وَهَنَّ وَهَمَّ - مظاهر
 لِنَسَا (٤) بتجلينا مَحَبِّ ، وَنَضْرَةَ
 فِكَلَّ فِتْيَ حُبِّ أَنَاهُو ، وَهِيَ حِ بُ كُلِّ فِتْيَ ، وَالْكُلُّ أَسْمَاءُ لِبَسَةِ
 أَسَامِ بِهَا كُنْتُ الْمَسْمَى حَقِيقَةَ وَكُنْتُ لِي الْبَادِي بِنَفْسٍ نَحَضَّتْ
 وَمَا زَلْتُ إِيَّاهَا ، وَإِيَّايَ لَمْ تَزَلْ وَلَا فَرَّقَ ، بَلْ ذَاتِي لِذَاتِي أَحَبَّتْ (٥)
 وَلَيْسَ مَعِيَ فِي الْمَلِكِ شَيْءٌ سِوَايَ وَأُ مَعِيَّةُ لَمْ تَخْطُرْ عَلَيَّ الْمَعِيَّةُ

(١) تكنى أم عبد الملك ، وصاحبها جميل بن عبد الله بن معمر بن صباح وكلاهما من بني عذرة ، قبيلة اشتهرت بالجمل والحب والعفة فيه ، حتى قيل : هوى عذري . وجميل مضرب المثل في صدق الصباة وعفة الحب ، كان وصاحبته في عهد عبد الملك بن مروان

(٢) دائماً يذكر ابن الفارض عن نفسه باعتباره أحد تعينات الذات الإلهية أنه يتجلى في صور رجال عاشقين ، أما حين يتحدث عن الذات مطلقاً فيزعم أنها تتجلى في صور نساء عاشقات وما من شك في أنه يريد بهذا تفضيل نفسه على كل تعينات الإله الصوفي ، إذ الرجل قيم على المرأة

(٣) العشيقات والعشاق الذين ذكروا قبل ، والذين هم رمز عن الوجود التعيين (٤) أي للذات الإلهية باعتبارها وجوداً خالياً من التعيين ، ولها باعتبارها خلفاً ممي ابن الفارض .

(٥) هذا وما قبله يؤكد أن ابن الفارض ممن يدينون بوحدة الوجود ، لا بالاتحاد . ألا تراء يؤكد أن مظاهر الوجود المختلفة هي عين الذات ، وأن الذات منذ أحبت أن تتعين وهي تتجلى في صور الوجود ، وأن هذه الحقيقة — حقيقة تعين الحق في صور الخلق — لا يطيف بها وهم من الأوهام ؟

LIBRARY OF AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

فهذا ظاهر في إرادة الاتحاد^(١) بحيث أن الدائنين تكونان ذاتا واحدة ،
لا شبهة فيه أصلا .

ثباته على اعتقاد الوحدة

ثم قال في إثباته^(٢) ، وتقى الحلول :

رجعت لأعمال العبادة عادة وأعددت أحوال الإرادة عُذَّتِي
وعُدَّتْ بِنُسْكِ بَعْدَ هَتَّكِ ، وعدت من

حَسْلَاعَةِ بَسْطِي ، لا تقباض بعفتي

وصمتُ نَهَارِي رَغْبَةً فِي مَثُوبَةٍ وَأَحْيَيْتُ لَيْلِي رَهْبَةً مِنْ عَقُوبَةٍ

وَعَمَّرْتُ أَوْقَاتِي بِوِزْدٍ لِيُؤَادِرِي وَصُمْتُ لَسْمَتِي ، وَاعْتَكَا فِي حُرْمَةٍ

وَبَنَيْتُ عَنِ الْأَوْطَانِ هَجْرَانَ قَاطِعًا وَمَوَاصِلَةَ الْأَحْبَابِ ، وَاخْتَرْتُ عِزْلَتِي

وَدَقَّقْتُ فِكْرِي فِي الْحَلَالِ تَوَرُّعًا وَرَاعَيْتُ فِي إِصْلَاحِ قُوَّتِي ، وَقُوَّتِي

وَأَنْفَقْتُ مِنْ يُسْرٍ^(٣) الْقَنَاعَةَ رَاضِيًا مِنْ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا بِأَيْسَرٍ بُلْغَةً

وَهَذَبْتُ نَفْسِي بِالرِّيَاضَةِ ، ذَاهِبًا إِلَى كَشْفِ مَا حُجِّبُ الْعَوَائِدِ غُطَّتْ

وَجَرَّدْتُ فِي التَّجْرِيدِ عِزْمِي تَزَهُدًا وَآثَرْتُ فِي نُسْكِ اسْتِجَابَةٍ دَعْوَتِي

مَتَى حِلَّتْ عَن قَوْلِي : أَنَا هِيَ ، أَوْ أَقْلٌ

وَحَاشَا لِمِثْلِي أَنَهَا فِي حَلَّتْ

جميع هذه الأفعال التي هي محاسن الشريعة جعلها نقائص ، ودعا على نفسه
بها^(٤) ، إن ادعى الحلول ، أو حال عن دعوى الاتحاد .

(١) الصور اللفظية لابن الفارض تشعر بهذا ، أما معانيه وشرحه في القصيدة
لمعتده فيؤكدان إيمانه بالوحدة

(٢) أي : في إثبات الاتحاد ، والحق أنها وغيرها في إثبات الوحدة

(٣) في الأصل : سر ، والتصويب من الديوان

(٤) يدعو ابن الفارض على نفسه بالعودة إلى مرتبة العبودية المصلية الصائفة =

استدلاله على زندقته

ثم قال بعد هذا بكثير في أواخر القصيدة ، دالا على مذهبه فيما زعم :
وجاء حديث في اتحادى ثابت رِوَايَتُهُ فِي النِّقْلِ غَيْرُ ضَعِيفَةٍ
يُسِيرُ بِحُبِّ الْحَقِّ بَعْدَ (١) تَقَرُّبٍ إِلَيْهِ بِنَقْلِ ، أَوْ أَدَاءِ فَرِيضَةٍ
وَمَوْضِعُ تَنْبِيهِهِ الْإِشَارَةُ ظَاهِرَةٌ بِكُنْتُ لَهُ سَمْعًا كَنُورِ الظَّهِيرَةِ
قال شارحه : « إن الحب ميل باطنى أثره رفع امتياز المحب والمحبوب ،
ورفع ما بينهما (٢) ، والمحبة عين الحضرة الإلهية ، والمحبة ظهور كماله الذاتى
والأسمى ، ولن يصح لقبول هذا الظهور المحبوب منصة إلا الحقيقة الإنسانية
صورة ومعنى ؛ لكمال جمعيتها ، وتتميمها دائرة الأزلية والأبدية ، والحديث المشير
بهذا الاتحاد : لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت له
سَمْعًا وَبَصْرًا وَبَدَأً وَلِسَانًا وَرِجْلًا (٣) وعبارة التلمسنى في مقدمة شرحه : نص
= الذاكرة ، المنطوية على أحزانها في كهف الزهد وغيابة الحرمان ، يدعو بهذا على
نفسه إن تحول يوما عما يدين به ، وهو أنه هو الله سبحانه ، أو كما يقول : متى
حلت عن قولى : أنا هى !! وجواب « متى » يدل عليه ما سبق من أول قوله :
رجعت لأعمال العبادة . . . الخ

(١) فى الأصل : عند . وهى كما أثبتتها فى الديوان

(٢) أى : رفع كل ما بينهما من فروق ذاتية وصفاتية ، حتى تصير الذاتان ذاتا
واحدة هى الحق متلبسا . بصورة خلقية قال الجنيد : ويسمونه سيد الطائفة - ويزعم
من لا يستبطن خبيثة التصوف : أن تصوف الجنيد أقباس من السنة ، « سمعت
السرى السقطى يقول : لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر : يا أنا »
بهذا يؤمن الجنيد وخاله السرى السقطى ، والفشيرى ناقل هذا فى رسالته فى باب
الحب ، فتأمل متى بدأ التصوف يتبع زندقته !! فالجنيد والسقطى من رجال
القرن الثالث الهجرى . وكلاهما يؤمن أن غاية الحب صيرورة العبد ربا ، حتى يقول
الرب للعبد ، والعبد للرب : يا أنا !!

(٣) روى الحديث باختصار مخل . وليس فى الحديث ذكر كلمة : لسان . وقد =

في المراد ، وهي : « فالسمع والبصر ، وغيرها من الصفات في أي موصوف كان هو الله حقيقة » وسيأتي كلام القشيري [٧٢] والسهروردى : أن هذا زندقة ، وساق ابن الفارض بعد الأبيات الماضية ما زعم أنه يدل على دعواه الاتحاد وأنه إذا دل على ذلك انتفى الحلول ، فقال :

ولستُ على غيبٍ أحيُّك . لا ، ولا
على مستحيلٍ موجبٍ سلبٍ حلِّيتي
وكيف ، وباسم الحق ظلَّ تحققي
تكون أراجيف الضلالِ مخيفتي ؟
وها دحيَّةٌ ^(١) وافي الأمين ^(٢) نبينا
بصورته في بدءٍ وحي النبوة

== سبق الحديث وبيان سنده والرد على ما استنبطه منه الزنادقة . وأنقل لك هنا طرفا مما شرح به ابن قيم الحديث لترى كيف يفهم المؤمنون ، ويهرف بالزندقة الصوفيون « وخص في الحديث السمع والبصر واليد والرجل بالذكور ، فإن هذه آلات الإدراك وآلات الفعل ، والسمع والبصر يوردان على القلب الإرادة والكراهة ، ويجلبان إليه الحب والبغض ، فتستعمل اليد والرجل ، فإذا كان سمع العبد بالله وبصره به كان محفوظا في آلات إدراكه ، فكان محفوظا في حبه وبغضه ، فحفظه في بطشه ومشيه ، فمضى كان العبد بالله هانت عليه المشاق ، وانقلبت المخاوف في حقه أمانا ، فبالله يهون كل صعب ، ويسهل كل عسير ، ويقرب كل بعيد ، وبالله تزول الأحزان والهموم والغموم ، فلا هم مع الله ، ولا غم مع الله ، ولا حزن مع الله . ولما حصلت هذه الموافقة مع العبد لربه في محابه ، حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه ، فقال : « ولئن سألتني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه » أي كما واقفني في مرادى بامثال أوامري والتقرب إلى بمحابي ، فأنا أواقفه في رغبته ورهبته فيما يسألني أن أفعل به ، ويستعيزني أن يناله مكروه » اقرأ الشرح كاملا في الجواب الكافي لابن قيم ط السنة المحمدية ص ٢٠٢ وما بعدها

(١) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة ، صحابي مشهور . أول مشاهده الخندق ، وقيل : أحد . كان مضرب المثل في حسن الصورة ، حتى كان جبريل ينزل بصورته . عاش رضى الله عنه إلى خلافة معاوية « أسد الغابة ، الإصابة ، الاستيعاب » .

(٢) جبريل عليه السلام

أجبريل قل لي : كان دحية إذ بدا لمهدي المهدي في هيئة بشرية
وفي علمه عن حاضريه مزية بما هيية (١) المرئي من غير مزية
يرى ملكا يوحى إليه ، وغيره يرى رجلاً يزعم لديه لصحبة
ولي من أصح الرؤيتين إشارة تنزه عن رأى الحلول عقيدتي

يدين بتلبس الله بصورة خلقه

قالوا : « إن المراد - كما هو ظاهر جدا - أن جبريل عليه السلام ظهر في
صورة دحية من غير حلول فيه ، ولأجل ظهوره كذلك ادعى أن الله تعالى تجلى
بصورة الناظم ، لم يدع حلوله (٢) فيه »

(١) ماهية الشيء : حقيقته التي تقال في جواب : ما هو ؟
(٢) مع كفره البين بقياس شأن الله على شأن عبده جبريل ، وحكمه بوقوع
تلبس الخالق بصور الخلق ، قياساً على ما وقع لجبريل ، إذ تلبس بصورة دحية .
أقول : مع كفره بهذا ، فالحديث ناطق بالحق يهدم ما بنى ابن الفارض ومخائنه
عليه من باطل ، فهو لا يثبت إلا ظهور جبريل بصورة دحية ، فلم يكن ثم - إذا -
ذاتان اتحدت إحداها بالأخرى ، أو صورتان لحقيقة واحدة ، وإنما كان ثم غيران
منفصلان تمام الانفصال ، ليسا متحدين ، لا في ذات ، ولا في صفة ، ولا في فعل
بل ولا في ماهية أو هوية ، ولكل منهما خصائصه ، ومقوماته وحياته التي لا تشبه
الأخرى في أدنى شيء ، أو تقاربا ، كان ثم الحقيقة الملكية ، وكان ثم الحقيقة
الآدمية . وهذا تقيض ما يدين به ابن الفارض ، إذ يدين بالوحدة التامة بينه وبين
الله في الهوية والماهية والذات والصفة ، يؤمن بأن هذه الكائنات التي لا تنتهي
هي عين الذات الإلهية . وأنت - ولا ريب - قد آمنت بأن الحديث حجة عليه
لا له . ثانيا : فصل الرسول صلى الله عليه وسلم - وهو سيد العارفين ، كما يوقنون -
بحكمه عن بينة بين جبريل ، وبين دحية ، وهذا الفصل يقتضى أن ذات جبريل
غير ذات دحية ، أعني يستلزم الغيرية الحقيقية . وابن الفارض يدين بعدم الغيرية ،
وينكرها بتاتا . ثالثا : حينما ظهر جبريل بصورة دحية كان ثم أغيار كثيرون
حقيقيون غيره . هم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وكان ثم المكان =

قال البساطي : لكن دعوى تجلّي الله بصورة ما مكفّر بها ^(١) شرعا
بإجماع المسلمين والكافرين من آمن به ، وإن لم يكن حلولا »

ثم قال ، دالا على أن ما قاله بزعمه في الكتاب والسنة :

وفي الذّكر ^(٢) ذِكرُ اللّبسِ ليس بمُنكِرٍ

ولم أُعدُّ عن حُكْمِي كتابِ وسنة

وشرحه الشراح كلهم بقوله تعالى في الكتاب العزيز (٢٨: ٣٠) نُودِي من

شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة : أن ياموسى ، إني أنا الله ^(٣)

= والصوفية يدينون بأنه ما ثم غير من الأغيار ، وإنما الكل عندهم عين الذات .
رابعا : حينما ظهرت الملائكة لإبراهيم الخليل عليه السلام ظنهم رجلا - والعارف
الحق عندهم من لا تحدعه الصورة عن الحقيقة - فقدم لهم طعاما ، فلم ينالوا منه
شيئا ، وهذا دليل على أن الملائكة - رغم ظهورهم في صور بشرية - ظلت على
خصائصها الملكية ، ولم تنزل على حكم البشرية ، فتأكل وتشرب ، في حين يدين
الصوفية بأن الله سبحانه عين الماهية والهوية من كل موجود ، وله خصائصه
الحيوانية ، أو الإنسانية ، أو الجمادية ، فيأكل ويشرب ويتزوج وغير ذلك

قال الحافظ ابن حجر في الفتح « والحق أن تمثل الملك رجلا ليس معناه أن ذاته
انقلبت رجلا ، بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه » لكن الصوفية
- يعبر عنها ابن الفارض وابن عربي وغيرهما - تدين بأن ذات الحق عين الخلق
فيجوز عليها كل ما يجوز عليهم ، فهي حقيقة القاتل من فاعل القتل ، وشارب الخمر
من شاربها ، فما من فاعل يأتي بشيء ، وما من مجرم يقترف إثما إلا وهو الله حقيقة
عند الصوفية ، وتعالى الله الملك الحق عما يصفون !

(١) سبق ذكر هذا النص وتعليق عليه

(٢) القرآن .

(٣) يفترى الزنديق أن من كلم موسى هي الشجرة ، وأنها كانت هي الله

سبحانه متجليا في صورة شجرة ، ثم يأخذ من هذا الإفك الأثيم دليلا على دعواه ،
وهو تعين الله في صور خلقية ، وتجليه في صورة ابن الفارض ، ورغم هذا الهتان =

وقوله تعالى: (٨ : ١٧ وما رميت - إذ رميت - ولكن الله رمى ^(١))

المجوسى ، فالآية تدمغهم . فإنها تثبت وجود أغيار كثيرة غير الرب الذى ظنوه شجرة . تثبت وجود موسى ، والشاطيء ، والبقعة المباركة ، وابن الفارض ومخائنه يدينون بأنه ما ثم غير أبدا ، فعندهم أن الله سبحانه عين كل شيء . وهم يزعمون هنا أن الشجرة وحدها كانت هى الله ، فما استدلوها به يناقض ما يدينون به

(١) يتخذ الصوفية - كدأبهم فى التلبيس الزنديقى - من هذه الآية دليلا على

أن فعل العبد عين فعل الله ، ليثبتوا من ورائه أن ذات العبد عين ذات الله سبحانه

وإليك ما يرد به الإمام ابن تيمية بهتانهم « قوله تعالى : (وما رميت إذ رميت

ولكن الله رمى) لم يرد به أن فعل العبد هو فعل الله ، كما تظنه طائفة من الغالطين

فإن ذلك لو كان صحيحا ، لكان ينبغى أن يقال لكل أحد حتى يقال للماشى :

ما مشيت ، ولكن الله مشى ، ويقال مثل ذلك للأكل والشارب والصائم والمصلى

ونحو ذلك ، وطرد ذلك يستلزم أن يقال : وما كفرت إذ كفرت ، ولكن الله

كفر ، ويقال للكاذب . . . ومن قال هذا فهو ملحد خارج عن العقل والدين .

ولكن معنى الآية : أن النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر رماهم ، ولم يكن فى قدرته

أن يوصل الرمى إلى جميعهم ، فإنه إذا رماهم بالتراب ، وقال : « شاهت الوجوه » ولم

يكن فى قدرته أن يوصل ذلك إليهم كلهم ، فالله تعالى أوصل ذلك الرمى إليهم بقدرته

يقول : وما أوصلت إذ حذفتم ولكن الله أوصل ، فالرمى الذى أثبتته ، ليس هو

الرمى الذى نفاه عنه ، وهو الإيصال والتبليغ ، وأثبت له الحذف والإلقاء باختصار

قليل جدا عن مجموعة الرسائل والمسائل ص ٩٦ ج ١ وأقول : تثبت الآية وجود

رام ، وشيء رمى ، وقوم أصيبوا بما رمى ، فعلى فرض صحة إفكهم أن الرامى هو

الله فى صورة محمد ، فمن هم أولئك الذين رماهم الله ؟ وما ذلك الشيء الذى رماهم

به ؟ أم عين الله ، أم هم غيره ؟ إن قيل بالأول لزمهم كون ربهم من عتاة الجاهلية

عباد الصنم ، وأنه غلب على أمره ، وأصيب بما لم يملك له دفعا . وهذا هو إله

الصوفية الذى تصنعه الأوهام والشهوات . وإن قيل بالثانى لزم وجود غير ، بل

أغيار كثيرة ، وهذا تقيض ما يدعون به ، وهو أن الله سبحانه عين كل شيء ، وتعالى

الله عما يصفون

وقوله تعالى : (٤٨ : ١٠ يد الله فوق أيديهم ^(١)) وفي السنة حديث الإتيان في الصورة التي تُنكر يوم القيامة ، ثم في الصورة التي تُعرف ^(٢) . ثم قال ^(٣) : « فعمل أنه تعالى يتلبس بأى لباس صورة شاء مما يُعرَف ، ومما يُنكر من غير حلول ، فكان ظهوره بصورتى جائزا من غير حلول ، فصح بهذا دعوى اتحادى مع نفي الحلول » انتهى . وليس وراءه تصريح بالكفر . نسأل الله العافية . وقالوا في شرح البيت الثانى ^(٤) : « إن الحق من أسماء الذات ، ومن انصف بأسماء

(١) يزعم الصوفية أن قوله تعالى : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم » تؤيد بهتانهم في الاتحاد والوحدة ، وإليك رد الإمام ابن تيمية عليهم : « (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) لم يرد به أنك أنت الله ، وإنما أراد به أنك أنت رسول الله ومبلغ أمره ونهيه ، فمن بايعك ، فقد بايع الله ، كما أن من أطاعك فقد أطاع الله ، ومن ظن في قوله : إن الذين يبايعونك - الآية : أن المراد به أن فعلك هو فعل الله ، أو المراد أن الله حال فيك ونحو ذلك فهو مع جهله وضلاله بل كفره وإلحاده قد سب الرسول خاصيته ، وجعله مثل غيره ، وذلك أنه لو كان المراد به أى خالق لفعلك ، لكان هنا قدر مشترك بينه وبين سائر الخلق ، وكان من بايع أبا جهل فقد بايع الله ، ومن بايع مسيلة فقد بايع الله ، ومن بايع قادة الأحزاب ، فقد بايع الله ، وعلى هذا التقدير ، فالمبايع هو الله أيضا ، فيكون الله قد بايع الله ، إذ الله خالق لهذا ولهذا ، وكذلك إذا قيل بمذهب أهل الحلول والوحدة والاتحاد ، فإنه عام عندهم في هذا وهذا ، فيكون الله قد بايع الله ، وهذا يقوله كثير من شيوخ هؤلاء الحلولية ، حتى إن أحدهم إذا أمر بقتال العدو ، يقول : أقاتل الله ! » باختصار قليل جدا عن مجموعة الرسائل والمسائل ص ٩٧ ج ١ .

(٢) سبق ذكر الحديث والرد على استدلال الصوفية به على معتقدهم

(٣) أى شارح التائمية

(٤) هذا البيت هو :

وكيف ، وباسم الحق ظل تحققي تكون أراجيف الضلال مخيفتي

الذات أعلى يَمُنْ اتصف بأسماء الصفات ، وقد أُخبر عن اتصافه باسم الحق - وهو الثابت بذاته ، المُثَبِّتُ لغيره ^(١) - فلا يمكن أن يتغير عما ذهب إليه .

رأى القشيري والسهرووردي

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري في شرحه للأسماء الحسنى : « إن العبد لا يجوز أن يتصف بصفات ذات الحق كما زعم بعضهم : أن العبد يكون باقياً ببقاء الحق ، سميعاً بسمعه ، بصيراً ببصره ^(٢) ، وهذا خروج عن الدين ، وانسلاخ عن الإسلام بالكيفية ، وهذه البدعة أشنع من قول النصارى : إن الكلمة القديمة أتحدت بذات عيسى عليه السلام ، وهي توازي قول [٧٣] الحلوية »

وقال السهرووردي في الباب الحادي والستين من عوارفه في الكلام على المحبة ، ما حاصله : « إن المحبة : التَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِ اللَّهِ ، ومن ظن من الوصول غير ما ذكرنا ، أو تخايل له غير هذا القدر ، فهو متعرضٌ لمذهب النصارى في اللاهوت والناسوت ^(٣) » وقال : « علم البقاء والفناء يدور على إخلاص الوجدانية وصحة العبودية ، وما كان غير هذا فهو من المغاليط والزندقة ^(٤) »

وحدة الأديان عند ابن الفارض

وعلى هذا الأصل الخبث الخبيث - وهو الاتحاد بين جميع الكائنات ،

(١) من هذا الغير ؟ إن كان خلقاً ، فقد أقروا بأن الحق غير الخلق ، وهذا تقيض دعواهم ، وإن كان هو الحق نفسه ، فقد أثبتوا أن ربهم يغير نفسه ، محتاج إلى من يمنحه الثبوت والوجود ، وهذا أيضاً تقيض دعواهم ، فهم ينكرون الغيرية ، ويسمونهُ الوجود المطلق

(٢) يعني : ما يدين به الصوفية ، وهو أن سمع الله وبصره عين سمع العبد وبصره ، إذ الحق عندهم عين الخلق

(٣) انظر ص ٣٥٣ عوارف المعارف ط العلامة ، وقد سبق لنا بيان فرق النصارى .

(٤) ص ٣٦٢ عوارف المعارف

وأنه لا غير ، ولا غيرية في شيء من الوجود - فرَّع صحة كل دين^(١) ؛ لأن
الفاعل عنده إنما هو الله ، فأبطل دين الإسلام القائل بأن كل ما عداه^(٢) باطل ،
فصار المحامي له^(٣) خاذلاً لمن ينصره^(٤) ، فإن من كفر ابن الفارض ساع جهده
في نصر دين الإسلام ، وتأييد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأغلب المحامين
له يعتقدون أن دين الإسلام - القائل بضلال ما عداه - هو الحق ، ويسعون
في نصر من يُصَوِّب كل ملة ، ويُصَحِّح كل نِحْلَة ، وهم لا يشعرون أنه قال في
تصويب جميع الأباطيل . شعر

شعره في وحدة الأديان

وإن عبد النارَ المَجُوسُ - وما انطفت
كما جاء في الأخبار - من ألف - حِجَّة
فما عبدوا غيري ، وإن كان قصدم
سواي ، وإن لم يعقدوا عقد نيتي
رأوا ضوءَ نوري مرة ، فتَوَهَّمُوهُ
هُ ناراً ، فَضَلُّوا في الهدى بالأشعة
وإن خرَّ للأحجار في البِدِّ^(٥) عاكف
فلا وجه^(٦) للانكار بالعصبيَّة
فقد عبد الدينارَ - معني - مُنَزَّة
عن العار بالإشراك^(٧) بالوثنية

(١) هذا قول حق ، فالصوفية آمنوا بوحدة الأديان - مماويها ووضعها -
لإيمانهم بوحدة الوجود ، فرب الصوفية عين المسلم وعين المشرك وعين المجوسي ،
ولندا قالوا : الإسلام عين الشرك عين المجوسية عين البهائية ، ولندا أيضا قالوا بنفي
العذاب في الآخرة ، إذ الإله لا يمكن أن يعذب نفسه !! .

(٢) في الأصل : عدا

(٣) أي : لابن الفارض

(٤) أي : لمن ينصر الإسلام

(٥) بهامش الأصل « البد » : بيت الأصنام وهو صحيح (٦) (٧)

(٦) في الأصل : فلا تعد بالإنكار ، وهي كما في الديوان

(٧) في الأصل : في الإشراك

وإن نار بالتنزيل محراب مسجد فما بار بالإنجيل هيكل بيعة
وأسفار توراة السكليم لقومه يُنأجى بها الأخبار في كل ليلة
وما احتار من الشمس - عن غيرة^(١) - صبا
وإشراقها من نور إسفار غرتي
وقد بلغ الإنذار عنى^(٢) من بقى وقامت بي^(٣) الأعدار في كل فرقة
فما زاغت الأبصار من كل ملة ولا راغت الأفكار في كل نحلة
قال شراحه : « إنه مهّد في هذه الآيات أذار كل فرقة ، وأن كل
صاحب ملة ونحلة - وإن بطل سعيه - على نصيب من الهدى ، فعباد النار غير
مؤاخذين من جميع الوجوه ، بل من وجه دون وجه ، ولا لوم على أحد ، بل
لكل واحد وجه ، ومحل خير يُحمّل عليه ، فكلّ يعمل على شاكلته ،
وكذا عابد الأصنام . قالوا : لا تنكر عليه ، فإن أنكرت ، لم يكن إنكارك
إلا تعصبا ؛ لأنك لا تنكر على المُقبل على الدنيا ، مع أنه أقوى شراً من عابد
الصنم - وقالوا - : كما أن القرآن نور المساجد ، فكذلك الإنجيل نور المعابد
- وقالوا نحو هذا في التوراة ، وفي عابد الشمس : إنه بإثباته عين الألوهية لم يكن
ناقصا ، فقام له عذر من وجه من الوجوه . وذلك كاف للكريم » ولا يقول
بشيء من هذا مسلم^(٤)

معاندته للتوحيد الحق

وقد عاند التوحيد الحق في قوله :

(١) في الأصل : غيره

(٢) ، (٣) في الأصل : منى - به

(٤) بل لا يقول به يهودى أو نصرانى ، والبهائية على خبث معتقدتهم ، ورغم

أنهم امتداد للصوفية لا يقولون بهذا ، وإنما القائل به في كل أمة هم الصوفية

ولو أنني وَحَّدْتُ أَلْحَدْتُ^(١) وانسَلَخْتُ من أي جمعي مُشْرِكًا بِي صَنَعْتُ
قالوا في شرحه : « لو أنني أثبت وحدة الذات الحق المطلوب المحبوب ،
ونفيت كثرة نَسْبِهِ عنه ، كما أثبتت ونفت المنزّهة^(٢) ، وبعضُ الفلاسفة ،
لكنتُ مائلًا عن سنن الاستقامة ؛ لأنني أثبتت لنفسي وغيري وجودًا يقابل
وجودَ الحق » وهذا عين الإلحاد والشرك ، فليس وراء هذا كفر ، فإن كان هذا
مما يفهمه المنازع^(٣) ، كما يفهم الذابُّ عن الشارع ، فقد علم منابذته لله ، ورسوله
صلى الله عليه وسلم ، وإن كان لا يفهمه ، ويدعى أن له معنى حسنًا ، فيكفيه
أنه يخوض بالجهل فيما هو أخطر الأشياء ، وهو أصول الدين الذي في الزَّائِلَةِ فيه
ذهابُ الروح والدين ، وهو معاندٌ بمنازعتِه لقوله تعالى : (٦٦:٣) هَاتِمٌ هُوَ لَاءٌ حَاجَجْتُمْ
فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) ، (١٦٨:٢ ، ١٦٩) ولا تتبعوا
خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين . إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن
تقولوا على الله ما لا تعلمون) ، (٣٣:٧) قل : إنما حَرَّمَ رَبِّيَ الفواحش ما ظهر منها
(١) يرى في التوحيد الحق الذي جاء به الرسل جميعا عن الله أنه إلحاد ، وهذا
هو دين الصوفية سلفهم وخلفهم ، ألا تسمع عواء الصوفية تحت قباب الطواغيت ،
وهم يقيثون صلوات ابن بشيش التي يقول فيها : « زج بي في بحار الأحديية ،
وانشأني من أوحال التوحيد ، وأغرقتني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ، ولا
أسمع ، ولا أجد ، ولا أحس إلا بها » يرون توحيد الرسل أوحالا من الطين ،
ويدعون الله أن ينشلهم منها ؟ ومتى يدعون ، والليل لمسا يهتك كله السحر عن
مهده !! هذا لأن التوحيد الحق يثبت لله وحده الربوبية والإلهية ، أما الصوفية
فيدعون أن يكون حتى الدراويش منهم أربابا وآلهة ، وهذا معنى قولهم :
« وأغرقتني في عين بحر الوحدة » بل يريدون أن يكونوا وجودا مطاقا « وزج بي
في بحار الأحديية »

(٢) الذين ينزهون الله سبحانه عن مشابهة خلقه ، ويثبتون له سبحانه ما أثبت
لنفسه من صفات .

(٣) أى : المنازع في كفر ابن الفارض

وما بطن ، والإثم والبغى بغير الحق ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) ، (١٧: ٣٦) ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستولاً) .

ويكون^(١) تابعاً لمجرد العصبية ، وحمية الجاهلية ، مع أنك لا تجد من يحامى عنه إلا منهم كما في الفسوق والبغى والعقوق ، أو قريباً منه ، تبعاً له في قوله:

دعوته إلى المجون

وينبيك عن شأني الوليد وإن نشأ بليداً يالهام كوحى و فطنة
ويعرب عن حال السماع بحاله فيثبت للرقص انتفاء النقيصة
ولا تك باللامى عن اللهو جملة فهزل الملامى جدُّ نفسٍ مُجِدَّة
وإياك والإعراض عن كل صورة مُمَوَّهَةٍ ، أو حالة مستحيلة

قالوا في شرحه : « إن الطفل يبين بحاله من الإصغاء إلى المناغى عن حال أهل السماع والرقص ، فيثبت بهذا انتفاء النقص خلافاً لما قاله المحجوبون ، ولما كان سماع الطفل ورقصه بريئاً عن الشهوة والرثاء^(٢) كان مُعَرِّباً عن صحة حال سماع الواجدين ، ورقصهم^(٣) وهزل الملامى جدُّ نفسٍ مُجِدَّة ، فلا تكن غافلاً

(١) أى: المنازع في كفر ابن الفارض ، وهو معطوف على قوله قبل: يخوض بالجهل

(٢) فى الأصل : الرثاء

(٣) يدعو ابن الفارض — متوهج المجون — إلى إلهاب شهوات النفس ، واستشارة غرائزها الجامحة بالرقص العرييد والغناء الطافح بالشهوة ، ويلج في هذه الدعوة الآثمة ، إذ الرقص فى دينه معارج الروح إلى أفق رحمت ملكوت الأحدية !! ، بل يوقن أن الرقص والغناء فيض إلهى يجب أن تتلقاه أرواح العارفين بالبهجة والنشوة !! وأمس كان يدعو عبد المرآة والشهوات إلى مثل هذا فيستنكر منهم هذا الإثم بعض العلماء ، وتثور بها بعض الجماعات الدينية ، بل — واعجب معى — بعض الصوفية ، غير أنهم — إذا قيل لهم : إن ابن الفارض =

عنه ، فإنه فائض من الأسماء الإلهية ، وما يفيض من الحق إلا ما هو حق لا باطل .

الباطل إله الصوفية

ولذلك قال ابن عربي « لا تنكر الباطل في طوره ، فإنه بعض ظهوراته »^(١)
فقد أفاد هذا أنهم يعتقدون : أن الباطل هو الله ، ولو لم يكن في هذا إلا أنه^(٢)
يدعو إلى البطالة والخلاعة والضلالة ، لسكان كافياً في استهجانهم [٧٥] ومنازحته
للدين .

وقد نقل شيخنا حافظ العصر ابن حجر في لسان الميزان أنه كان لهذا الناظم
جوارٍ في البهيسة موظفات للغناء والضرب بالآلات الملاحى ، وكلما ماتت واحدة
منهن اشترى بدلها أخرى ، وكان يذهب إليهن في بعض الأوقات ، فيسمعهن ،
ويرقص عليهن ، ويرجع^(٣) .

المناضل عن ابن الفارض

فالمناضل عنه مسارع إلى شكله ، ومضارع لمن كان فعله كفعله ، كما قال علي

= شيطان هؤلاء ، وداعيتهم إلى التلطيخ بهذه الردغة — أقلقوا مضاجع الليل
بالاستغفار أن ذكر سلطان العاشقين أمامهم بسوء !! في حين أن دعوته أدهى شراً
مما يدعو إليه المجان عبيد الغواني ، فهو يصور الرقص تنفث به المرأة سم الجريمة ،
والغناء تتجاوب معه أحط الغرائز ، والعشق يرويه دم الأعراض ، يصور كل هذه
الموبقات على أنها سبجات الإشراف الأسمى ، وفيض إلهي يصل العارف بالملأ الأعلى
يجعل اقتراف ذلك الإثم مظاهر تبطل ، ومحراب تأله وتعبد ، على حين يصفها المجان
بأنها علام حاضرة ، ودلائل مدنية !! فأى الدعوتين أطغى شراً ، وأخبث كفراً !؟

(١) أى : بعض تعينات الإله الصوفي

(٢) يعنى : ابن الفارض

(٣) ذكر الحافظ في اللسان : أنه نقل هذا عن كتاب التوحيد للشيخ عبد

القادر القوصى .

رضى الله عنه بعد قدومه الكوفة بثلاثة أيام : « قد عرفنا خياركم من شراركم ، قالوا : كيف ؟ ومالك عندنا إلا ثلاثة أيام ! قال : كان معنا خيار وشرار ، فانضم خيارنا إلى خياركم ، وشرارنا إلى شراركم » وحديث : « الأرواح جنود مجنّدة ^(١) » الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه أعدل شاهد لذلك ويتعين على كل مسلم إنكار ما أنكره الشرع من مثل هذا .

قوله يوجب إراقة دمه

وقد اعترف هو أن ما قاله موجب لإراقة الدم ، وأنه قاله في الصحو والإفاقة لا في السكر والجدبة ، فقال :

وَتَمَّ أُمُورٌ تَمَّ لِي كَشْفُ سِتْرِهَا بِصَحْوٍ مُفِيقٍ عَنِ سِوَايَ تَغَطَّتْ
بِهَا لَمْ يَبِيحْ مِنْ لَمْ يَبِيحْ دَمُهُ فِي الْإِ شَارَةَ مَعْنَى مَا الْعِبَارَةُ حَدَّتْ

قالوا في شرحه : « أى انكشفت لى أمور وأسرار بواسطة الصحو الذى حصل لى بعد السكر والإفاقة ، وهى متغطية عن غيرى من المحجوبين ، ولم يظهر تلك الأسرار إلا من أباح دمه للمحجوبين ^(٢) ، فإنهم يقتلون العارفين الذين باحوا بأسرار التوحيد ^(٣) » وصرح بأن ما يقوله حقيقة لا مجاز ، فقال :
عليها تجازى سلامي ، فإنما ^(٤) حقيقته : منى على تحيتى

- (١) نص الحديث : « الأرواح جنود مجنّدة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » ولم يروه الشيخان — كما ذكر — عن أبي هريرة ، وإنما رواه عنه مسلم وأبو داود ، أما البخارى ، فرواه عن عائشة رضى الله عنها
- (٢) يعنى : المعتصمين بكتاب الله ، والمستمسكين بظواهر الشريعة المؤمنين بالله وحده ربا ، وبالخلق عبيدا لله رب العالمين
- (٢) أسرار التوحيد عندهم : اعتقاد أن الله سبحانه عين خلقه ، وعن هذه المرتبة يقول الغزالي : إنها سر ، وإفشاء سر الربوبية كفر !
- (٤) فى الأصل : لإنما ، وهى فى الديوان كما أثبتتها

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO
LIBRARY

قال الشراح : « أى على حضرة المحبوبة سلامى فى قولى : التحيات إلى آخره - مجاز لأنها عينى ، لا غيرى ، فحقيقة السلام منى ، وإلى « وقد مثّلوا كون الشخص مجازياً ، والإطلاق حقيقياً بأن الروح الكلى الذى هو الإله عندهم كالبحر ، والأشخاص الناشئة منه مثل البخار الصاعد من صورته البخارية ثم فى صورة السحابية ، ثم يرجع إلى الماء ، ويختلط بالبحر ، فيصلر إياه ، وهو بخار وسحاب حقيقة ، وتلك الصورة العارضة مجاز^(١) !!
فأين هذا الانهماك فى اللذة قولاً وفعلاً ، والانقياد للهوى عقداً وحلاً ، من رتبة الولاية التى يدعيها المتعصبون له ، التى من شرطها الإعراض عن الانهماك فى اللذات الدنيوية ومن رتبة الولاية التى يدعيها هو ؟!

(١) مراده من هذا : إثبات أن المغايرة بين الحق والخلق مغايرة وهمية ، أو إسمية ، أو صورية ، ويشبهها بالمغايرة بين الماء المطلق ، وبينه فى حال تعيينه بصورة بخارية ، أو سحابية . فالكل حقيقة واحدة ، هى الماء ، ولكنها تعينت مرة فى صورة بخار ، وأخرى فى صورة سحاب ، وكذلك الذات الإلهية عندهم ، فإنها هى وذوات الخلق واحد فى الحقيقة ، كثير بالاعتبار ، فهوية الحق قبل التعين تسمى وجوداً مطلقاً ، أو حقاً ، ثم سميت خلقاً بعد التعين . فهما واحد فى الحقيقة ، غيران بالنسب والإضافات . يقول التلمسانى :

البحر لا شك عندى فى توحده وإن تعدد بالأمواج والزبد
فلا يغرنك ما شاهدت من صور فالواحد الرب سارى العين فى العدد

وأقول : هذا المثل حجة على الصوفية ، فالماء لا يصير بخاراً من نفسه ، بل بتأثير شىء آخر خارج عنه يخالفه فى حقيقته : هو الحرارة ، وكذلك فى صيرورته سحاباً ، فالمؤثر فى هذه الصيرورة شىء غير الماء يخالفه فى الحقيقة ، فالمثل إذاً يثبت وجود غيرين هما غير الماء حقيقة وصورة . والصوفية ينكرون الغيرية والكثرة ، والمثل كما رأيت يثبتهما ، ويثبت أيضاً أن الماء فى صيروراته يخضع لمؤثر خارجى ، وهذا يستلزم كون رب الصوفية يتأثر بغير حقيقى خارجى . فما ذلك المؤثر ، أو من هو ؟

ومن هنا تعلم أنهم^(١) لا أرضوه ، ولا أرضوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحداً من المؤمنين ، فإنه هو لا يرضى إلا أن يكون خليعاً ، وهم يقولون : متقيّد ، وهو يقول : إن ما قاله مبيح للدم ، وهم يقولون : لا يبيحه ، وهو يقول : إنه عاقل صاح ، وهم يقولون : مجنون [٧٦] سكران ، وهو يقول : إن ما قاله : حقيقة ، وهم يقولون : مجازاً^(٢) ، ولا يقدرّون على تخريجه على المجاز وهو لا يرضى إلا أن يكون هو الله ، وينهى عن ذكره بغيره .

لماذا يزجر عن تكنيته بكنية ، أو تلقيبه بلقب

وَأَلْغِ الْكُنْيَةَ عَنِ الْكُنْيَةِ^(٣) بها ، فهي من آثار صيغة صَنَعْتُ^(٤)

وعن لقبى بالعارف ارجع فإن ترى التـ

نَابِذٌ بِالْأَلْفَبَابِ فِي الذِّكْرِ تُمُوتِ

قال شراحها : « أى أسقط الكُنْيَةَ عَنِ ، ولا تستعمل اللغو في إطلاقها على حال كونك عَيْبًا^(٥) عن الكلام في تعريف مقامى ، فإنها من آثار مصنوعاتى ، إذ الإنسان صاغها ، وهو من جملة مصنوعاتى التى أوجدتها ، وارجع عن إطلاقك على اسم العارف ؛ لاتحادى بذات من لا يُطَلَقُ عليه هذا الإسم . »

فلم يدع جهداً فى زجرهم عن تسميته بالعارف ، ولم يدع النبىُّ صلى الله عليه وسلم لبساً فى أمرهم بتكفيره ، وهم^(٦) يعصون كلاً من الأمرين ،

(١) يعنى : شارح التائيه

(٢) الحق أن أكثر الشراح للتائيه يدينون بأن قول ابن الفارض فى الاتحاد والوحدة حقيقى ، لا مجازى . والقائلون بالمجاز قلة من مناقضى الصوفية خشية على السحت الذى يأكلون به مال اليتامى والأيتامى

(٣) يقصد : الإنسان

(٤) لا تلغ : لا تكلم باللغو . والألسن : الثقيل اللسان فى التكلم

(٥) فى الأصل : عيباً

(٦) أى : أتباع ابن الفارض

ولا يرجعون عن شيء من المنهين ، فيا خسارتهم بما ضرُّوا به أنفسهم فيما لا ينفعهم ، كما قال تعالى فيمن يعبد الله على حَرْفٍ : (٢٢ : ١٢ ، ١٣ يدعو من دون الله مالا يضره ، وما لا ينفعه ، ذلك هو الضلال البعيد . يدعو لمن ضرُّه أقرب من نفعه . لبئس المولى ، ولبئس العشير)

زعمه أنه عرج إلى السماء

وادعى العروج إلى الله ، والوصول إلى مقام : أو أدنى^(١) ، فقال :
وَمِنْ أَنَا إِيَّاهَا ، إِلَى حَيْثُ لَا إِلَى عَرَجْتُ ، وَعَطَّرْتُ الْوُجُودَ بِرَجْعَتِي
قالوا في شرحه : « عرجت من مقام : أنا إياها - وهو ابتداء الاتحاد -
ومن قولهم : أنا الحق^(٢) ، ولا إله إلا أنا فاعبدني^(٣) ، إلى أن وصلت إلى مقام
لأنهاية فيه ، وعطر الوجود برجوعه ، لاتصافه بصفات الرحمن^(٤) ، واتحاده .
بذات الملك الديان »

(١) يقرر المؤلف ما زعمه ابن الفارض من العروج إلى السماء ، ووصوله إلى مقام «أو أدنى» المشار إليه بقوله تعالى : «فكان قاب قوسين ، أو أدنى» ويعني به ابن الفارض : الدنو من الله ، لا من جبريل كما هو الحق . والكمشخاني الصوفي يشرح هذا المقام في كتابه : جامع الأصول في الأولياء ، فيقول : « هو مقام القرب الأسمائي باعتبار التقابل بين الأسماء في الأمر الإلهي ، المسمى : بدائرة الوجود ، كالإبداء والإعادة والعروج والفاعلية والقابلية ، وهو الاتحاد بالحق مع بقاء التمييز والإثنية الاعتبارية . هناك الفناء المحض ، والطمس الكلي للرسوم كلها » ومن هنا تدرك لم ادعى ابن الفارض أنه وصل إلى هذا المقام ثم رجع منه ، إذ لم يراض حتى الإثنية الاعتبارية ، أو بقاء التمييز بينه وبين الله سبحانه بوجه ما . وكيف يرتضيه وهو يفترى أنه هو الله ذاتا وصفة وخالقا ؟ !

(٢) كفر الحلاج

(٣) قول طيفور الشهير بالبسطامي عن نفسه

(٤) يزعم أنه عاد من مقام أو أدنى - وقد ذكرت مرادهم منه - رحمانا . =

والبيت الذى بعده أشد كفراً^(١) ، ثم قال :
ولى عن مُفِيضِ الْجَمْعِ عِنْدَ سَلَامِهِ عَلَيَّ : بِأَوْ أَدْنَى إِشَارَةِ نِسْبَةِ
قَالُوا فِي شَرْحِهِ : « إِنَّهُ لَمَّا فَتِيَ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ بَقِيَ بِهِ حِصَّةً
بِمَشَارَكْتِهِ فِي قَبُولِ عَيْنِ السَّلَامِ مِنْ حَيْثُ عَيْنَ ذَلِكَ الْمَقَامِ - وَهُوَ مَقَامُ : أَوْ أَدْنَى -

= وقد اختاروا تسميته بهذا الاسم باللغات ، لأن الرحمن عندهم : « اسم الحق باعتبار
الجمعية الأسمائية التي في الحضرة الإلهية : الفاض منها الوجود وبقية الكمالات على
جميع الممكنات » فهو مرادف للوجود المطلق ، وقد سبق البيت الذي نقله المؤلف
عن ابن عربي من الفصوص ، والذي يقول فيه :

فَكُنْ حَقًّا ، وَكُنْ خَلْقًا تَكُنْ بِاللَّهِ رَحْمَانًا
وهكذا يتغالى الصوفية في الزندقة حتى ليأبى الواحد منهم أن يقال عنه : إنه إله
تعين في صورة خلقية ، ولا يجب إلا أن يقال عنه : إنه هو الوجود المطلق ، أو هوية
الحق قبل أن تتعين في شيء ما ، حتى في الحقيقة المحمدية !

(١) هذا البيت هو

وعن أنا ، إياي لباطن حكمة وظاهر أحكام أقيمت لدعوتي
ويريد الزنديق بهذا : أنه نال كل مراتب التوحيد ، حتى بلغ المرتبة الأخيرة منه
فالأولى : فناء عين التفرقة وبقاء أثرها . وصاحب هذه المرتبة يقول : أنا الحق ،
أو أنا الله . ولكن هذه قضية ذات محمول وموضوع ، والحمل يستلزم الإثنية
نعم هو حمل صوري لأن المحمول عين الموضوع . ولكن اختلاف لفظيهما يوهم
الغيرية . لذا يرفض الزنديق هذه المرتبة . الثانية : فناء التفرقة عينا وأثرا .
وصاحب هذه المرتبة يقول : أنا أنا . ولكن ما زال ثم قضية فيها محمول وموضوع
ولذا يرفض الزنديق هذه المرتبة أيضا . الأخيرة : وهذه لا تسعف فيها العبارة ،
ولا تسمى إليها إشارة ، وغاية ما يستطيع العارف عندهم هو أن يقول عن نفسه :
أنا فحسب ، غير مدرك بإدراك ما ، ولا شاعر بشعور ما : أن هنالك ما يمكن أن
يحمل عليه ، أو يوضع له ، إذ ما ثم غير ولا سوى . هذا هو مراد الزنديق . غير
أنه يزعم أنه رضى وتنزل إلى مرتبة التعين في الخلق ، ليرز مكنون قدرته ،
وإمكانات وجوده المطلق الأول

فإنه جلّ جناب هذا المقام من أن يطّلع عليه إلا واحدٌ بعد واحد ، فالواحد السابق هو صلى الله عليه وسلم ، والواحد اللاّحقُّ به : (١) أنا إن شاء الله تعالى من جهة غرقى في لجّيته « انتهى .

وقال عياض في أواخر الشفاء : وكذلك - أى يكفر - من ادعى مجالسة الله تعالى ، والعروج إليه ، ومكالمته ، أو حلوله في أحد الأشخاص ، كقول بعض المتصوّفة (٢) . «

لا شيء على من يكفر ابن الفارض

وأما من أنكر عليه لأمثال ما رأيت من الألفاظ الصريحة بالنص في الكفر ، فلا شيء عليه بإجماع المسلمين بقاعدة من كفر مسلماً متأولاً ، فلا أضل ممن ترك طريقاً مضمون السلامة ، واتبع طريقاً أخف أحواله أنه مظنون العطب والملازمة [٧٧] . ودرة المفاسد أولى من جلب المصالح ، على تقدير تسليم أن يكون لهم فيما هم فيه مصلحة ، وليس فيه - والله - مصلحة بوجه ، فقد اعترف كل من يحامى له أن ظاهر كلامه منابذٌ للكتاب والسنة ، وإلا لما احتاجوا إلى ادعاء تأويله ، مع أن الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى ما سلك فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجّه (٣) - قد أنكر التأويل لغير كلام المعصوم (٤) ، ومنع منه رضى الله عنه ، وأرضاه ، وأهلك كل

(١) يعنى : ابن الفارض لأنه يتكلم بلسانه

(٢) ص ٢٩٨ ج ٢ الشفاء ط تركيا

(٣) إشارة إلى الحديث المتفق عليه بين البخارى ومسلم ، وفيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر : «إيها يا ابن الخطاب !! والذى نفسى بيده ، ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجاك» والفج: الطريق الواسع ، أو المكان المنخرق بين الجبلين

(٤) بل ما ثبت عن عمر ، ولا عن غيره من الصحابة والتابعين لهم بإحسان =

من خالفه ، وأرداه ، وبسيف الشرع قتله وأخزاه ، فقال فيما رواه عنه البخارى
فى كتاب الشهادات من صحيحه : « إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحى فى عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الوحى قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما
ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر خيرا أمنناه ، وقر بناه ، وليس إلينا من سريرته
شىء ، والله يحاسبه فى سريرته . ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ، ولم نصدقه ،
وإن قال : إن سريرته حسنة . وقد أخذ هذا الأثر الصوفية ، وأصلوا عليه
طريقهم . منهم صاحب العوارف استشهد به فى عوارفه ، وجعله من أعظم
معارفه ، فمن خالف الفاروق رضى الله عنه كان أخف أحواله أن يكون رافضيا
خبثا ، وأثقلها أن يكون كفاراً عنيدا ، وهذا الذى سماه الفاروق رضى الله عنه :
ظاهرا هو الذى يُعرَف فى لسان المتشرعة بالصريح ، وهو ما قابل النص
والكناية والتعريض ، وقد تبع الفاروق رضى الله على ذلك — بعد الصوفية —
سائر العلماء ، لم يخالف منهم أحد كما نقله إمام الحرمين^(١) عن الأصوليين كافة ،
وتبعه الغزالي ، وتبعهما الناس . وقال الحافظ زين الدين العراقى أنه أجمع عليه الأمة
من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل الاجتهاد الصحيح ، وكذا قال الإمام
أبو عمرو ابن عبد البر^(٢) فى التمهيد ، وأصله إمامنا الشافعى رضى الله فى كتاب

== تأويلهم لشيء ما من كلام المعصوم ، وإنما كان الجميع يفهمون ما جاءهم عن الله
ورسوله بمعانيه التى هى له فى لغة العرب ، لا بما اصطلحت عليه الفلسفة أو التصوف
أو الكلام . فما عرف شيء من هذه الضلالات ، ولا فى عهد أصحابه . وقريب من
الذكر تلك الضربات الهادية الشافية التى أنزلها عمر على رأس من جاء يسأله عن
معنى الداريات ، إذ استشعر من وراء السؤال فكرا يهمس فيه الشك

(١) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالى الجوينى من زعماء
الأشاعرة . ولد سنة ٤١٩ هـ ولقب بإمام الحرمين . لأنه جاور بمكة والمدينة أربع
سنين يدرس ويفتى . توفى سنة ٤٧٨ هـ

(٢) هو يوسف بن عبد البر بن محمد حافظ المغرب . قال عنه ابن حزم « لأعلم
فى الكلام على فقه الحديث مثله . ولد سنة ٣٦٨ هـ وتوفى سنة ٤٦٣ هـ

الرسالة لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « إنكم تختصمون إليَّ ، ولعل أحدكم أن يكون ألحن^(١) بحجته ، فأقضى له » الحديث رواه الستة عن أم سلمة رضي الله عنها في أمثال كثيرة ، وقال الأصوليون : « كافة التأويل - إن كان لغير دليل - كان لعبا ، وما يُنسَب إلى بعض المذاهب من تأويل ما هو ظاهر في الكفر ، فكذب ، أو غلط منشؤه سوء الفهم ، كما بينت ذلك بيانا شافيا في غير هذه الرسالة ، وإنما أولنا كلام المعصوم^(٢) ، لأنه لا يجوز عليه الخطأ ، وأما غيره ، فيجوز عليه الخطأ سهوا وعمدا .

المتوقف في تكفير الصوفية

ولا يسمع أحدا أن يقول : أنا واقف ، أو ساكت لا أثبت ، ولا أنفي ؛ لأن ذلك يقتضى الكفر ؛ لأن الكافر من أنكر ما عُلم من الدين بالضرورة . ومن شكَّ في كفرٍ مثل هذا كفر [٧٨] ولهذا قال ابن المقرئ في مختصر الروضة : « من شك في اليهود والنصارى وطائفة [ابن^(٣)] عربي فهو كافر » .

وحكى القاضى عياض فى الباب الثانى من القسم الرابع من الشفاء : « الإجماع على كفر من لم يُكفر أحدا من النصارى واليهود ، وكل من فارق

(١) أى : أفطن لها ، ونص الحديث : « إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إلي ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضى له على نحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه بشئ ، فلا يأخذ منه شيئا ، فإنما أقطع له قطعة من النار » فأين من هذا الهدى والحق ضلال الصوفية وباطلهم . إذ يزعمون أن حقائق الأشياء تنكشف لهم على ما هي عليه ، وأنهم يتصرفون فى البواطن ، وأن شيوخهم يتكلمون عن سرائر دراويشهم وهم ساكتون ؟

(٢) هذا على دين من يأخذون بالتأويل ممن يجعلون العقل حاكما على النقل ،

وقد سبق الرد على هذا

(٣) ليست بالأصل والسياق يوجبها

دين المسلمين ، أو وقف في تكفيرهم ، أو شك . قال القاضي أبو بكر : لأن التوقيف والإجماع [اتفقا^(١)] على كفرهم ، فمن وقف في ذلك ، فقد كذب النص أو^(٢) التوقيف ، أو شك [فيه^(٣)] والتكذيب ، أو الشك فيه لا يقع إلا من كافر^(٤) » انتهى .

وقال الإمام حافظ الدين النسفي في كتابه العمدة في أصول الدين : « التوقف باطل ؛ لاقتضائه الشك ، والشك فيما يفترض اعتقاده كالإنكار » ومن العجب أنهم يعاندوننا ، لأننا لا نؤوّل لمن يجوز عليه الزلل ، وينصرون من يتعصبون له ، وهو^(٥) لا يؤوّل المتشابه من كلام المعصوم ، بل يجريه على ظاهره^(٦) خلافا لإجماع الأمة^(٧) مع تأدية ذلك إلى إبطال الشرع ، ويدعون

(١) ، (٣) ساقطتان من الأصل ، وأثبتهما عن الشفاء

(٢) في الأصل : و . وهى في الشفاء كما أثبتها

(٤) ص ٢٦٧ ج ٢ الشفاء

(٥) يعنى : ابن الفارض

(٦) كان واجبا أن يقول : بل يجريه على ما يشهد الحس له من مظاهر بالنسبة إلى الخلق ، أو على ما يشاء الهوى الصوفى ، فابن الفارض — ككل صوفى — لا يقترف هذا ، فحسب ، بل مجرد اللفظ من دلالاته ومعناه في العربية ، ويفترى له معنى يهدف به إلى مساندة زندقته ، وأحيانا يفصل بعض أجزاء الكلام عن بعض كمن يفصل « لا إله » عن « إلا الله » . وأحيانا يقيس شأن الخلاق الخبير على شأن خلقه ، ويحكم على الرب بما يحكم به على العبد ، ومثاله ما افتراه من أن الله سبحانه يتلبس بصور الخلق قياسا على شأن جبريل حين ظهر بصورة دحية والأعرابي . هذا بعض ما يمسخ به الصوفية وجه الحق !

(٧) قوله هذا يجافى الحق ، ويجانب الصواب ، فالإجماع الذى يعتد به — إن كان لا بد النص مع إجماع — هو إجماع الصحابة والتابعين . وقد أجمع هؤلاء جميعا — ومن بعدهم الأئمة المهتدون — على إجراء ما تلقوه عن الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم على ظاهره ، أى على ماله من دلالة ومعنى في العربية ، إذ لا يراد بالظاهر غير هذا ، أما أن يراد بالظاهر كفياته الحسية ، فهذا ليس من =

الإسلام ، فما أحقهم بقوله تعالى : (٤ : ٨٨ ، ٨٩) فما لكم في المناققين فئتين ،
والله أركسهم بما كسبوا ، أتريدون أن تهتدوا من أضل الله ؟ ومن يُضِلِّ له ،
فلن تجد له سبيلا . ودُّوا لو تكفرون كما كفروا ، فتكونون سواء) إلى هذا
من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكلام حملة ^(١) شريعته من
الصحابة والتابعين لهم بإحسان رضی الله عنهم دَعَوْنَا (٤١ : ٢٢) ومن أَحْسَنُ
قَوْلًا يَمُنُّ دَعَا إِلَى اللَّهِ ، وَعَمِلَ صَالِحًا ، وَقَالَ : إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؟ .

الرأى فى شعر ابن الفارض

وأما الحامون له ، فإنهم داعون إلى شاعر لم يؤثر عنه قط شيء غير ديوان
شعر لم يمدح النبي صلى الله عليه وسلم فيه بقصيدة واحدة ، بل هو كُفْرٌ وضلالة
وخلاعة وبطالة ، وقد علم ذم الله ، وذم رسوله صلى الله عليه وسلم للشعر والشعراء
إذا كان حالهم مثل هذا ، كما قال تعالى : (٢٦ : ٢٢٤ - ٢٢٧) والشعراء
يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون .
إلا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا ، وانتصروا من بعد
ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أى مُنْقَلَبٍ ينقلبون) وقال النبي صلى الله عليه
وسلم - كما رواه الستة عن ابن عمر رضی الله عنهما : « لأن يمتلى جوف أحدكم
قيحا [حتى يَرِيَهُ ^(٢)] خير من أن يمتلى شعرا ^(٣) » وذلك إذا انفرد بالشعر

= دين أهل الحق ، ولا من الحق فى شيء . أقول هذا لأن البقاعى يعنى بالمتشابهة
آيات الصفات وأحاديثها ، وهذا رأى ساقط الاعتبار ، لم يدن به إلا عبيد الفلسفة
ومخانيث الكلام

(١) فى الأصل : جملة ، والسياق يوجب ما أثبتته

(٢) يرى من الورى ، وهو داء يفسد الجوف . وهذه الزيادة لم ترد فى رواية

أبى داود . وهى كذلك ساقطة من الأصل

(٣) لم يروه الستة عن ابن عمر ، وإنما رواه البخارى عنه ، ورواه الشيخان =

كهذا الرجل ، فإنه ليس له شيء ينفع الدين أصلا ، وليس له من الشعر إلا ما عادى به الإسلام ، وأهله ، وأذاهم غاية الأذى ، وأوقع به بينهم^(١) العداوة والبغضاء ؛ لأنه ملأه كفرا وخلاعة ، وصداً عن الدين وشناعة ، فقد حادَّ به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال تعالى : (٥٨ : ٢٢ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حادَّ الله ورسوله [٧٩] ، ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو إخوانهم ، أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ، وأيديهم يرُوح منه) . فنحن في غاية السلامة ، إن شاء الله تعالى ، لما قدمت . وأما من يحامى عنه ، فهو دائر بين اعتقاد ما تضمنه كلامه ، وذلك هو الكفر المُوجبُ للسيف في الدنيا ، والخلود في النار في الآخرة ، وبين الذَّبِّ^(٢) عنه مع الجهل لما قال ، وذلك موجب لموادَّة من حادَّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الموجبة لعداوتها الجارَّة إلى كل شقاء .

== وأبو داود والترمذى وابن ماجه عن أبي هريرة . والمقصود والله أعلم : الشعر الذى يمجذ الرذيلة ، ويفسد الخلق والدين ، وينابذ القيم الروحية ، ويصرف النفس عن الحق من الكتاب والسنة . أما الشعر الذى يستلهم الإيمان والحكمة ، ويصور المثل العليا ، ويمجد قيم الحق والخير والمحبة ، ويستحث النفوس على الجهاد فى سبيل الحق . هذا الشعر من هواتف النفس المؤمنة ، وليس بنى مذمة ولا مبغضة ، ودليلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن من الشعر حكمة » رواه البخارى وأبو داود عن أبي بن كعب ، ورواه الترمذى عن ابن مسعود ، وأيضا ما روته عائشة رضى الله عنها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع لسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما ، ينافح عن رسول الله ، ثم يقول : إن الله يؤيد حسانا بروح القدس مانا فح - أو فاخر - عن رسول الله » أخرجه البخارى - واللفظ له - وأبو داود والترمذى ، كلهم عن عائشة رضى الله عنها

(١) يعنى : بين المسلمين

(٢) فى الأصل : الذنب . والسياق يوجب ما أثبت

تواتر الخبر بتكفير العلماء له

هذا مستندنا ، وهو قطعي^(١) من جميع وجوهه ، تواتر لنا تواتراً معنوياً نسبة العلماء له إلى الكفر ، وتواتراً حقيقياً أن التائبة نظمه ، ونحن على القطع بأنها صريحة في القول بالاتحاد بالذات والصفات ، وما يتبع ذلك من تصويب جميع المِلل والنحل إن لم يكن نصاً فيه ، وعلى القطع بأن ذلك كُفْرٌ ، والقائل به كافر ، وقد انتفعت من التائبة ما يقارب أربع مائة وخمسين بيتاً شهد شراحها البررة والكفرة أن مراده منها صريح الاتحاد ، وما تفرع عليه من تصويب جميع الأباطيل في مجلد سمّيته الفارض^(٢) .

(١) في الأصل : قطعي . وهو خطأ في النحو

(٢) ورد بهامش الأصل ما يأتي : « قال المصنف رحمه الله في كتابه : الفارض في تكفير ابن الفارض : ثم إنه لا ينبغي الاعتراض بما قاله ابن بنته في ديباجة الديوان فإنه رجل مجبول لا تقبل روايته ، ولا سيما وهو يشهد بحده ، ولا سيما إذا كانت شهادته مخالفة بشهادة الأئمة بكفره ، وعلى تقدير صحة ذلك لا يدل على صلاح إلا إن كان الجارى ذلك على يده متابعاً للكتاب والسنة ، فإن الخوارق ربما كانت لكفره امتحاناً من الله لعباده ، وينبغي لكل مسلم أن يجعل قصة الدجال نصب عينيه ، فإنه يظهر على يديه من الخوارق شيء كثير مع علمنا بأنه أ كفر الكفرة ، فأى لبس بعد هذا ؟ مع أنه قد كثر ضلال الضلالة بمن ظهر على يديه شبه خارقة ، وقد علم أن ذلك قد يكون من الشياطين ، وقد ضبط العلماء - والله الحمد - أمر الخوارق وبينوا حقه من باطله ، فمن ظهر على يده شيء من الخوارق . وكان عارفاً بالله وصفاته مواظباً [على] الطاعات . محتنباً للمعاصي . معرضاً عن الانهماك في [الملاذات] والشهوات . فذلك ولي . والخارق كرامة . وما كان على يد مخالف للشرع فهو إهانة له بالاستدراج له ، و [لا] يعتر به . هذا الدجال نشهد أنه أ كفر الكفرة مع أنه تظـ [هر على] يده الخوارق العظيمة . منها مسير جبال الثريد معه و . . الأرض كذلك . ومنها تمثل الشياطين بصور أقارب من أرا [د الله] فنتته يدعونهم إلى متابعتهم . ومنها . أنه يقول للشمس : قفي [فتقف] . ويقول لها : سيرى =

١٧ - مصرع التصوف

لا عبرة بقول حفيد ابن الفارض

ولا مستند لمن ينازنا إلا ما أثبتته ابن بنته في ديباجة الديوان من الزور والبهتان ، وهو نكرة لا يعرف ، ولو أنه شهد على أحدهم بدينار لم تُقبل شهادته حتى يُعدَّله العدولُ الموثوق بهم ، ولا مُعدَّلَ له ، ولا لجدّه ، ممن هو خير بحالهما أصلاً ، فصار المحامون له لا مُستندَ لهم إلا سند قريش في مناقبة النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد حين قالوا : (٤٥ : ٣٢) إن نظن إلا ظناً ، وما نحن بمستيقنين) ، (٣٨ : ٧) ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ، إن هذا إلا اختلاق) ، (٤٣ : ٢٢) إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مهتدون) ، (٥ : ١٠٤) وإذا قيل لهم : تعالوا إلى ما أنزل الله ، وإلى الرسول ، قالوا : حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوْ لَوْ كَانَ آبَاءُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا ، وَلَا يَهْتَدُونَ ؟) ، (٧ : ٣٠) إناهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مهتدون) .
وكل من هكذا يوشك أن يقول عند سؤال الملّكين في قبره ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافق ، أو المرتاب : « هاه [هاه] ^(١) . لا أدري . سمعت

فتسير . ويقول للسماء : أمطري . فتمطر . وللأرض : أنبتى : فتنبت . إلى غير ذلك ممن يضل الله به من [يشاء من] عباده ، وأعظمه إحياء ميت « انتهى من هامش الأصل : وما بين هذين [] ساقط من الأصل ، ورأيت السياق يوجبه فأثبتته . وأقول : حديثه عن الخوارق تظهر على يد الأولياء حديث القرون التي كانت تعيش تحت سطوة التهاويل . إنما الكرامة هي أن يكون الله مع عبده المؤمن نصراً وتأييداً وحفظاً .

(١) وردت مرة واحدة في الأصل ، بيد أنها ذكرت مرتين في الحديث الذي رواه أبو داود عن البراء بن عازب « وهاه هاه » كلة تقال في الضحك وفي الإبعاد ، وللتوجع . وهو أليق بمعنى الحديث كما قال المنذرى ، وحديث السؤال في القبر أخرجه — غير أبي داود — الشيخان وأحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان وأبو حاتم

الناس يقولون شيئاً ، فقلته « على أنه لو ثبت ما في ديباجة الديوان لم يُفدَ ولاية ، فإن العلماء قسموا الخوارج إلى معجزة وكرامة ، ومعونة وإهانة . وأشار إلى ذلك الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه في الفقه الأكبر ، انظر إلى ماورد للدجال من الخوارج^(١) ، وهو كفر الكفرة .

بم يكون الإنسان ولياً ؟

إنما يفيد الولاية بذلُ المجهود في متابعة النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن بذل جهده في [٨٠] اتباع السنة ، قلنا : إنه ولي ، فإن خيل بعض المحولين منهم أحداً ممن ظهر له الحق بقوله : التسليم أسلم !! فليقل له : هذا خلاف ما أمر به صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم في الكتاب والسنة : من جهاد أعداء الله ، والبغض في الله ، من ذلك حديث سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه المتفق عليه في تسليته عن التخلف عن أصحابه بمكة : « ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ، ويُضَرَّ بك آخرون » على أن التسليم لأهل الشريعة وأهل الطريقة^(٢) المجمع عليهم الذين رموا هذا الرجل بالكفر ، ورأسهم الفاروق رضى الله عنه بمنعه من التأويل أجدراً بإيجاب السلامة . وقد قال الإمامان أبو حنيفة والشافعي رضى الله عنهما :

(١) ما سيظهر على يد الدجال أخبرنا به المعصوم ، وإنه لفتنة سيتلى بها الله عباده ويميز بها بين المؤمن والكافر ، أما ما يزعمه هؤلاء ، فلم يروه إلا كذاب ، أو منافق ، أو صوفي ، وإنها لشعبذة يقترفها أولئك ابتغاء سلب مال أيم ، أو أرملة ، أو يتيم ! ولا ينخدع بها إلا النوكى مخابيل الأحلام

(٢) لا . بل الواجب هو الاعتصام بالكتاب والسنة ، والتسليم لهما ، وتأيد كل من يزود عنهما ، ثم من أهل الطريقة ؟ ! أليسوا هم أولئك الأدعياء الكذبة الذين ابتدعوا هذه البدع الصوفية كلها ، تأييدا للمتأمرين على الإسلام من مجوس ويهود ونصارى ؟ !

« إن لم تكن الفقهاء أولياء الله ، فليس لله ولي ^(١) » نقله عنهما النووي في تبيانه
عن الخطيب البغدادي ، ودليله : (٣٥ : ٢٨ إنما يخشى الله من عباده العلماء)
(١٠ : ٦٢ ، ٦٣ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون . الذين
آمَنوا ، وكانوا يَتَّقون) . فقد أرشد الله تعالى إلى أن الولي هو العالم ، وأن العالم
هو العامل بعلمه .

دفاع وادعاء

وإن قالوا : أنت تبغض الصوفية ، فقل : هذه مباحة . إنما أبغض من
كفره من أجمعنا على أنهم صوفية ، مثل الجنيد ، وسري ^(٢) ، وأبي يزيد ^(٣) ،

(١) ما من شك في أن الإمامين الجليلين يقصدان بالفقيه : ذلك المؤمن العالم
الذي يستمد فقهه من الكتاب والسنة ، ويبدل الجهد في سبيل دعوة المسلمين إلى
اتباع الكتاب والسنة ، لا ذلك الذي تدفعه عصبية حمقاء إلى عبادة مذهب خاص ،
ودعوة الناس إلى الاقتداء بغير رسول الله ، والتدين بكتاب غير كتاب الله سبحانه
مثل هذا هو من يسميه الناس اليوم وقبل اليوم بالفقيه ، وإنه لفقيه ضلالة ، وداعية
إلى اتخاذ عبيد الله أربابا من دون الله

(٢) هو سري بن المغلس السقطي ، خال الجنيد . ومن قوله : « كل ما أنا فيه فمن
بركات معروف الكرخي » توفي سنة ٢٥٧ ، فهل قائل هذه الكلمة يعتبر مسلما ؟

(٣) هو طيفور بن عيسى البسطامي المتوفى سنة ٢٦١ ومن قوله : « سبحاني
ما أعظم شاني ، تالله ، إن لوأى أعظم من لواء محمد ، ولأن تراني مرة خير لك من
أن ترى ربك ألف مرة » انظر ترجمة المناوي لأبي يزيد ولطائف المتن والأخلاق
ج ١ ص ١٢٥ ، ١٢٦ وعجيب من المؤلف أن يستشهد بمثل هذا الزنديق على
تكفير صوفي ، وهو زعيمهم الذي ألهمهم جرأة وقحة على جلال الربوبية وكبرياء
الإلهية ، وهو القائل أيضا : « رفعتني الله مرة بين يديه وقال : إن خلقي يحبون أن
يروك ، فقلت : زيني بوحدانيتك ، وألبني أناانيتك ، وارفعتني إلى أحديتك حتى إذا
رآني خلقتك قالوا : رأيناك ، فنكون أنت ذلك ، ولا أكون أنا هناك » اللمع

وأبي سعيد الخراز، والأستاذ أبي القاسم القشيري، والشيخ عبد القادر الكيلاني والشيخ شهاب الدين عمر السهروردي صاحب العوارف، فإن بعضهم قال: طريقنا مشبك بالسكتاب والسنة، فمن خالفهما، فليس منا، وبعضهم جعل أثر عمر رضي الله عنه أصلاً، وبني عليه طريقهم، وبعضهم قال: من قال: إن الشريعة خلاف الحقيقة فهو زنديق، ومن قال: إن المراد بمحبة الله تعالى، ووصوله إليه غير كمال المتابعة للسكتاب والسنة، أو بمحبة الله غير إكرامه بحسن الثواب - فهو زنديق^(١)، إلى غير ذلك مما حدوه، فتعداه من عاديتهمونا بسببهم

(١) الخبير بحال الصوفية - سلفهم وخلفهم - والمتأمل في كتبهم يوقن أن الصوفية منذ نشأت، وهي حرب دنيئة - خفية أو مستعنة - على الإسلام. هذا القشيري الصوفي القديم « ولد سنة ٣٧٦ هـ وتوفي سنة ٤٦٥ هـ » هذا هو يقول في رسالته عنهم « ارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة. وركنوا إلى اتباع الشهوات. وادعوا أنهم تحرروا عن ريق الأغلال، وتحققوا بحقائق الوصال، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية، واختطفوا عنهم بالسكية، وزالت عنهم أحكام البشرية، وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدانية » ص ٣، ٣ الرسالة للقشيري. هذه شهادة عليهم في القرن الرابع الهجري من رجل يعدونه المثل الأعلى للصوفية العملية المعتدلة، وإنها لتدل على أن الصوفية من قديم توأصوا بالكيد للإسلام، وإنا لا نتخذعنا هذه الشفوف من النفاق الصوفي، إذ هم السم الناقع يترأى شهيداً مذاباً. فالقائلون بما هلك له البقاء هم عين القائلين بما يخنقك منه يحموم الزندقة، فالقشيري نفسه يقول في مقدمة رسالته عن أهل الطريقة: « جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبياؤه » يفضل الصوفية على السابقين من المهاجرين والأنصار، ثم يقول: « وجعل قلوبهم معادن أسرارهم، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنوارهم، فهم الغياث للخلق » وماذا بقي لله إذا كان هؤلاء غياثاً للخلق؟! وماذا للصحابة من طوالع الأنوار ومعادن الأسرار إذا كان هؤلاء وحدهم كذلك؟ ثم يقول: « ورقاهم إلى محال المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحدية =

بل أنتم بعد بغضكم للصوفية نابذتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بموالاةكم من نابذ شريعته ، ونحن نذب عنها وأنتم تناضلون عن يهدمها من غير فائدة في ذلك ، وتقولون : إنهم أرادوا بكلامهم الذي ظاهره قبيح غير ظاهره ، ولو قال أحد من الناس لأحد منكم كلمة توهم نقصا « كالعلق » الذي قال أهل اللغة أن معناه : الشيء النفيس^(١) - عاده ، وإن حلف له أنه ما قصد ذمًا ، وإن كرر ذلك كانت القاصمة ، فتحذر بذلك أن نابذتم أهل الدين من الفقهاء والصوفية^(٢) المجمع

= وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية « إذا فهم عند القشيري أعظم مقاما من خليل الله إبراهيم ، ومن محمد عليه الصلاة والسلام !؟ فتأمل في الأستاذ القشيري ، وفي قوله ، وفيما خلفه في رسالته ، ثم اسمع إليه ينقل في رسالته : « لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر : يا أنا ، المحبة سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه » انظر مقدمة الرسالة و ص ١٤٦ منها . وهذه زمزمة قديمة بزندقة الاتحاد ووحدة الشهود .

(١) في القاموس : « العلق : بالكسر » النفيس من الشيء

(٢) وضع الصوفية بجانب الفقهاء من المؤلف يوحى بأن هناك طريقان : طريق الفقهاء ، وطريق الصوفية ، ويوحى بأن الدين قفه وتصوف ، وأن الطريقين مختلفان ، وأن الفقه والتصوف متغايران . فما طريق الفقهاء ، وما طريق الصوفية ؟! وما الفقه ، وما التصوف ؟! إن كان أحدهما عين الآخر بطلت التسمية ، وإن كان غيره ، استلزم النقص في أحدهما ، أعني استلزم أن يكون أحدهما لا يمثل الشريعة الإسلامية في كل أصولها وفروعها . والصوفية يزعمون أنهم يمثلون الجانب الروحي والحقائق الباطنة في الإسلام ، ويدمغون الفقهاء بأنهم علماء الرسوم . في حين يقول الفقهاء عن الصوفية : إنهم يتحللون من تكاليف الشريعة بهذه الدعوى !! فأى الفريقين على بينة من قوله ؟ لا بد من العودة إلى الكتاب والسنة لنحكم على قيم الأشياء بما حدد القرآن من مفاهيم لهذه القيم ، وثمت نجد أمين الله جبريل يسأل الرسول : ما الإسلام ؟ ثم : ما الإيمان ؟ ثم : ما الإحسان ؟ ونجد الرسول صلى الله عليه وسلم يجيب إجابة واضحة صريحة لا لبس فيها ولا غموض ، محمدا هذه الحقائق العليا تحديدا جليا مشرقا ، فلنجعل قلوبنا ونياتنا وأعمالنا مظهرًا لها =

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO
KAYE

عليهم بالتأويل في جانب الله تعالى ، ومنعتم مثله في حقكم ، فأفٍ لهذا عقلاً ، فكيف بالنظر إلى [٨١] الدين ؟

وجوب الكشف عن زندقة الصوفية وبيانها

وإن قالوا : لا تجرب بالإنكار عليه في نفسك ، فليقل : وإن تركت الإنكار عليه ، كنت أيضاً مجرباً في نفسي بمنايذة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه مسلم عنه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه « من رأى منكم منكراً ، فليغيره بيده ، فإن لم يستطع ، فبلسانه ، فإن لم يستطع ، فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » وفي حديث آخر لمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه « وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ^(١) » وقد صرح العلماء بأن من خاف

== في صدق وإخلاص ، ولندع تلك التفريعات ، والتقسيمات ، والتسميات ، لنستمد معارفنا عن الدين من الكتاب والسنة ، فلا تستبد بنا حيرة ، ولا يعصف بنا شك ولا يستعبدنا بعض خلق الله

(١) بات المنكر عند بعض الناس هو النهي عن المنكر ، ولبعدهم عن الكتاب والسنة حالت في أذهانهم قيم الأشياء ، فالدعوة إلى الحق عندهم رغاء بالباطل ، والاعتصام بالكتاب والسنة جمود ينافي قانون التطور ، والمحافظة على تراث الإسلام الروحي مادية صماء ، والحكم بما أنزل الله رجوع إلى وحشية القرون الوسطى ، وانتباز لسماحة القانون الإنساني . هذا في ناحية قيم الخير ، أما في ناحية الشر ، فالإلحاد حرية فكرية ، والعصية المذهبية تقديس للأئمة ، وعبادة القبور والجيف حجة لأولياء الله ، والمجوسية قداسة روحانية ، ومعارض ربانية ، وهي الصوفية ، والتبرج المتلطف بدماء الأعراض مدنية حديثة ، وأمس قبل ثورة الجيش على الطغيان كانت مساندة الطاغوت والسجود له ولاء واجب مقدس ! ! هذا فهم المسلمين لقيم الأشياء ، يؤازرهم في هذا — ويا أسفاه — بعض العلماء ، أو من يسميهم الناس بهذا . ثم تعال ، وانظر إلى ما كان يحدث من قبل . حاولت بعض الحكومات في عهد الطاغية تعديل قانون الانتخاب ! ! فماذا حدث ؟ قامت قيامة من يسمون أنفسهم بفقهاء القانون ، وتنادوا بالويل والثبور ! ! في حين كان كل رئيس حكومة ==

على أحد أنه يقع في هلكة يجب عليه إنذاره ، ولو كان في الصلاة : (٢٩ : ٤١)
مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن
أوهن البيوت ، لبئت العنكبوت ، لو كانوا يمامون .

الجاهلية في الصوفية

على أنهم تابعون في هذا التحريف سنة الجاهلية في قولهم لنوح عليه السلام
ما أجابهم عنه بما حكاه تعالى عنه في قوله : (١٠ : ٧١) فأجمعوا أمركم وشركائكم ،
ثم لا يكتن أمركم عليكم غمة ، ثم اقضوا إلى ولا تنظرون) ثم قولهم لهود عليه
السلام ، وقوله لهم ما حكاه تعالى بقوله : (١١ : ٥٤ - ٥٦) إن نقول إلا اعتراك
بعض آلمتنا بسوء ، قال : إني أشهد الله ، واشهدوا أني برىء مما تشركون من
دونه ، فكيدوني جميعاً ، ثم لا تنظرون . إني توكلت على الله ربي وربكم ، مامن
دابة إلا هو آخذ بناصيتها . إن ربي على صراط مستقيم) ثم قولهم لإبراهيم
عليه السلام كذلك : (٦ : ٨٠ - ٨٣) وحاجه قوميه . قال ^(١) : أحاجوني في الله ،

= يعتدى في كل لحظة على كتاب الله ، وينتهك الحرمات في جرأة مستعلنة وقحة ،
ويستعبد عباد الله للطاغية الظالم العشوم ، ويقدم للطاغوت قراينه : فضيلة
مذبوحة ، أو رذيلة تغرى بأثمها ، أو عرضاً كان يرف حياء ، ويتألق قدسية . كان
كل هذا يحدث وغيره . فما كنت ترى من الشيوخ والصوفية إلا ابتهاجاً إلى الله أن
ينصر الطاغية ، كانوا كلما استنجد بهم الطاغوت لمساندته هبوا سراعا هبوب الوثنية
إلى هبل ، يخلون له ما حرم الله ، ويرتلون بين يديه طقوس العبادة ، وعلى فمه
تتلظ الفواحش ، وعلى أنيابه مزق من الأعراض . ويقولون له : حفظك الله ذخرا
يا أمير المؤمنين ! ! فيا أبطال الثورة على الطاغوت : إن أسمى ما تحققون من خير
هو الجهاد في سبيل أن يفهم الناس قيم الأشياء على حقيقتها ، فيؤمنوا بالخير خيراً ،
وبالشر شراً . وثمت تجدون محكومين يتجاوزون مع الحاكمين في صدق وعجبة ،
وفي الكتاب والسنة الحق ، وهدى الدين والدنيا

(١) ساقط من الأصل

وقد هذان ، ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً ، وسع ربي كل شيء علماً ، أفلا تتذكرون ، وكيف أخاف ما أشركتم ، ولا تخافون أنكم أشركتم^(١) بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً ، فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ؟ الذين آمنوا ، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن ، وهم مهتدون ، وتلك حجبتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم »

وقال كفار قريش لزينة الرومية رضی الله عنها لما أسلمت^(٢) ، فعميت : « ما أعماها إلا اللات والعزى فرد الله عليها بصرها ، وقالت ثقيف : « والله لا يستطيع أحد أن يخرب اللات ، فلما أخرج بوها ، قالوا : والله ليفضبن الأساس » وقال اليهود لمسامات أبو أمامة أسعد بن زرارة رضی الله عنه : « لو كان نبياً مامات صاحبه » إلى أمثال هذه الترهات .

دفع اعتراض

وإن قالوا ، استخفافاً لضعفاء العقول : إن هذا الرجل^(٣) له ما يزيد على مائتي سنة ميتاً ، فما للناس يثقون به في قبره ؟ تلك أمة قد خلت . فقل - بعد التأسي بفعل الله بفرعون وأضرابه^(٤) : هذا الكلام [٨٢] لنا عليكم ، فإنه

(١) ساقط من الأصل

(٢) أسلمت في أول الإسلام ، وعذبها المشركون عذاباً شديداً ، فاشتراها الصديق ثم أعتقها وقد عميت ، فقال المشركون : أعمتها اللات والعزى لكفرها بهما فقالت : وما يدري اللات والعزى من يعبدها ، إنما هذا من السماء ، وربى قادر على رد بصري ، فأصبحت من الغد ، وقد رد الله بصرها ، فقالت قريش : هذا من سحر محمد . « عن الإصابة لابن حجر ، وأسد الغابة لابن الأثير »

(٣) يعنى : ابن الفارض

(٤) يريد : أنه لو كان ذم الموتى مذموماً مطلقاً ما ذم الله في القرآن آزر أباً إبراهيم ، وابن نوح ، وامرأته ، وامرأة لوط ، وفرعون ، وهامان ، وقارون ، =

لو كان حياً لظن أن الكلام فيه لعداوة ، أو حظ من الحظوظ الدنيوية ، وحيث انتفت التهم كلها ، كان الكلام بسبب ما خلفه من كلامه الذي أقر الذابون عنه أن ظاهره خبيث حتى احتاجوا إلى تأويله ، فلو تركوا كلامه ، تركنا الكلام فيه ، فمن غض منه ، علمنا أنه ماغض - مع معاداة أكثر الناس - إلا ذباً عن حمى الشريعة خوفاً على الضعفاء من الاعتزاز بهذه الظواهر ، ومن حامى عنه ، كان ذلك قرينة دالة على أنه يعتقد ما ظهر من كلامه ، وإن قالوا : « لاتذكروا موتاكم إلا بخير » رواه النسائي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً . قيل : حتى يكون من موتانا ^(١) ، وإن قالوا « لاتسبوا الأموات فإنهم أفضلوا إلى ما قدموا » رواه البخاري عنها أيضاً مرفوعاً . قيل : هذا إذا كان في أمرهم شك ؛ بدليل (تبت يدا أبي لهب ^(٢)) ، ونحن لم نسبه ، بل أخبرنا بما وصفه به العلماء الذين ثبتت ولايتهم تحذيراً من كلامه ^(٣) ، واتباعاً لحديث البخاري عن أنس

= بمن حادوا الله ورسوله . أما وقد جاء في القرآن ذلك ، فنعلم قطعاً أنه يجب ذم الشرك ، وكل مشرك . وبيان حاله حتى نأمن من الفتنة به على غير الخير بحاله . وما مثل كفر ابن الفارض وابن عربي وأمثالهما من الصوفية كفر . وما مثل خطرهما على المسلمين خطر . فلا يمنع هلاكهما من بيان حالهما ، وذم معتقدهما ، والتحذير منهما ، ومن أمثالهما . وإن كانوا في توايت من فضاة ، وتحت قباب من ذهب ، وكان لهم ملايين الدراويش !!

(١) أي: من المسلمين الذين لم نسمع منهم في صراحة قول الكفر . ولم نر منهم في جلاء فعل الكفر . ولم يخلفوا وراءهم كتباً تطفح بالوثنية والزندقة . كأمثال طواغيت الصوفية . فإن كان من هؤلاء وجب على كل مسلم بيان معتقده ، وتحذير المساهين منهم ، ودمغهم بما دمغ الله به كل فاجر كفار

(٢) يعني: لو كان ذم الموتى مطلقاً غير جائز ما ذم الله في كتابه الحكيم أبا لهب ونحن اليوم - وقد تقضت قرون كثيرة على هلاك أبي لهب - ما زلنا ، وسنظل حتى قيام الساعة نقرأ قول الله « تبت يدا أبي لهب »

(٣) أي: من كلام ابن الفارض ، والمؤمن الحق ليس في حاجة إلى شهادة عالم =

رضى الله عنه - رَفَعَهُ - « مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَتَنُوا عَلَيْهَا شَرًّا ، فَقَالَ : وَجِبَتْ »
واتباعاً لإجماع الأمة في جرح من يستحق الجرح . هذا من فوائد قولنا ، فليذكر
الخصم للدفع عنه فائدة واحدة لنفعه ، أو لنفع الدين ، أو أحد من المسلمين !!
وإن قالوا : ما لأهل زمانه ما أنسكروا عليه ؟ قيل : قد أنسكروا عليه ، كما مضى
بيانه ، وإن قالوا : ما لهم ما قتلوه ؟ قيل : منعهم اختلاف الأغراض ، كما منع
ذلك في الباجريقي ، وكما ترى الآن من هذا التجاذب ، على أن القتل أيضاً لا يفيد
قطع التَّعَنُّتِ من المتهنئين ، فقد أجمع أهل زمان الحلاج الذي هو رأس هذه
الطائفة الاتحادية^(١) بعد فرعون ، وهم أتباع طريقتة على قتله على الزندقة ، كما
نقله القاضي عياض في آخر كتابه الشفاء الذي هو من أشهر الكتب وأعظمها ،
ونقل الأستاذ أبو القاسم القشيري رأس الصوفية في زمانه في الرسالة عن أحد
مشايخنا عمرو^(٢) بن عثمان المسكي تكفيره للحلاج وذلك في باب « حفظ قلوب
المشايخ^(٣) » وقُتِلَ بسيف الشرع ، وأنت تجد الآن هذه الطائفة ، وأتباعهم من

= يشهد على مثل ابن الفارض بالكفر ، فشر الصوفية وكتبهم تنزوا ببيع الوثنية
المجرمة ، وتشهد عليهم أنهم فئة يبغضون الله ورسوله ويحبون القبور ، ورسم
القبور !! وبهذه الشهادة التي لا يمكن الطعن فيها ، نحكم عليهم بما حكم الله به
على إبليس وفرعون ، وعباد العجل والأوثان ، والمجرمين من قوم لوط

(١) هو حلولى وليس اتحاديا

(٢) توفي سنة ٢٩١ هـ

(٣) نص ما ذكره القشيري « ومن المشهور أن عمرو بن عثمان المسكي رأى
الحسين بن منصور الحلاج يكتب شيئا ، فقال : ما هذا ؟ فقال : هو ذا أعارض
القرآن ، فدعا عليه ، وهجره . قال الشيوخ : إن ما حل به بعد طول المدة كان
لدعاء ذلك الشيخ عليه » والقشيري لم يذكر هذا انتقاصا من مقام الحلاج ، وإنما
ذكره تأييدا لما يهدف إليه الصوفية ، وهو استعباد قلوب أتباعهم لأهوائهم ، ألا
تراه يقرر أن الحلاج لم يحل به القتل إلا من دعاء شيخه عليه ، لا لأنه كان يعارض
القرآن ، فغضب الله عليه !! وألا تراه يرويه في باب « حفظ قلوب المشايخ » ؟ ! =

العامة ، يعتقدون فيه اعتقاداً عظيماً ، وينابذون أهل الشريعة ، وذلك يدل على أنهم إنما يقولون : نُؤَوِّلُ تَقِيَّةً ، وخوفاً من السيوف المحمدية ، وأنهم يعتقدون الكلام على ظاهره ، فاستوى حينئذ القتل على الزنقة وعدمه (٤٠ : ٣٣ ومن يُضِلُّ الله ، فما له من هاد) .

نصيحة

ولا تهتموا أيها الإخوان بكثرة كلام أتباع الشيطان ، وهجائهم لنا بالإثم والعدوان ، فهم : إنما يقولون ذلك في الغيبة ، ولهم عليه الإثم والخيبة ، فإن الله تعالى قد ضمن النصره ، وإن كان مع المُبْطِلِ السَّكْرَةِ . روى [٨٣] الشيخان عن معاوية رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله ، وهم ظاهرون ، وحتى يقاتل بقيتهم الدجال » وفي رواية : « وهم بالشام » ، وقال [تعالى] : (٦ : ٨٢ الذين آمنوا ، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن ، وهم مهتدون)
= ولنا يقول في رسالته : « من رضى عنه شيخه لا يكافأ في حال حياته ، لكلا يزول عن قلبه تعظيم ذلك الشيخ ، فإذا مات الشيخ أظهر الله عز وجل عليه ما هو جزاء رضاه ومن تغير عليه قلب شيخه لا يكافأ في حال حياة ذلك الشيخ ، لكلا يرق له ، فإنهم محبوبون على الكرم ، فإذا مات ذلك الشيخ ، فحينئذ يجد المكافأة بعده » ويقول « من خالف شيخه لم يبق على طريقته ، ومن صحب شيخاً من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه ، فقد نقض عهد الصحبة ، ووجبت عليه التوبة !! على أن الشيوخ قالوا : حقوق الأستاذين لا توبة عنها !! » انظر ص ١٥٠ ، ١٥١ من الرسالة للقشيري في باب حفظ قلوب المشايخ . ولكن أرأيت إلى الأستاذ القشيري كيف يقرر وجوب التوبة حتى على من همس في قلبه اعتراض على شيخه ، بل يقرر أن التوبة من هذا لا تقبل !! ولنا يقول الشعراني « من أشرك بشيخه شيخاً آخر فكأنما أشرك بالله » يريد الصوفية سلفاً وخلفاً أن يكون الناس عبيد أهوائهم ونزواتهم ، ويخوفونهم بغضب العبيد ، لا غضب رب العالمين ، ويشرعون لهم ، أن الغاية من الإيمان إرضاء هوى الشيوخ ، لا إرضاء مالك الملك سبحانه !!

وقال تعالى : (٦١ : ١٠ ، ١١ يا أيها الذين آمنوا ، هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ؟ تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) إلى أن قال : (٦١ : ١٢ - ١٤ وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين ، يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين : من أنصاري إلى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله ، فأمنت طائفة من بني إسرائيل ، وكفرت طائفة ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) .

وقد قلت في حالنا وحالم .
نصرنا سنة المختار حقا فهاجينا لذاك^(١) الأكاfer
وراموا نصر شاعرهم ، فخابوا وضلل سعيهم في نصر شاعر
(٣٨ : ٨٨ ولتعلمن نبأه بعد حين) ، (٨ : ٢٩ إن تتقوا الله يجعل لکم فرقانا) ، (٢٢ : ٤٠ ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز) ،
(٤٠ : ٥١ ، ٥٢ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولهم اللعنة ، ولهم سوء الدار) ،
(٣٧ : ١٧١ - ١٨٢ واقدم سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين ، وأبصرهم ، فسوف يبصرون . أبعذابنا يستعجلون ، فإذا نزل بساحتهم ، فساء صباح المنذرين ، وتول عنهم حتى حين ، وأبصرهم ، فسوف يبصرون . سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين) .

* * *

قال منشؤها سيدنا الشيخ الإمام العالم العامل العلامة أبو الحسن برهان الدين إبراهيم البقاعي الشافعي نفع الله المسلمين بعلمه : إني فرغت [من] هذه الرسالة

(١) لعلها : ذياك ، أو لذككم . فهذا يستقيم وزن البيت (٧)

في مقدار يوم ، وكان فراغى منها ليلة الأحد ثامن عشر من شهر رجب الفرد
الحرام سنة ثمان وسبعين وثمانمائة في مسجد « درر جمة العبد ^(١) » بالقاهرة
والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد ، وآله وصحبه أجمعين .
وفرغ من كتابتها الفقير إلى رحمة ربه ، سليمان بن عبد الرحيم في شهر
ربيع الآخر من شهور سنة سبع وأربعين وتسعمائة الهجرة النبوية .

* * *

[زاد الناسخ ، أو غيره بعد هذا]

ومن يقول بكفر ابن عربي غير مصنف هذه الرسالة أيضاً من العلماء الشيخ
إبراهيم بن داود الأمدى ^(٢) والشيخ أبو بكر بن قاسم السكناني ^(٣) والشيخ الفاضل
سليمان بن يوسف الياسوفى ^(٤) الدمشقى ، والإمام الجليل على بن عبد الله
الأردبيلي ^(٥) ، والعلامة محمد بن خليل عز الدين الحاضرى الحلبي الحنفى الفاضل
محمد بن على الدكالى ^(٦) ثم المصرى ، والشيخ الصالح موسى بن محمد الأنصارى ^(٧)
الشافعى قاضى حلب ، وكلهم ذكر الشيخ برهان الدين إبراهيم البقاعى عن شيخه
شهاب الدين أحمد بن حجر فى تراجمهم ما فيه الكفاية من فضلهم وحذقهم ،
وعلمهم ، وزهدهم وورعهم ، وإنما أردت ذكر أسمائهم ، ليعلم أن من قال بكفر

(١) كذا بالأصل

- (٢) أسلم على يد ابن تيمية ، وكان ديناً خيراً فاضلاً . توفى سنة ٧٩٧ هـ
(٣) ولد سنة ٦٦٦ هـ قال عنه الذهبى : دين حسن المحاضرة
(٤) ولد سنة ٧٣٩ تقريباً ، كان شافعيًا ، ثم حنبليًا الحديث ، فأقبل عليه
بكلية ، وسلك طريق الاجتهاد . توفى سنة ٧٨٩ هـ معتقلاً بقلعة دمشق
(٥) ولد سنة ٦٦٧ قال عنه الذهبى : حصل جملة من كتب الحديث ، وشغل فى
فنون وهو عالم كبير حسن الصيانة . مات بالقاهرة سنة ٧٤٦ هـ
(٦) هو أبو أمامة ابن النقاش . وقد سبقت ترجمته
(٧) ولد سنة ٧٤٨ ، ولى قضاء حلب عن الظاهر برقوق . وتوفى سنة ٨٠٣ هـ

هذا الضال جماعة من العلماء غير واحد ، ليحذر من مذهبه من لا يعرفه تحقيقاً ،
ويعلم أن جماعة من العلماء لا يتفقون على ضلالة ، وهؤلاء من المتأخرين دون من
لم يذكروهم من المتقدمين ، كالشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وصاحب المواقف
وغيرها ، وكذلك الشيخ الجليل أفضل المتأخرين علامة زمانه الشيخ علاء الدين
البخاري ، وقد عمل في الرد على ابن عربي غبي وبيان كفره رسالة شافعية مُسمّاة :
« بفاضة الملحدّين ، وناصحة الموحدين » . ومن أراد البحث والرد على هذه
الطائفة ، فليطالعها . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

* * *

فرغت من نسخها وتحقيقها والتعليق عليها يوم الخميس ٤ من صفر سنة ١٣٧٢ هـ
الموافق ٢٣ من أكتوبر سنة ١٩٥٢ م بمدينة القاهرة والحمد لله أولاً وآخراً .
وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله محمد خاتم النبيين ، وسيد ولد
آدم أجمعين .

عبد الرحمن الوكيل

عضو جماعة أنصار السنة المحمدية

* * *

وكان الفراغ من الطبع والتصحيح بمطبعة السنة المحمدية يوم الخميس ١٨ من
رجب سنة ١٣٧٢ هـ الموافق ٢ من إبريل سنة ١٩٥٣ م
وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله المصطفى ، ورسوله المجتبي : محمد ، وعلى
آله وصحبه أجمعين .

فهرست

- | | | |
|----|-----------------------------------|---------------------------------------|
| ٥٢ | تسكفير العراقى لابن عربى | <u>مصرع التصوف</u> |
| ٥٣ | كل شىء عند الصوفية رب و إله | ٣ مقدمة الكتاب |
| ٥٤ | الرأى فى ابن الفارض وتأنيته | ١٧ البقاعى فى سطور |
| ٥٨ | تمجيد الصوفية لعبادة الأصنام | ١٨ خطبة الكتاب |
| ٦٢ | الحق عين الخلق عند الصوفية | ١٩ عقيدة ابن عربى وكيدته للإسلام |
| ٦٦ | الوحدة المطلقة دين ابن عربى | ١٩ منهاج الصوفية فى السكيد بدعوتهم |
| ٦٦ | لا يُعْتَدَرُ عن الصوفية بالتأويل | ٢٠ مثالم فى زندقتهم |
| ٦٧ | خطر صرف الكلام عن ظاهره | ٢١ احتجاج الصوفية بقصة الخضر |
| ٦٨ | صلة الخلق بالحق عند الصوفية | ٢٢ القول فى صرف الكلام عن ظاهره |
| ٧٠ | الطبيعة هى الله عندهم | ٢٣ حكم من ينطق بكلمة ردة |
| ٧١ | دين ابن الفارض | ٢٤ بيان ماهو من المقالات كفر |
| ٧٤ | العبد عين الرب عند الصوفية | ٣٣ الباطنية |
| ٧٥ | الفار عين الجنة عندهم | ٣٥ من هو الزيدى؟ |
| ٧٦ | مثل من تفسير ابن عربى للقرآن | ٣٧ إفك وبهتان ابن عربى على الرسول |
| ٧٨ | ردّ علاء الدين البخارى | ٣٧ دفع هذا الافتراء |
| ٧٩ | رأى العضد والجرجانى | ٣٨ إيمان ابن عربى بأن الله إنسان كبير |
| ٨١ | رأى السعد التفتازانى | ٣٩ آدم عند الصوفية |
| ٨٣ | زعم أن الحق يتلبس بصورة الخلق | ٤٠ زعمه أن الحق مفتقر إلى الخلق |
| ٨٦ | أمر ابن الفارض باتباع شريعته | ٤١ التنزيه والتشبيه |
| ٨٨ | تسكذيب صريح للقرآن | ٤٢ بم يعرف الله عند الصوفية |
| ٨٩ | إفك على الله | ٤٦ تسكفير الصوفية لنوح |
| ٩٢ | تمجيد الصوفية للمجرمين | ٤٩ الدعوة إلى الله مكر عند الصوفية |

- ٩٣ زعمهم أن هوية الحق عين
أعضاء العبد وقواه
- ٩٤ تفسيرهم لما عذب الله به قوم هود
- ٩٥ زعم ابن عربي أنه اجتمع بالأنبياء
- ٩٦ ظن الصوفية بالله سبحانه
- ٩٨ الكون هو رب عند الصوفية
- ٩٩ لم يقول الصوفية بوحدة الأديان؟
- ١٠٠ الوحدة عند ابن الفارض
- ١٠٣ الكثرة عين الوحدة
- ١٠٤ فعل الرب عين فعل العبد عند
الصوفية
- ١٠٥ ما الخلق؟
- ١٠٦ زعم ابن عربي : أن التفاضل
لا يستلزم التباين
- ١٠٨ الضال مهتد ، والكافر
مؤمن عنده
- ١٠٩ لن يعذب كافر عنده أيضاً
- ١١١ الحق عنده سار في عناصر الطبيعة
- ١١١ رد العراقي على وحدة الأديان
- ١١٢ الشرائع أوهام عند الصوفية
- ١١٢ ليس لله وجود عندهم
- ١١٣ الداعي عين المحيب عندهم
- ١١٦ الحق عين كل معلوم عندهم
- ١٢٠ تمجيد الصوفية لعبادة العجل
- ١٢١ بعض ما كفر به العراقي ابن عربي
- ١٢٢ آيات تشهد بكفر ابن عربي
- ١٢٣ شرك الصوفية أخبث الشرك
- ١٢٤ تعليلهم لإنكار موسى على السامري
- ١٢٥ الهوى رب عند الصوفية
- ١٢٦ وحدة الأديان عند ابن الفارض
- ١٢٧ الإله الصوفي مجلى صور العالم
- ١٢٧ حكم ابن عربي بإيمان فرعون ونجاته
- ١٢٩ رد هذه القرية
- ١٣٠ سؤال فرعون وجواب موسى
- ١٣٢ فرعون عند الصوفية رب موسى
وسيده
- ١٣٤ حكم من ينسب ربو بيته إلى فرعون
- ١٣٤ تحريم التأويل
- ١٣٥ رأى ولد العراقي في الفصوص
والتائية
- ١٣٧ رأى السكوني
- ١٤٠ أوهام الصوفية في الحكم بإيمان
فرعون
- ١٤١ افتراء على الرسول ﷺ
- ١٤٢ التثليث عند الصوفية
- ١٤٣ رب الصوفية امرأة

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

- ١٤٦ الأنوثة صفة الإله الصوفي
١٤٧ الإله الصوفي بين التقييد والإطلاق
١٤٩ دعاء ومباهلة
١٥٠ المكفرون لابن عربي
١٥٥ فتوى الجزري
١٥٦ رأى أبي حيان
١٥٧ رأى التقي السبكي والفسارسي
والزواوي
١٥٨ رأى البكري
١٥٩ مسألة الوعيد
١٦١ فتوى البالسي وابن النقاش
١٦٥ رأى ابن هشام وابن خلدون
١٦٨ رأى الشمس العيزري
١٦٩ رأى ابن الخطيب والموصلي
١٧٠ رأى البساطي
١٧٤ البساطي وشرحه للتائية .
١٧٦ رأى ابن حجر والبلقيني وغيرها
١٧٧ مقتل الخلاج
١٧٨ رأى الذهبي
١٧٩ رأى ابن تيمية وغيره من العلماء
١٨٢ رأى علاء الدين البخاري
١٨٣ تحقيق معنى الكافر والملحد
والزنديق والكافر
- ١٨٦ بعض مصطلحات الصوفية
١٩٠ أسطورة الكشف
١٩٥ رأى الحافظ تقي الدين القاسي
١٩٧ مكر الصوفية
١٩٨ آيات ثبات الإيمان في القلب
٢٠٠ هوان الدين عند الأثرية
٢٠١ من هم الأولياء ؟
٢٠٣ رأى ابن أيوب في الخلاج وابن عربي
تحذير العباد من أهل العناد
٢٠٧ المقدمة
٢٠٨ آيات سلمى الله بها نبيه
٢٠٩ الرأى في سلف الصوفية
٢١٢ مناقبة الصوفية للنقل والشرع
٢١٣ موقف العلماء من ابن عربي
وابن الفارض
٢١٤ المكفرون لابن الفارض
٢١٦ موقف شيوخ المذاهب من
ابن الفارض
٢١٧ تواتر نسبة ابن الفارض إلى
الكفر
٢١٨ الضلال عند الصوفية خير من
الهدى

- ٢١٨ رب ابن الفارض أنثى
٢١٩ تفضيل الزنديق نفسه على الرسل
٢١٩ الخلاء سنة ابن الفارض
٢٢١ ذمه للرسل وللشرائع
٢٢٣ تفضيله أتباعه على الرسل ،
وزندقته على شرعة الله
٢٢٤ الصلة بين التصوف والنصرانية
٢٢٦ زعمه أن صفات الله عين صفاته
٢٢٩ زعمه أن الله سبحانه يصلي له
٢٣٠ رب الصوفية في صور العاشقات
٢٣٣ ثباته على اعتقاد الوحدة
٢٣٤ استدلاله على زندقته
٢٣٦ يدين ابن الفارض بتلبس الله
بصورة خلقه
٢٤٠ رأى القشيري والسهري
٢٤٠ وحدة الأديان عند ابن الفارض
٢٤١ شعره في وحدة الأديان
٢٤٢ معاندته للتوحيد الحق
٢٤٤ دعوته إلى المجون
- ٢٤٥ الباطل إله الصوفية
٣٤٥ حكم المناضل عن ابن الفارض
٢٤٦ قول ابن الفارض يوجب
إرافة دمه
٢٤٨ زجره لمن يكتنيه أو يلقبه
٢٤٩ زعمه أنه عرج إلى السماء
٢٥١ حكم من كفر ابن الفارض
٢٥٣ حكم المتوقف في تكفير الصوفية
٢٥٥ الرأي في شعر ابن الفارض
٢٥٧ تواتر الخبر بتكفير العلماء له
٢٥٨ نفي كلام حفيده فيما أثبتته
٢٥٩ أصل الولاية الحقة
٢٦٠ دفاع وادعاء
٢٦٣ وجوب الكشف عن زندقته
الصوفية وبيانها
٢٦٤ الجاهلية في الصوفية
٢٦٥ دفع اعتراض وإيهام
٢٦٨ نصيحة البقاعي ختم بها كتابه

تصويبات

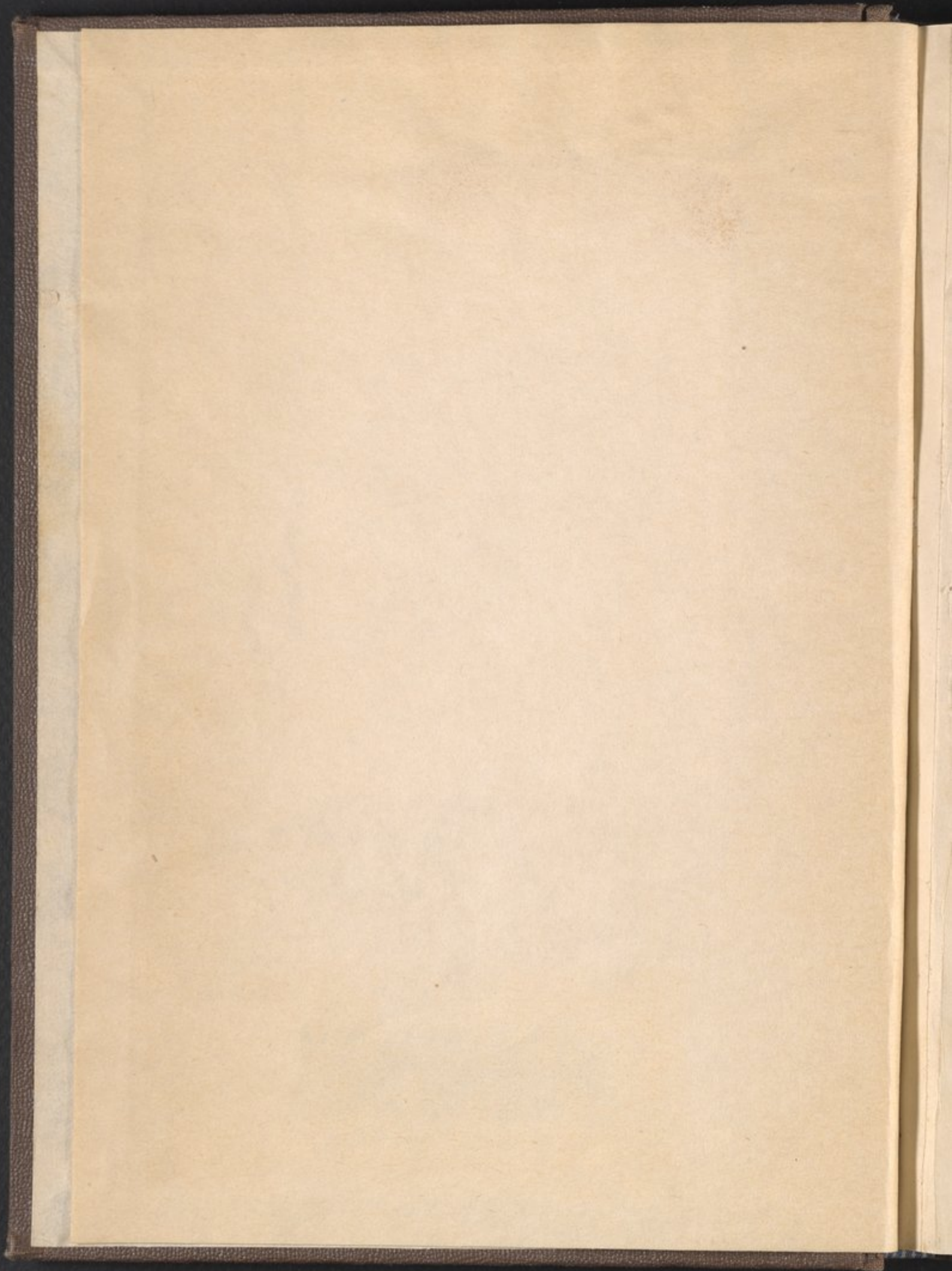
بمجرد الفراغ من نسخ الكتاب أعجلنا السفر إلى الرياض فلم تتمكن من مراجعته على الأصل ، وبعد تمام طبعه راجعناه وفي هذا الجدول تثبت صواب ما ذهلنا عنه وقت النسخ أو سقط وقت الطبع

ص	س	خطأ	صواب	ص	س	خطأ	صواب
١٣	٥	ويشهد الله	ويشهد	٥٧	١٥	ولكن	لكن
١٣	١٨	دلالة	ذات دلالة	٥٩	١١	سبحانك	سبحان الله
١٣	١٩	وصح	وضعت	٥٩	٢١	عين الحق	عين الخلق
٢٣	٩	العلامة	العلامة	٦٠	٩	قول	قوم
٢٦	٦	مثله	مثله أيضاً	٦٠	١٣	المنار	النار
٢٦	٢٣	جواسيسها	وأشباهاها	٦٠	١٨	بهذه	بأن هذه
٤١	٢	حكيمته	حكمة	٦٠	٢٤	وقيا	وقاتلا
٤٩	١٣	للغة	للغة	٦١	٣	نخركم	نخرجكم
٤٩	١٤	يوصفوا	يوصفون	٦١	٦	نعم	نعم
٥١	١	سوعا	سوعا	٦١	١٢	إذ	إذا
٥١	١٧	كالجسد	كل الجسد	٦٢	٥	للمؤمنات	والمؤمنات
٥١	٢٢	الغناء	الفناء	٦٤	٨	ويشهد في	ويشهدني
٥٣	١٩	يترنح	يترنح في	٦٤	١٠	صلوات	صلواتي
٥٤	٢٣	زائق	ذائق	٦٨	٧	منه	والمعدود منه
٥٥	٢١	نرد في	نرد	٦٨	١٤	وصفا	وصفاته
٥٥	٢٤	وهو ابن	وهو أن ابن	٦٨	١٨	لاحرية	لامرية
٥٧	١٢	تتحرك مهدي	تحرك تهدي	٦٩	١٢	لا توجد في	لا توجد إلا في

ص	س	خطأ	صواب	ص	س	خطأ	صواب
٧٠	١	والعيون	وهو العيون	٨٢	١٥	نقى	نفس
٧٠	٤	الواجد	واحد	٨٣	١٤	منحصر	منحصرا
٧٠	٩	لم يحجره	لم يحجر	٨٣	٢٢	أغد	أعد
٧١	٣	فاذكروا	فادّكروا	٨٤	٤	- عونه	رعونه
٧١	١٨	الفارض	الفارضى	٨٤	٢٦	القطرانى	القطوانى
٧٣	٦	حوه	حولهم	٨٥	١٢	تدفع	تدمغ
٧٥	٩	غيره	عين	٨٥	٢٧	وحب	وحسب
٧٥	١٢	وذاك	وذاك له	٨٧	٦	وإرشاداتهما	وإشارتهما
٧٦	٢	نص	فص	٨٨	٤	الأهدال	الأهدل
٧٦	٩	يزاد بعد كلمة للممكنات	[حتى	٨٨	٩	فهو	فهم
		يظهر الظل فيكون كما بقى		٩١	١١	وهو	وهو أنه
		[من الممكنات]		٩١	١٥	أحد	أحدى
٧٦	١٦	يدفمه	يدمغه	٩٢	١	جواز	جوازا
٧٧	١٤	لمهدى	لمهدى	٩٢	١٣	الوجود	وجود الخلق
٧٧	٢١	تدفعه	تدمغه	٩٢	٢٣	تجمع	تجمح
٧٨	١	تنزّه	تنزّه	٩٣	٢٥	يقبلج	يعتلج
٧٨	١٩	يهولها	يهولوا	٩٥		الأخير الهوى	الهودى
٧٨	٢٢	- أيا	رأيا	٩٦	١	كأشغالها	كأشغالها
٧٩	١٠	لأنها	لأنه	٩٦	١٢	أوله	أولها
٧٩	٢٤	عضو	عضد	٩٦	١٨	الموافقة	الوالفة
٨١	١٩	خطائر	حظائر	٩٦	٢٢	يوحى	بوى

ص	ص	خطأ	صواب	ص	ص	خطأ	صواب
١٠٠	١٦	إلى	إلا	١٠١	٧	لملة	لعلة
١٠٠	١٦	أحجارا	أو أحجارا	١٠٢	٩	بها	بهذا
١٠١	١٧-١٨	وموضع	وموضوع	١٠٧	١١	تعداد	تعدد
١٠٧	١٣	المقابلات	المقابلات	١١٣	١٣	واحد	واحدا
١١٥	٣	الصُّوت	الصُّوت	١٢٠	٤	بين	من
١٢٠	٢٢	أخذ	أخذ	١٢٥	١٠	وعبد وإما	وعبد وإما
١٢٥	١٨	رآه	رأى	١٢٦	٦	الذَّنَاد	الزُّنَار
١٢٦	١٨	إليهم	الهميم	١٢٧	٧	المعالم	العالم
١٢٨	١٢٨	الأخير	هن	١٣٠	٤	صحيحه	في صحيحه
١٣٠	١٩	نبين لله	نبين	١٣١	٢٤	الأفق	الأفن
١٣٢	٨	العيرة	العين	١٣٣	٥	تقضى	تقضى
١٣٣	٥	تقضى	تقضى	١٣٤	١٤	لحن ابن	لحن
١٣٤	٨	حجال	حجلك	١٣٥	٢٠	غير إله	غير إله
١٣٥	٢٠	غير إله	غير إله	١٣٧	٢٢	الحلاج الحلاج	وكذلك
١٣٧	٢٢	الحلاج الحلاج	وكذلك	١٣٨	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٣٨	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٣٩	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٣٩	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٤٠	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٤٠	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٤١	١٢	اليقين	التعنين
١٤١	١٢	اليقين	التعنين	١٤٢	٤	التليث	التثليث
١٤٢	٤	التليث	التثليث	١٤٣	٢	وحكم	وختم
١٤٣	٢	وحكم	وختم	١٤٤	١	لا	ولا لا
١٤٤	١	لا	ولا لا	١٤٥	٣	أحدث	أحدث
١٤٥	٣	أحدث	أحدث	١٤٦	٤	أى	آى
١٤٦	٤	أى	آى	١٤٧	٢	الدعاء	الدعاة
١٤٧	٢	الدعاء	الدعاة	١٤٨	١٩	بغير	يفيد
١٤٨	١٩	بغير	يفيد	١٤٩	١	يزاد بعد كلمة الإجماع	والمعتمد
١٤٩	١	يزاد بعد كلمة الإجماع	والمعتمد	١٥٠	١	في ذلك النصوص وأما دعوى	[الإجماع]
١٥٠	١	في ذلك النصوص وأما دعوى	[الإجماع]	١٥١	١٤	لحن ابن	لحن
١٥١	١٤	لحن ابن	لحن	١٥٢	٨	حجال	حجلك
١٥٢	٨	حجال	حجلك	١٥٣	٢٠	غير إله	غير إله
١٥٣	٢٠	غير إله	غير إله	١٥٤	٢٢	الحلاج الحلاج	وكذلك
١٥٤	٢٢	الحلاج الحلاج	وكذلك	١٥٥	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٥٥	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٥٦	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٥٦	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٥٧	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٥٧	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٥٨	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٥٨	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٥٩	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٥٩	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٦٠	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٦٠	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٦١	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٦١	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٦٢	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٦٢	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٦٣	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٦٣	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٦٤	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٦٤	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٦٥	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٦٥	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٦٦	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٦٦	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٦٧	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٦٧	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٦٨	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٦٨	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٦٩	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٦٩	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٧٠	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٧٠	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٧١	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٧١	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٧٢	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٧٢	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٧٣	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٧٣	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٧٤	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٧٤	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٧٥	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٧٥	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٧٦	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٧٦	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٧٧	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٧٧	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٧٨	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٧٨	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٧٩	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٧٩	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٨٠	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٨٠	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٨١	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٨١	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٨٢	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٨٢	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٨٣	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٨٣	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٨٤	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٨٤	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٨٥	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٨٥	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٨٦	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٨٦	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٨٧	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٨٧	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٨٨	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٨٨	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٨٩	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٨٩	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٩٠	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٩٠	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٩١	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٩١	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٩٢	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٩٢	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٩٣	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٩٣	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٩٤	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٩٤	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٩٥	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٩٥	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٩٦	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٩٦	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٩٧	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٩٧	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٩٨	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٩٨	١٧	العربي	المتجاسر العربي	١٩٩	١٧	العربي	المتجاسر العربي
١٩٩	١٧	العربي	المتجاسر العربي	٢٠٠	١٧	العربي	المتجاسر العربي

ص	ص	خطأ	صواب	ص	ص	خطأ	صواب
ص	ص	خطأ	صواب	ص	ص	خطأ	صواب
٩	١٨٥	تنوى	تنوى « وهكذا في كل مواردھا »	٤	٣١٥	الأعز	الأعز
٢٢	١٨٥	إفساد	لإفساد	٢	٢٢١	الزهاد	الزهاد
٢	١٨٨	فأراد	فأرادوا	٧	٢٢٢	منع	منع
٥	١٨٨	بين	من بين	١١	٢٢٣	ولأنك	ولأنك
٧	١٩٢	متوهم	أن يتوهم	٤	٢٢٦	لرَدَّت	لرَدَّت
٩	١٩٢	بالبطلان	بالبطلان	١٣	٢٢٦	بسمعى	إلا بسمعى
٢٢	١٩٢	الطاعة	الطاعة			إلا سامع	إلا سامع
٦	١٩٣	شفاعة	شفاعة	٤	٢٣١	بغرة عَزَّة	بغرة عَزَّت
١٠	١٩٣	ماك	ما	١	٢٣٢	مرت	مرة
١٨	١٩٤	وإذ... لا	إذ... ولا	٦	٢٣٢	تخضت	تخفَّت
١	١٩٥	نقله	نقلته	١٨	٢٣٢	خلفا	خلفا
٥	١٩٨	أرازلنا	أراذلنا	١١	٢٣٣	ودققت	ودققت
٦	١٩٩	عنهم	عنه	١٣	٢٣٣	غطت	غطت
٨	١٩٩	الله	والله	٢٢	٢٣٤	يقعث	ينغث
١٧	١٩٩	لاستلامهم	لاستلامهم	١٣	٢٤١	مترزة	مترزة
٨	٢٠١	والوعد	والوعد	١	٢٤٢	محراب	محراب
٢٠	٢٠١	يصنع	يصنع	٦	٢٤٨	بغير	بغير وهم يخالفونه
١١	٢١٠	وجود	وجود			كما يشير إليه قوله	
٢٠	٢١٢	ليغروا	ليغروا	٢٢	٢٥٤	النص	مع النص
٣	٢١٤	بدالة	بدالة	٦	٢٥٦	كتاب	كتب
٥	٢١٤	تأثية	تأثيته				



UC-1

DATE DUE

B 12280951
i 13592841



1 0 0 0 0 1 1 5 7 7 1

